إلى أستاذي الجليل الدكتور
شكري فيصل، مع أطيب
الأمنيات، وخالص المودة
والمحبة
المؤلف
اللاذقية ٣/١١/٦٦

الواضح
في النحو والصرف

القسم الأول

في النحو

الدكتور

محمد خير الحلواني

المكتبة العربية بحلب

الطبعة الثانية

في ١ - تشرين الأول ١٩٧٥

المكتبة العربية بحلب
محمد تلاليني
ساحة فرحات - الصليبة - المطبعة المارونية
ص . ب : ٩١٣٥ ✉ ١٨٣٨ ☎ : ١٣٠٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

هذا كتاب في النحو يحمل المادة اللازمة ، والأصول الاولى لهذا النوع من العلم اللغوي ، وقد سميته ، منذ طبعته الأولى ، بالواضح ، وكنت على ثقة بأن ما فيه من دروس يفوق في سعته ما تحتويه بعض الكتب القديمة المتداولة ، كشذور الذهب ، وأوضح المسالك وشرح ابن عقيل الألفية ، كما يفوقها — في نظر طالبنا اليوم — بأنه مصوغ بأسلوب سهل مبسط ، يخلو من التعقيد والوعورة .

ولم أشأ أن اخرج عن هذا السَّنَن الذي سرت عليه يومئذ ، بل رأيتني مندفعاً إلى مزيد من التسهيل في عرض القاعدة ، والاكثار من الشواهد الفصيحة ، شعراً ونثراً ، وتحليلها تحليلاً يقرّب القاعدة ، ويوضحها توضيحاً كافياً .

وقد استبعدت ما استطعت الشواهد الثقيلة اللفظ التي أثبتُّها في الطبعة الأولى بعد أن وقفت على شواهد تقوم مقامها ، وتخلو من وعورتها اللفظية ، بل لعلها أن تكون نماذج جيدة من الشعر الفصيح ، وذيّلت كل بحث ببعض منها ، ليُعْمِل فيها الطالب فكره بمساعدة المدرس تارة ، ومن دون مساعدته تارة أخرى ، ولتدفعه إلى مزيد من الدرس ، والتماس القواعد في النصوص .

وما كان لمثل هذا الكتاب الجامعي أن يقدم في النحو نظرات جديدة ، أو أن يلتمس في العرض سُبُلاً مبتكرة ، لأنّ له وظيفة محدودة

هي أن ينقل إلى الطلبة ما يحتاجون إليه من القواعد الشائعة ، ليكونوا في المستقبل قادرين على تدريسها ونقلها إلى طلبة المدارس الإعدادية والثانوية.

وما كان له أيضاً أن يعتمد النظرات التي قدمها دعاةُ التجديد ، لأنها - مع بالغ الأسف - لم ترْقَ إلى مرتبة القواعد التي تستطيع أن تحيط بلغة العرب ، وتفسر ظواهرها ، ولم تبلغ من الجودة والأصالة ما بلغته قواعد القدماء ، بعد تعريتها من أثواب الملل المستغربة ، والاقيسة المتعسفة .

ولست مع ذلك أنكر على المعاصرين أن يفكروا في طريق جديدة لدراسة اللغة ، إلا ان الجديد لا يمكن أن ينهض إلا بعد ان يحيط بالقديم إحاطةَ شمولٍ ، وإحاطةَ فهمٍ دقيق ، وإلا جاء مَسْخاً كريهَ الصورة ، يثير السخريةَ منه ، والتندر عليه .

والمهم في الأمر أن هذا الكتاب حاول أن يبسط المادة النحوية بشكل ملائم لذوق الطالب المعاصر ، دون أن يُخل بالبناء ، ودون أن يتجاوز الحدود.

هذا ، ولا بد من أن أذكر هنا ان الزميل الاستاذ عاصم البيطار كان قد اطلع على الكتاب في طبعته الأولى ، وبعث إليَّ بملاحظات قيمة دقيقة ، أخذت بكثير منها ، كما أن جلسة جمعتني بأستاذنا أحمد راتب النفاخ ، اقترح فيها أن يُقدم الكتاب الجامعي بمدخلٍ عام نُشْرَح فيه مبادئ النحو ونُبْسَط أصوله الأولى ، فلبيت هذا الاقتراح ، وأظن أنه سيرضى عن بعض ما جاء فيه ، وسيكون له في غيره نظر .

وإني لأرجو الله أن يوفقنا إلى خدمة العربية ، ويجعلها لنا مثوبة نعتد بها يوم نلقى وجهه الكريم .

المؤلف

١ - وضع القواعد ومصادر استنباطها

ما من لغة إنسانية كتب لها البقاء، وأتيح لأبنائها أن يصيبوا حظاً من الحضارة، إلا ولها أصول وقواعـد، استنبطها العلماء من نصوصهـا المدونة، وكلام أبنائها الأصيلين. وما من لغة في الأرض لقيت من خدمات الدارسين، وعناية الباحثين، مثلما لقيته اللغة العربية من أبنائها، فقد كان العمل فيها ضرباً من العبادة الدينية، يتقرب بها الدارس إلى الله، ويطمع في الأجر والمثوبة عليها، لأنها لغة القرآن الكريم، وموئل التعاليم الدينية التي بثها الرسول (ص) في آذان الناس.

وكانت محاولة استنباط القواعـــد العربية في القرن الأول للهجرة ضرورة أملتها الحياة الجديدة بعد الاسلام، إذ اختلط العرب بالأعاجم من كل جنس، وبدأ البناء اللغوي للعربية يتداعى، فكثر اللحن، وهُـددت السليقة، وتسرب الخطـأ إلى قراءة القرآن الكريم، وفي هذا من الخطر ما يقلق المجتمع آنذاك، فهب العلماء يبحثون عن وسيلة تصون العربية، وتحفظ عليها بناءها وكيانها، وقد وفقوا إلى منهـج سليم في العمل، ما كان لهم ان يسلكوا غيره.

لقد مضوا يجمعون النصوص اللغوية، ويبحثون عن الأماكن التي لا تزال بعيدة عن التأثر باللغات الطارئة، فهداهم عملهم إلى مصـادر كانت في البداية منابع استقوا منها أصول العربية وقواعدها، وهي:

١ ــ القرآن الكريم.

٢ ــ كلام العرب الفصحاء.

٣ — الشعر العربي القديم .

٤ — الحديث النبوي .

لقد انطلقوا منذ أيام أبي الأسود الدؤلي ، يضبطون آي القرآن الكريم ، ويتأملون بناء الجملة العربية ويتفحصونه ، ويراقبون علاقات التركيب فيه ، وما ينجم عن تلك العلاقات من ظواهر لفظية إعرابية ، ثم التفتوا يتحرون القبائل التي لم تضعف فصاحتها ، وهي التي كانت ضاربة في أعماق الجزيرة العربية ، في بوادي نجد ، والحجاز ، وتهامة ، كقبيلة تميم ، وأسد ، وهذيل ، وطيء ، وكنانة ، وغيرها من قبائل الوسط ، ودفع بهم هذا إلى الرحلة والعيش في البادية ، ليجمعوا الظواهر التي يسمعون ، ثم يدرسوها ، ويقرنوها إلى ما تجمع لديهم من قواعد سابقة .

وكان لهؤلاء الفصحاء من الأعراب عمل آخر ، فمنهم نقلت القصائد ، وبهم وثقت لغتها ، ولهذا كان يحرص النحوي القديم ، كسيبويه والأخفش والفراء على أن ينسب ما يثبته في كتابه من الشعر إلى إنشاد أعرابي فصيح موثوق اللغة ، كما كان يحرص على أن يستبعد من الشعر ما لم يروه الأعراب ، ومن أجل ذلك قل في كتب النحو الاحتجاج بشعر عدي بن زيد ، وأبي دواد الايادي ، لأن أعراب نجد - كما يقول الاصمعي - لم يرووا شعرهما .

أما الحديث النبوي فلم يعنَ المتقدمون من نحاة العربية بالاحتجاج به ، لأنهم كانوا يشكون في صحة نقل اللفظ ، فاذا استطاع الراوي أن يفهم المعنى فهماً دقيقاً فمن أنّى له ان يحفظ كلمات الرسول (ص) نفسها ؟ أفليس من المتوقع أن تتغير في روايته الالفاظ ، ويتبدل التركيب ؟ ومن هنا كان عالم اللغة يختلف عن عالم الدين ، فهو لا ينظر في معنى الحديث ليستنبط منه حكماً شرعياً ، بل ينظر في التركيب اللغوي ليستنبط منه قاعدة لغوية ،

وبهذا كان يحرص على صحة نقل اللغة ، ولم يكن هذا سهلاً في لغة النثر .

وينبغي أن نعلم هنا أن نقل الحديث النبوي يختلف عن نقل الشعر وروايته ، لأن رواة الحديث من أبناء الحاضرة لا من فصحاء الأعراب ، ولهذا كثر اللحن في روايته ، ولم يركن النحويون إلى لغة الراوي نفسها في تحوير ما ينقل من ألفاظه (ص) ، كما ركنوا إلى ما حوره الفصحاء عفواً أو قصداً في لغة الشعر .

غير أن النحويين المتأخرين ، ولا سيما نحاة الأندلس ، أخذوا يحتجون بالحديث ، بعد أن جمع في الصحاح ، ونُظم في أبواب ، وتهيأت له الدراسات العلمية ، وكان أول المحتجين به ، والمخرجين له ، السهيلي الأندلسي في «أماليه» ثم تبعه ابن خروف ، ثم لحق بهما ابن مالك فأكثر ، حتى شهر بذلك ، وأثّر فيمن جاء بعده من شراح ألفيته ، إلى ان صارت الأحاديث المحتج بها قرينة لشواهد الشعر وآي القرآن الكريم .

هذا المنهج في البحث عن المصادر الموثوق بها أدى إلى بناء علم شامخ راسخ في حضارة العرب الفكرية ، لا يزال قائماً على اصوله الصلبة المتينة ، منذ ثلاثة عشر قرناً ونيّف .

ولكن ما البناء اللغوي الذي حلله النحاة ، وما القواعد التي اهتدوا إليها بعد هذا الجهد المضني من الدرس والتأمل ؟

٢ ـ البناء اللغوي في العربية

لقد كان عمل أوائل النحاة ، فيما وصلوا إليه من نصوص اللغة المدونة والمنطوقة ، ينحصر في الملاحظة ، والتتبع ، والاستنباط ، وهذا كله يكوّن المنهج الاستقرائي في البحث ، وقد أدى بهم هذا إلى النقاط التالية :

١ ـ أقسام الكلمة :

وصلت اللغة إلى النحاة مركبة في نصوص شعرية أو نثرية ، فعمدوا إلى تحليل أجزائها ، ومراقبتها ، وتتبع ظواهرها ، فاهتدوا إلى ان للكلمة فيها ثلاثة أنواع ، هي :

آ ـ الاسم
ب ـ الفعل
ج ـ الحرف

ووجدوا أن التركيب الذي يؤدي معنى تاماً قد يتألف من اسمين ، مثل : القراءة مفيدة . أو من اسم وفعل ، مثل : طلعت الشمس ، وربما استعمل الحرف أداةً رابطة في بناء التركيب ، لغرض معنوي خاص ، كما في قولك : جاء خالدٌ من البيت .

ولما أمعنوا في تأملهم وتتبعهم لكل من هذه الأقسام تبين لهم أن الاسم : يدل على معنى في نفسه ، قد يكون مدلوله حسياً ، وقد يكون غير حسي ، وأن الفعل يدل على حدثٍ يقترن بزمان معيَّن ، وأن للحرف معاني يُظهرها السياق والتركيب .

وتبين لهم ايضاً أن اللغة العربية تحصر في الاسم معاني كثيرة ، فهو الذي يدل على الفاعلية ، والمفعولية ، ويدل على الزمان ، والمكان ، والغاية ، وبيان النوع ، والعدد ، ويبين الحال عند وقوع الحدث ، ويفسر المبهمات ، ويؤدي معنى الاستثناء ، والإسناد ، على حين لا يؤدي الفعل إلا معنى مزدوجاً ، هو الدلالة على الحدث وزمانه ، وكثيراً ما تكون دلالته الزمانية محددة بالسياق العام لا من مجرد لفظه .

٢ ـ دراسة الاسم :

وقد خص اللغويون الاسم بدراسة دقيقة واعية ، مثلما خصوا قسيميه الآخرين ، فوجدوا في تكوينه اللفظي ، ودلالتـه المعنوية ، من الفروق ما جعلهم يقسمونه أقساماً بحسب أنواعه وأصنافه .

١ ـ وأول ما لفت نظر النحويين في الاسم ما ذكرناه قبل قليل ، وهو أنه يحمل أكبر عبء في التعبير عن المعنى ، وبذلك يسمو على الفعل والحرف ، ولاحظوا أيضاً ان هذه المعاني المتنوعة المتعددة يُعَبَّر عنهـا في التركيب العربي بأصوات خفيفة تظهر على الأحرف الأخيرة للأسماء ، كالرفع والجر والنصب ، فسموها حركات ، وسموا الظاهرة التعبيرية إعراباً .

وحين درسوا هذه الحركات وجدوها ترتبط بمعانٍ عامة يعبر عنها الاسم ، فالرفع يدل على الإسناد ، وهو أن شيئاً ما قام بعمل ، أو نُسب إليه وصف ، والجر يـــدل على الاختصاص أو التمـــلك ، والنصب ـ وهو أخف الحركات ـ تُرك لطائفةٍ كبيرة من الأسماء ، سماها النحاة فضلات لأنها متممة لبناء الجملة (١)

وإلى جانب هذه الأسماء المتغيرة الأواخر ، وقع النحاة على طائفـة أخرى تلازم حركات خاصة ، لا تتحول عنها ولا تزول ، حتى كأنها جزء من بناء الكلمة ، فأطلقوا على هذا الضرب من الأسماء مصطلح : الاسمـاء المبنيـة .

٢ ـ وأدت بهم الملاحظة الدقيقة ، والاستقراء الصابر إلى ان يكتشفوا أدوات لفظية تتصل بالاسم ، فيكون له معها دلالة فرعية تضاف إلى المعنى

(١) هذا كلام مجمل تركت فيه بعض التفصيلات .

العام ، فهناك « أل » التي تلتصق بصدره ، وتحيل دلالته العامة إلى دلالة خاصة ، فقولنا : قلم ، يدل دلالة فيها تعميم وشيوع ، ولكننا إذا قلنا : بعت القلم ، قصدنا قلماً خاصاً نعرفه ونعهده . وهناك صوت آخر ، يلحق عجز الاسم ، هو النون الساكنة التي سموها تنويناً ، وهي لا تلحق الفعل والحرف ، ولا تلحق أسماء خاصة سنلم بنوعها بعد قليل . والمهم أن النحاة وجدوا هذه النون لا تلحق الاسم الذي لحقته « أ ل » ، ولا الاسم الذي أضيف إلى غيره (١) . وإلى جانب هذا وجدوا لواحق من الأصوات ترمز لمعان أخرى ، كالتاء والألف اللتين تدلان على التأنيث ، مثل : فاطمة وليلى . والألف والياء ، اللتان تدلان على المثنى ، والواو والياء اللتين تدلان على الجمع .

٣ ـ والتفتوا إلى شكل الاسم اللفظي ، وأولوه عناية بالغة ، فاهتدوا إلى العلاقة المحكمة بين بنائه ومعناه ، فثمة ما يدل على ذات حسية ، كدفتر ، وقلم ، وشمس ، وقمر ، و . . وما يدل على ذات معنوية ، كعلم ، وكرم ، وجود ، و . . وهذه الأسماء من حيث الصيغة أسماء جامدة لم تشتق من غيرها. وإلى جانب هذا الضرب وجدوا أسماء تختلف عنها لفظاً ، لأنها اشتقت من اسم جامد ، وجاءت على أبنية خاصة ، قد تكون على : فاعل ، أو مفعول ، أو فعيل ، أو فعول ، أو ... وهي تدل على ذات موصوفة بالحدث ، مثل : قاتل ، ومقتول وكريم ورؤوم . ووجه الاختلاف بينها وبين الأسماء الجامدة أن دلالتها جزئية ، وأن دلالة تلك كلية ، فحين تقول : أرض ، فأنت تسمي بها ذاتاً كاملة ، ولكن إذا قلت : خضراء ، فأنت لا تعبر إلا عن جزء يسير من الذات ، هو تلونها بالخضرة . وفوق ذلك تجد بعض هذه المشتقات تدل على الزمان ضمن التركيب ، وهي دلالة لا تقوى عليها الأسماء الجامدة .

---

(١) هناك أنواع أخرى من التنوين ليس من غرضنا هنا الحديث عنها .

٤ ـ وشاهدوا في البناء اللغوي كلمات تقوم مقام الأسماء ، ولكنها ليست على صورتها اللفظية ، ولا يدخلها من اللواحق ما يدخلها ، فأطلقوا عليها مصطلح : ضمير ، لأنهم رأوها كنايات عن الأسماء ، وقد تكون أحادية اللفظ ، كالكاف في مثل : كتابك . وقد تكون ثنائية ، مثل : هو وهي ، أو ثلاثية مثل : نحن . وهي نفسها نوعان ، نوع لا يمكن لفظه مستقلاً ، بل لا بد له من أن يكون متصلاً بكلمة قبله ، فسموه الضمير المتصل ، ونوع آخر يمكن نطقه مستقلاً عن غيره ، سموه الضمير المنفصل . ثم نظروا ، فاذا بعضها لا يقع إلا موقع الاسم المرفوع ، كالتاء في : كتبت . والواو التي تدل على جماعة الذكور ، مثل : كتبوا . وبعضها الآخر يقع موقع المنصوب ، مثل : إيا ، وضرب ثالث يقع موقع المنصوب والمجرور ، كالكاف في مثل : هذبك ، وكتابك . وضمير آخر يقع موقع المجرور والمنصوب والمرفوع ، وهو « نا » الدال على جماعة المتكلمين .

٣ ـ دراسة الفعل :

وفي تأملهم واستقرائهم للفعل استنتجوا أنه يختلف عن الاسم في معناه ومبناه ، فهو لا يدل على غير الحدث والزمان .

١ ـ ورأوا ان الدلالة الزمانية للفعل مقرونة بشكله اللفظي ، فما كان على صيغة « فَعَلَ » وأضرابها يدل على الزمان الماضي ، وما كان على صيغة « يَفْعَلُ » وأضرابها يدل على الزمن الحاضر أو المستقبل . وما كان فيه معنى الطلب وعلى صيغة « افعلْ » وأشباهها يدل على المستقبل . بيد أن هذه العلاقة بين الشكل والمضمون ليست مطردة ، فكثيراً ما يؤثر السياق في طبيعة هذه الدلالة ، فيجعل « فعلَ » للحاضر أو للمستقبل ، ويجعل « يفعل » للماضي ، وفي لغة القرآن الكريم ، والشعر القديم أمثلة كثيرة على هذا .

٢ ـ ورأى القدماء في ظواهر الفعل الشكلية ما يختلف عن مظاهر الاسم ، فالفعل الماضي ، وفعل الأمر ، يلتزمان في نهاياتهما حركات خاصة ، لا تتبدل إلا لعامل صوتي ، فالأول منهما مبني على الفتح ، ولكن هذه الفتحة تنقلب إلى ضمة مراعاة لحدث صوتي صرف ، وذلك حين تدخل واو الجماعة على الفعل ، مثل : كتبوا . وتنقلب إلى سكون إذا اتصل بتـــاء الفاعل المتحركة ، لئلا تتوالى اربع حركات في الكلمة الواحـدة (١) . أما الثـاني فيبنى على السكون ، إلا إذا كان مضارعه من الأفعـال الخمسة ، أو كان معتل الآخر .

وبقي الفعل المضارع ، وهو يختلف في هذا عن الفعلين السابقين ، إنه يشبه الاسم في أن آخره لا يثبت على حال ، فهـــو طوراً مرفوع ، وطوراً منصوب ، وقد يكون مجزوماً ، وبهذا استدل النحويون على أنه معرب كالأسماء ، فأخذوا يتحرون أسباب رفعه ونصبه وجزمه ، فرأوه يجزم إذا اقترن لفظُه ببعض الأحرف ، هي : لم ، لما ، لام الأمر ، لا الناهية ، إن ، إذ ما ، أو اقترن ببعض الأسماء المبهمة المضمنة معنى الشرط ، مثل : مَنْ ، ما ، مهما ، الخ ... أما نصبه فيكون باقترانه ببعض الأحرف ، هي : أن ، لن ، إذن ، كي ، أما إذا لم يقترن بشيء من هذا القبيل فانه يكون مرفوعـاً .

غير أنهم وجدوه يبـنى كالفعلين الآخرين حين تلحق بعجزه نون النسوة ، أو نون التوكيد . وبهذا يكون الفعل المضارع شبيهاً بالاسماء من حيث إعرابه ، وشبيهاً بالافعال من حيث معناه ومبناه .

---

(١) نجد لهذا شبيهاً في عاميـــة الساحل السوري واللبناني ، فهم يقولون : سَمْكَة ، وَبصْلة ، يسكنون الحرف الثاني إذا الحقوا تاء التأنيث ، ويقولون : سَمَك ، وبصَل ، فيفتحون إذا حذفت التاء .

٣ – ووجدوا أفعالاً عربية مسها التطور، فجاءت في تراكيب خاصة على غير معانيها التي كانت لها في الأصل، واجتمعت على إحدى دلالتين، أولاهما التحول، وثانيتهما الاستمرار، فأفعال التحول هي: كان، صار، أمسى، أضحى، أصبح، بات، عاد، وأفعال الاستمرار هي: ظل، ما زال، ما فتىء، ما برح، ما دام. فهذه الأفعال كانت في الأصل ذات معان يدل عليها اشتقاقها، إلا أنها تحولت إلى معنى آخر، فلم تعد تكتفي بمرفوعها، ولا بد من ذكر اسم آخر بعدها، حتى تكتمل به دلالتها على الحدث، فاذا قلت: كان الجو ممطراً. اكتمل المعنى، وإذا حذفت «ممطراً» اختل. أما إذا استعمل الفعل نفسه في معناه القديم، وهو الوجود، فانه يؤدي معنى تاماً بمرفوعه، لأن دلالة الحدث تنحصر فيه، مثل: كن فيكون. ولما كان هذا الضرب من الأفعال غير دال على الحدث بمفرده سمي ناقصاً (١).

٤ – وشاهد النحاة في نصوص اللغة القديمة أفعالاً مسها التطور الصوتي والمعنوي أكثر مما مس الأفعال السابقة، وذلك مثل: ليس، ونعم، وبئس، وحبذا، وعسى، وحرى، و.. فليس لهذه الأفعال دلالة الفعل البتة، لأنها لا تدل على حدث، غير أنها تشبه في صورها اللفظية الفعل الماضي، فهي مبنية على الفتح، وتقبل دخول تاء التأنيث الساكنة: ليست، ونعمت، و.. إلا «حبذا» منها. ثم إنها لا تتصرف فلا مضارع ولا أمر لها، ولذلك أطلقوا عليها اسم: الأفعال الجامدة.

ومن الفقرتين السابقتين نجد عندنا نوعين من الأفعال، النوع الأول:

---

(١) ويتضح هذا ايضاً في أفعال الشروع التي تحولت الى معنى غير معناها الأصيل.

الأفعال الناقصة ، وهو ما يقابل الأفعال التامة ، والثاني الأفعال الجامدة وهو ما يقابل المتصرفة .

٤ ـ دراسة الحرف :

١ ـ الحرف ـ كما قلنا ـ أداة ربط في نظام الجملة العربية ، فأنت إن أردت أن تقول : إن اثنين اشتركا في حدث المجيء ، قلت : جاء فلان وفلان . فالواو هي التي أشركت ما بعدها وما قبلها بالحدث ، وإذا قلت : خرج سعيد من البيت ، وجدت « من » تربط بين الحدث ، وهو الخروج ، و « البيت » وهو المكان الذي ابتدأ منه الحدث . وبعض الأحرف تؤدي معاني خاصة ، كالاستفهام الذي يؤديه الحرفان : هل ، والهمزة ، والشرط الذي يؤديه « إنْ » وإذ ما ، وكمعنى التمني في « ليت » والترجي في « لعل » والنفي في : لا ، وما ، ولم ، ولما ، وإنْ . غير أن الحرف لا يؤدي معناه إلا إذا جاء في تركيب ، أما الاسم والفعل فكل منهما يُفهم منه معنى ، وإن وقع مفرداً .

٢ ـ وقد لاحظ العلماء أن بعض الأحرف يختص بنوع من الكلمات ، فيأتي مقترناً بها دون أن يقترن بغيرها ، فالحرف « مِنْ » وأخواته يختص بالاسم دون غيره ، والحرف « لم » وأخواته ، يختص بالفعل دون غيره . ولاحظوا كذلك أن أحرفاً اخرى لا تختص بكلمة دون غيرها ، فكما تدخل على الأسماء ، تدخل على الأفعال ، كأحرف العطف ، والاستفهام ، وبعض أحرف النفي ، مثل « ما » و « لا » و « إن » ، من ذلك أنك تقول : جاء خالد وأخوه ، ثم ذهب خالد وبقي أخوه . فواو العطف ـ كما ترى ـ دخلت في الجملة الأولى على الاسم ، ودخلت في الثانية على الفعل . فاذا سمينا الضرب الأول من الأحرف : أحرفاً مختصة ، أمكن ان نسمي الضرب الثاني : أحرفاً غير مختصة .

٣ - وقد تنبه العلماء إلى ظاهرة واضحة في العربية ، هي أن الحرف المختص يقترن استعماله بحركة إعرابية خاصة في الكلمة التي يختص بها ، فأحرف الجر مثلاً تجر الاسم الذي بعدها ، وأحرف الجزم تجزم الفعل المضارع ، وأحرف النصب تنصبه ، أما الحرف الذي لا اختصاص له فلا يؤثر في الكلمة التي يدخل عليها ، ولهذا كانت أحرف الاستفهام والعطف لا عمل لها (١) .

٣ - الوسيلة التعبيرية في اللغة

في الحياة المادية ظاهرة واضحة جداً ، هي أن الأشياء كلها تقوم على أساسين متناقضين في الظاهر ، متكاملين في المضمون ، ذلك أنها تتشابه في شيء ، وتختلف في شيء ، ولولا اختلافها لما كان لها ذات متميزة .

فالمخلوقات تتشابه في الوجود ، ولكنها تختلف في الأجناس ، فمنها إنسان ، وحيوان ، وجماد ، والإنسان نفسه ليس شكلاً واحداً ، بل يختلف في العرق ، والقسمات ، والنوازع ، والمواهب ، وكذلك يختلف الحيوان في الشكل والطبائع ، ومثلهما النبات وسائر الأشياء . ولولا ذلك لما استطاع الناس أن يميزوا شيئاً من شيء .

ولا شك أن تكوّن الخليقة على هذا الأساس جعل الفكر الانساني قائماً على إدراك الفروق المميزة للأشياء ، وقادراً على النفوذ إلى بواطن المحسوسات لاكتشاف أوجه التشابه وأوجه الاختلاف ، فالانسان أبداً يوازن بين المرئيات والمسموعات وسائر المدركات ، وليس بقادر أن يريح ذهنه من عملية الموازنة .

---

(١) هناك شذوذ سنتحدث عنه في حينه .

واللغة ـ أياً كانت ـ قائمة على هذا المبدأ ، ومن هنا جاءت الوسيلة التعبيرية فيها متجسدة في علاقات الشبه ، وأوجه الاختلاف . فما مظاهر ذلك في العربية ؟

إن النظر المتأني في بناء اللغة العربية يدل على أن لها ثلاث وسائل تعبيرية ، هي :

١ ـ الصيغة : وهي شكل الكلمة اللفظي .
٢ ـ الإعراب: وهو تغير أواخر الكلمات المعربة .
٣ ـ التركيب : وهو نظام الجملة وبناؤها .

في الصيغة تجسد العربية معاني عامة ، كالاسمية ، والفعلية ، والوصفية ، ثم تظهر الوجوه الخلافية في كل قسم من هذه الأقسام ، ويعبر كل وجه عن معنى خاص به ، فثمة الدلالة على الحدث التي يعبر عنها بناء المصدر ، وهناك معاني المطاوعة ، والاتخاذ ، والمشاركة ، والصيرورة ، و ... التي تعبر عنها صيغ فعلية خاصة ، وهناك أيضاً معاني الاتصاف بالحدث ، التي يعبر عنها بعض المشتقات ، كاسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، واسم التفضيل ، ولكل منها معنى ينفرد به عن قسيمه بما له من ميزة شكلية مخالفة لغيره ، وقل مثل ذلك في صيغ المبالغة ، واسم الآلة ، واسم المرة والهيئة .

وما من شك في أن مظاهر الشبه والخلاف واضحة في هذه الصيغ ، وهي نفسها الوسيلة التعبيرية التي شاءتها العربية مطابقةً للوسيلة التي يعبر بها الوجودُ عن نفسه .

وبالإعراب ـ وهو ميدان نحوي لا صرفي ـ نجد اللغة تعبر عن الفاعلية ، والمفعولية وما شابههما من المعاني الفرعية ، فهناك المنصوبات ،

والمجرورات ، والمرفوعات ، وهي نفسها فروق خلافية تميز معنى من آخر ، ولكن أمرها لا يقف عند هذا الحد ، بل إن كلاً من هذه الأنواع يختلف في شعبه اختلافاً من شأنه التعبير عن معنى دقيق ، فالمنصوبات مثلاً ليست سواء في التكوين ، فمنها ما هو مصدر كالمفعول المطلق ، والمفعول لأجله ، ومنها ما هو اسم عام كالمفعول به والمفعول فيه والمفعول معه ، ومنها ما هو مشتق كالحال ، ومنها ما هو جامد كالتمييز ، إلى جانب الفروق الخلافية من حيث المعنى .

وفي ميدان الحروف يتضح لك قيام البناء اللغوي على هـذا المبدأ ، ولنأخذ على سبيل المثال حروف الجر ، فالتشابـه بينها في الشكل والعمل مقرون بالفروق الخلافية التي تميز الحرف الأصلي ، من الحرف الزائـــد ، والشبيه بالزائد . فالأول ذو معنى خاص به ، يظهر في التركيب اللغوي ، وهو فوق ذلك ذو وظيفة أخرى ، إذ ينقل معنى العامل وأثره الى الاسم الذي يدخل عليه ، فهو وسيط بين مؤثر ومتأثر ، أما الحرف الزائد فيخلو من المعنى الخاص ، ولا يتوسط بين العامل والمعمول ، وأما الشبيه بالزائد مثل « رُبَّ » فهو ذو معنى ، وبهذا يشبه الأصلي ، ولكنه ليس بوسيط بين مؤثر ومتأثر ، وبهذا يشبه الزائد .

وهذه الفروق الخلافية لا تؤدي هذه المعاني الدقيقـة فحسب ، بل نراها في كثير من الأحيان تدفع اللبس ، فاللام الجارة مثـلاً مكسورة مع الاسم الظاهر ، مفتوحة مع الضمائر ، تقول : للرجل ، للجامعة ، للبحر ، وتقول : له ، لك ، لنا ، .. ولكن هذا الأصل يختلف في باب الاستغـاثة ، إذ تجيء هذه اللام مفتوحة مع المستغاث به ، ليكون فتحها وسيلة لفظيـة خلافية يُفرَّق بها بين المستغاث به والمستغاث له أو منه .

أما التعبير ببناء التركيب ، فهو أقل شأناً مما قدمنا في لغة العرب ،

على حين نجده في غيرها ، كالانكليزية ، أهم وسائل التعبير ، فنظام الجملة العربية مرن ، طيّع ، ويرجع هذا إلى ان المعاني الأساسية تؤدى بالاعراب ، أو بالصيغ ، وحين تخلو كلمات التركيب من هاتين الوسيلتين يقوم بناء الجملة بهذه المهمة ، فاذا قلت : لقي أخي أبي ، وصادف عمي موسى ، وأمثال هذا ، عرفت أن الفاعل هو المتقدم ، وأن المفعول هو المتأخر ، لأن الأصل الذي تقوم عليه الجملة الفعلية العربية هو على الشكل التالي :

الفعل + الفاعل + المفعول به + ...

وفي مخالفة هذا الأصل وسيلة تعبيرية أخرى ، فقد تقدم ما حقه التأخير للاهتمام به ، وقد تتصرف ببناء الجملة من حيث الذكر والحذف لتؤدي معاني فرعية مهمة .

* * * *

هذا المدخل يضع أيدينا على البناء العام للقواعد العربية ، ويهيء لنا السبيل لفهم التفصيلات التي سنجدها في داخل الكتاب ، ولكنه لا يغني عنها.

الاعراب والبناء

الإعراب والبناء

يطلق النحاة مصطلح «إعراب» على التغير الذي يطرأ على أواخر الكلمات، من رفع ونصب وجر وجزم، ولهذا المصطلح أصل لغوي هو مصدر الفعل «أعرب» الذي يعني: وضَّح وبيَّنَ، لأن الإعراب وسيلة تعبيرية تظهر بها الوظيفة المعنوية للكلمة، كما سترى.

أما البناء فهو لزوم آخر الكلمة ضرباً واحداً لا يَحيد عنه، من سكون أو حركة، مهما كان العامل فيها، وقد استوحى النحويون هذا المصطلح من البناء المادي الذي يلازم موضعه ولا يتحول عنه مهما تقلبت عليه عوامل الطبيعة من مطر وريح.

وتنفرد اللغة العربية في هذه الأيام بالإعراب، فهو وسيلة تعبيرية مهمة فيها، إلى جانب الصيغ، وهو السبب الوحيد الذي جعل تركيب الجملة العربية طيّعاً ذا مَرانة، وغيرَ مقيد بالقيود التي نعرفها في اللغات الاخرى.

ويتضح لك هذا في المثال الآتي:

ضرب سعيدٌ سميراً

فالرفع الذي لحق آخر الاسم الأول يدل على الفاعلية، والنصب في الاسم الثاني يدل على المفعولية، ولهذا لا ترى مانعاً من تقديم بعض أجزاء الجملة على بعض، ما دامت دلالتا الفاعلية والمفعولية قائمتين، فأنت قادر على أن تقول: ضرب سميراً سعيدٌ. وسميراً ضرب سعيدٌ. ومثل هذه المرانة لا مثيل لها في تركيب الجملة غير العربية.

وبالإعراب تميز العربية المتشابه من العبارات ، وهذا واضح في الأمثلة الآتية :

إذا قلت : ما أجمل السماء !! ونصبت : السماء ، بفعل التعجب : أجمل ، كنت تتعجب من جمال السماء ، وتكشف عن شعور نفسي لابسك حيال المشهد الذي تتبدى فيه الطبيعة لعينيك ، أما إذا قلت : ما أجملُ السماءِ ؟ ورفعت : أجمل ، وجررت السماء ، كنت في موقف آخر ، فأنت هنا لا تتعجب ، ولم تشعر بإحساس مّا حيال السماء ، ولكنك تراها جميلة ولا تدري أي شيء فيها اكثر جمالاً من غيره ، ولذلك جئت تسأل عن اجمل ما فيها .

وإذا قلت لأخيك الصغير : اخرج إلى الشارع لا يُؤْذِكَ أحدٌ . وجزمت الفعل المضارع : يؤذيك ، فحذفت الياء ، وهي حرف العلة ، جعلت عدم الإيذاء متوقفاً على الخروج إلى الشارع ، فكأنك قلت له : إن تخرج إلى الشارع لا يؤذك أحد ، وهذا يعني أنه سيُؤذَى إن لم يخرج . ولكنك إذا قلت له : اخرج إلى الشارع لا يؤذيك أحد . وأثبت الياء في المضارع لأنك لم تجزمه ، اختلف المعنى عما تقدم مع الجزم ، فأنت هنا تُغريه بالخروج ، وتطمئنه بأنه لن يؤذى ، فليس في الشارع من يؤذيه ، وعلى هذا يكون بقاؤه في البيت غير مؤذٍ له ، على خلاف ما كان في التعبير الاول .

وإذا قلت : لا تذهب إلى المدرسة وتركبَ الدراجة . فأنت إنما تنهى المخاطب عن ان يجمع بين العملين في وقتٍ واحد . غير أنك لا تنهاه عن ركوب الدراجة في وقت آخر . ولكنك إذا جزمت الفعلين : تذهب ، وتركب . تغير المعنى ، وحينئذ يكون نهيك شاملاً ، فأنت لا تريد أن يركب المخاطب الدراجة في الاوقات كلها ، ولا تريد ايضاً أن يذهب

إلى المدرسة كذلك .

وعلى هذا يكون الاعراب في لغة العرب وسيلة تعبيرية عن دقيق المعاني ، فحين تعرب الجملة العربية تقوم بتحليل التركيب اللغوي تحليلاً تبين فيه وظيفة كل كلمة من حيث المعنى الذي تؤديه .

ولكن ما الذي يحدث الاعراب في الكلمات المعربة ؟ إنه العامل ، فما هو ؟

١ — العامل النحوي :

هو مصطلح نحوي يطلق على كل كلمة تؤثر في تغيير حركات أواخر الأسماء ، وبعض الأفعال ، نصباً أو رفعاً أو جراً أو جزماً .

وتقسم العوامل قسمين : عوامل لفظية وعوامل معنوية .

العوامل اللفظية

آ — الأفعال :

هي أقوى هذه العوامل ، وتظهر هذه القوة في أنها تعمل في الاسماء مقدمةً عليها ، ومتأخرةً عنها ، وعملها قياسي ما عدا الأفعال الناقصة منها ، فهي ترفع الفاعل ، وتنصب المفعولات والحال ، والتمييز الملحوظ (١) ، ولكنها ليست سواء في ذلك ، فمنها ما لا يقوى على نصب المفعول به ومنها ما يتعدى هذا فينصب مفعولاً أو مفعولين أو ثلاثة .

---

(١) أما تمييز العدد وكناياته فيعمل فيه العدد والكنايات ، وهي : كم ، كأي ، كذا .

ويتميز بعضها من بعض ، فما كان منها متصرفاً يَفْضُل ما كان جامداً ، ويظهر هذا في تقديم المعمول عليه ، مثل : راكباً جاء أخوك ، والزجاجَ كَسَرت(١) ، أما الجامد فلا يقوى على ذلك ، إذ لا تتقدم معمولات الأفعال : نِعْمَ وبئس وحبذا ، عليها لجمودها .

أما الأفعال الناقصة فيقتصر عملها على رفع الاسم الذي كان مبتدأ ، ونصب الخبر بعده ، ثم هي عاجزة بعد ذلك عن نصب اسم أو رفعه ، فهي مثلاً لا تعمل في حال ، أو مفعول مطلق ، أو مفعول لاجله أو ما شابه ذلك من الفضلات ، ولا تعمل في شبه الجملة لأنها لا تدل على حدث ، كما سترى في بحث خاص بها .

ب — الحروف :

والحروف قسمان : قسم مختص ، وآخر لا اختصاص له ، فمن الحروف ما يختص بالدخول على الأسماء ، كحروف الجر ، والأحرف المشبهة بالافعال ، ومنها ما يختص بالدخول على الافعال كالنواصب ، والجوازم ، ومنها ما لا يختص فيدخل على الاسماء تارة ، وعلى الافعال تارة اخرى ، كأحرف العطف ، و « ما » النافية .

ويرى النحاة القدماء أن الحرف لا يعمل إلا إذا كان مختصاً ، كأحرف الجر ، ولم ، ولن ، وأشباهها ، وما لم يكن مختصاً يعجز عن العمل ، كأحرف العطف ، وحرفي الاستفهام : الهمزة ، وهل . ثم يستثنون من هذه القاعدة « ما » النافية الحجازية لانهم رأوها عاملة عمل ليس في نصوص

---

(١) ليس هذا مطلقاً ، لأن التمييز لا يجوز تقديمه على عامله المتصرف في أصح الرأيين .

فصيحة ، كالقرآن الكريم ، والشعر القديم ، كقوله تعالى : « ما هذا بشراً » (يوسف ٣١) وقوله : « ما هن أمهاتهم » (المجادلة ٢)

والحق ان هناك حرفاً آخر نراه - باجماع جمهور النحويين - عاملاً في الاسماء والافعال ، هو : كي . فهي حيناً حرف ناصب ، مثل : جئت كي أجدَ ما أبحثُ عنه . وحيناً آخر حرف جر ، وذلك حين تدخل على «ما» الاستفهامية ، مثل : كَيْمَهْ ؟

أضف إلى ذلك حرفاً آخر هو « إذَنْ » ، فهي تدخل على الافعال والاسماء ، وهذا يعني أنها حرف غير مختص ، ومع هـذا نجدها تعمل نصباً في الفعل المضارع إذا استوفت بعض الشروط (١) .

وهناك حرف آخر هو « لا » النافية ، تشبه « ما » الحجازية من حيث العمل وعدم الاختصاص ، ومع ذلك نراها تعمل عمل (ليس) في بعض الشواهد الفصيحة المنقولة ، من ذلك قول سعد بن مالك :

من صَدَّ عن نيرانِها فأنا ابنُ قيسٍ لا بَراحُ

والتقدير : لا براحُ كائناً لي . ومثله قول الشاعر :

تعزَّ فلا شيءٌ على الأرضِ باقيا ولا وَزَرٌ مما قضى اللهُ واقيا

وأكثر من ذلك دلالة على عدم استقراء النحاة لهذا النوع من الأحرف العاملة ، هو « إنْ » النافية ، فجمهورهم يجعلها عاملة عمل « ليس »

---

(١) يرى بعضهم أن (إذن) العاملة غير المهملة ، ويعد الثانية منهما (إذا) الظرفية المضمنة معنى الحرف ، إلا أنه حُذف فعل الشرط بعدها فلحق بها التنوين عوضاً عنه ، ولهذا يجب أن تكتب - بحسب هذا المذهب - بألف فوقها إشارة التنوين لا بالنون ، وهذا تكلف .

بالشروط التي تشترط في « ما » ، وهي مع ذلك حرف غير مختص ، إذ تدخل على الافعال ، كقوله تعالى : « وليحلفُنّ إن أردنا إلا الحسنى . » (التوبة ١٠٧) كما تدخل على الاسماء ، كقوله : « إن هو إلا ملك كريم . » (يوسف ٣١) .

مهما يكن من شيء فإن الحروف – في عرف القدماء – عوامل ضعيفة ، فهي دون الفعل ولذلك لا تقوى على العمل في كل شيء ، من ذلك أنها لا تعمل عادة في الفضلات ، كالظرف والحال والتمييز والاستثناء ، ولكن بعضها يحمل معنى الفعل فيعمل في بعض الفضلات ، فالحرف (ليت) مثلاً فيه معنى : أتمنى ، وكأن فيه معنى : يُشْبِه ، ومن أجل ذلك نصب بهما الحال ، كقول النابغة الذبياني :

كأنه خارجاً من جَنْبِ صفحته
سَفُّودُ شَرْبٍ نَسُوهُ عندَ مُفْتَأَدِ (١)

فقوله : خارجاً ، حال عملت فيها : كأن .

وتقول : ليت سعيداً أخوك غنياً . فقولك : غنياً ، حال ، عملت فيها: ليت ، والتقدير في العبارتين كما يلي : أشبه القرن خارجاً من جنب صفحة الكلب بسفود شرب مَنسيّ عند مفتأد . وأتمنى أخوّة سعيدٍ لك في حال غناه .

ج – الأسماء :

الأسماء في الاصل لا عمل لها ، بل هي التي تعمل فيها العوامل من

---

(١) الهاء في : كأنه ترجع إلى قرن الثور ، والهاء في : صفحته : ترجع إلى كلب الصياد ، والسفود سيخ الشواء ، والمفتأد : موضع الوقود الذي يعد للشواء .

أفعال وحروف ، غير أن ما يعمل منها قسمان : قسم يعمل عمل الفعل ، لأنه يشبهه في دلالته ، وقد يحل محله ، وقسم آخر يعمل عمل الحرف لانه يتضمن معناه .

أما القسم الاول فيشمل : المصدر ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، واسم التفضيل ، واسم الفعل . فبعض هذه الاسماء تدل على الحدث مجرداً من الزمان ، كالمصدر ، وبعضها الآخر يدل على الحدث مقروناً بالزمان ، كاسمي الفاعل ، والمفعول ، واسم الفعل ، وهذا من وظيفة الفعل المعنوية في الكلام .

وأما القسم الآخر فيقتصر على أسماء الشرط ، لأنها تضمنت معنى الحرف « إن » ، فإذا قلت : متى تأت أكرمْك ، كان المعنى : إن تأت في أي وقت أكرمك .

العوامل المعنوية

آ — **الابتداء** : وهو التجرد من العوامل اللفظية ، غير الزائدة ، فالمبتدأ حين يتجرد من الاحرف المشبهة ، والافعال الناقصة ، يرفع بالابتداء .

ب — **وقوع الفعل المضارع موقع الاسم** : أي أن الفعل المضارع يقع موقع الاسم فيُرْفَع ، فقولك : العمل يفيد ، يشبه قولك : العمل مفيد . فلما وقع موقع الاسم رُفع (١) .

* * * *

---

(١) لنحاة الكوفة مصطلح آخر في العامل المعنوي هو : الخلاف ، أي عدم المماثلة ، وهو الذي يعمل النصب عندهم في الظرف بعد المبتدأ ، وفي الفعل المضارع بعد (أو ، والفاء ، والواو) في الحالات المعروفة ، وفي المفعول معه ، وكان الفراء منهم يستعمل أحياناً مصطلح : الصرف ، بدلاً من الخلاف.

والعامل اللفظي عند النحاة أقوى من العامل المنوي ، لانه يُزيل حكمه ، فاذا قلت : الرجل قادم ، رفعت الرجل بالابتداء ، وهو عامل معنوي ، وإذا قلت : ليت الرجلَ قادم . نصبته بالعامل اللفظي : ليت . وأبطلت عمل الابتداء المعنوي .

العامل الأصل والعامل الفرع

وههنا ظاهرة هامة تساعد على فهم النحو العربي ، لعلها ظهرت فيما بسطناه من أمر العامل ، ولكننا نؤثر أن نزيدها وضوحاً في هذه الفقرة ، فقد تبين لنا أن للعامل نوعين : الاول عامل يعمل أصالة ، وآخر يعمل حملاً على غيره ، ويسمى الاول أصلاً ، ويقال للآخر : فرع .

ونجد في منطق العربية ظاهرةً واضحة جداً هي أن الفروع تنحط أبداً عن مرتبة الأصول ، ولعل في الامثلة الآتية ما يوضح لك ذلك :

١ ـ المشتق من الاسماء ، كاسم الفاعل واضرابه ، يعمل عمل الفعل ، فهو إذاً فرع عليه ، ولذلك تراه أضعف منه ، لأنه يعمل بشروط سنتحدث عنها بتفصيل في موضعها من هذا الكتاب ، وليس هذا فحسب ، بل إن الاسم المشتق كلما ازداد شبهاً بالفعل ، اي بالاصل ، ازداد قدرة على العمل ، وكلما ضعف شبهه بالفعل ضعف عمله ، ومن أجل ذلك ترى اسم التفضيل مثلاً أقل المشتقات عملاً لانه اقلها شبهاً بالاصل .

٢ ـ وكذلك الامر في الادوات التي تعمل عمل « ليس » فهي كلها مقيدة بشروط ، وحين يختل شرط واحد منها يبطل عملها .

٣ ـ وترى هذه الظاهرة في « لا » النافية للجنس ، فهي فرع على « إنّ » في عملها ، ولذلك تنحط عنها مرتبة ، إذ لا تعمل إلا في النكرات ،

ولا يجوز أن يفصل بينها وبين اسمها بفاصل ، ولا تسبق بعامل من عوامل الجر ، على حين لا تؤثر هذه الظواهر كلها في عمل « إنَّ » .

٤ ـ وتلقانا هذه الظاهرة المنطقية في اسم الفعل ، فهو محمول في عمله على ما يسميه من الافعال ، فاسم الفعل المنقول : عليك ، فرع على الفعل : الزم ، ومن أجل ذلك كان أضعف منه في العمل ، ويتجلى لك هذا في أن « الزم » ينصب المفعول به إن تأخر عنه ، أو تقدم عليه ، تقول : الزم نفسك ، وتقول أيضاً : نفسَك الزم . أما اسمه : عليك ، فلا يعمل إلا إذا تقدم َمعْمولَه ، فلا يقال : نفسَك عليك . بل : عليك نفسَك :

طبيعة هذه العوامل

وهذه العوامل ليست بذات أثر حسي ، كالعوامل الطبيعية ، وآثارها تختلف عن أثر النار في الاحراق ، والماء في البرد ، ولكنها دلالات ليس غير ، ولهذا يكون فقدها علامة كوجودها .

على أن العوامل اللفظية ـ وإن كانت هي الاقوى ـ راجعةٌ في الحقيقة إلى أنها معنوية ، فنحن نقول مثلاً : رفع هذا الاسم لانه فاعل ، ونصب ذاك لانه مفعول ، وإنما قال النحاة : عامل لفظي ، وعامل معنوي ، ليدلوا على أن بعض العمل يأتي ُمسَبباً عن لفظ يصحبه ، فكلما جاءت (إنَّ) قبل الاسم نصب ، وكلما جاءت (في) قبله جر ، وهكذا .

والحقيقة أن العمل من الرفع والنصب ، والجر والجزم ـ كما يقول أحدهم ـ إنما هو للمتكلم نفسه ، مراعياً القوانين الاعرابية في لغة العرب ، عارفاً ما يكون عليه الاسم المعرب إذا تقدمه فعل معين أو حرف مختص .

٢ ـ الكلمة المعربة :

والمعرب من الكلمات هو الذي يتغير آخره بتأثير العـــامل الذي يسبقه ، فيرفع لانه فاعل أو مبتدأ مثلاً ، وينصب لانه مفعول أو حال ، ويجر إذا سبقه عامل جر ، من حرف أو اسم .

والأسماء معربة في أصل الوضع ، إلا أن بعضها يبنى لأسباب سنتحدث عنها في مكانها ، أما الافعال فمبنية ما عـدا الافعـال المضارعة التي أشبهت اسم الفاعل فأعربت ، وإذا لحقتها عـلامات الافعال بنيت ، كنون النسوة وإحدى نوني التوكيد .

علامات الاعراب

آ ـ الحركات :

في كل كلمة معربة حرف تظهر عليه آثار العوامل الإعرابية ، هو الحرف الاخير منها ، ويسمى في مصطلح النحو : حرف الإعراب ، كالباء من : كتاب ، والراء من : قمر ، والعين من : يضع .

إلا أنه قد يلحق الكلمة حرفٌ دخيل ، فيحل محل حرف الاعراب فيها ، كعلامات التأنيث في مثل : كبيرة ، وخضراء ، وسلمى ، وياء النسبـة في مثل : حلبي ، ودمشقي ، والحرف الذي زيد لإلحاق الكلمة بكلمـــة اخرى ، مثل : أرطيً ، وهو نوع من الشجر .

وحركات الإعراب هي : الرفع والنصب والجر ، ويلحق بها الجزم ، وهو ليس بحركة ، أما الرفع والنصب فمشتركان في الأسماء والافعال ، ويختص الجر بالاسماء فلا يدخل الافعال ، كما يختص الجزم بالفعل المضارع فلا يدخل الأسماء ، وعلة ذلك أن الاسماء في لغة العرب يلزمهـا التنوين والحركات ،

لتدل على المعاني المطلوبة ، ولذلك لا تجزم لئـلا تفقد دلالتها المنوية ، أما الافعال فلا تخفض لأن الخفض في العربية يكون بالإضافة أو بحرف الجر ، وفي الإضافة معنى التملك ، والفعل حدث لا يملك شيئاً حتى يضاف اليه ، كما أن حروف الجر لا تدخل عليه ولا تعمل فيه .

وفي لغة العرب ظواهر تخرج على هذا القانون العام ، فجمع المؤنث السالم تنوب فيه الكسرة عن الفتحة في حال النصب ، والممنوع من الصرف تنوب فيه الفتحة عن الكسرة في حال الجر .

ب — الحروف :

وهناك كلمات تكون فيها علامات الإعراب حروفاً لا حركات ، هي :

— **المثنى وملحقاته :** فالألف فيه علامة الرفع ، والياء علامة النصب والجر ، تقول : جاء الرجلان ، ورأيت الرجلين ، ومررت بالرجلين .

— **جمع المذكر السالم وملحقاته :** الواو فيه علامة الجر ، والياء علامة الجر والنصب مثل : أقبل الدارسون ، ورأيت الدارسين ، ومررت بالدارسين .

— **الأسماء الستة :** وهي : أبٌ ، أخ ، حم ، فو ، ذو ، هَنٌ . الواو فيها علامة الرفع والياء علامة الجر ، والألف علامة النصب ، تقول : جاء ذو مال ، ومررت بأخي خالد ، ولا تملأ فاك بالكلمات .

ويشترط فيها أن تكون : مفردة ، ومضافة إلى غير ياء المتكلم ، وغير مصغرة . وإذا اختل شرط من هذه الشروط كانت علامات إعرابها الحركات ، تقول : هذا أبٌ عظيم . وإنه لأخٌ كريم . وهؤلاء آباء صدقٍ ، وهـذا أخَيّك . إلا « ذو » منها ، فإنها في حال الجمع تلحق بجمع المذكر السالم ، تقول : جاء ذوو مال ، ورأيت ذوي مال .

ـ **الأفعال الخمسة** : وهي الأفعال المضارعة حين تتصل بها ألف الاثنين أو واو الجماعة أو ياء المؤنثة المخاطبة، فيكون علامة الرفع فيها ثبوت النون، ويكون حذف النون منها علامة للنصب والجزم، تقول : الناس يعملون بجد. والناس لم يعملوا بجد. والناس لن يعملوا بجد.

الاعراب التقديري

في بعض الأحيان لا يظهر أثر العامل الإعرابي على الكلمة المعربة، إما لأن حرف الإعراب فيها يتعذر ظهورها عليه، وإما لأن الحركة الاعرابية تثقل عليه، كما توضحه لك الامثلة الآتية :

ـ إذا دعا داعي الجهاد لبيتُ النداء.

فقوله : داعي، فاعل للفعل : دعا، وينبغي له أن يُرْفَع، وتظهر حركة الرفع على الياء، ويقال : داعيُ الجهاد، والحق أن اللسان قادر على ذلك، ولكن لصعوبةٍ سببُها ثقل اللفظ تحذف الحركة وتسكن الياء للتخفيف، ويقال في إعرابها : فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء للثقل. واذا قلت :

ـ يدعو الواجبُ إلى العمل.

كان الفعل : يدعو ـ وهو فعل مضارع مرفوع ـ معرباً إعراباً تقديرياً، لأنه منتهٍ بواو، وإظهار حركة الرفع عليها ثقيل على اللسان، ومن أجل ذلك تحذف، وتقدر، ولكن لاحظ العبارة الآتية :

ـ ينأى الفتى عن الحمى في سبيلِ العيش

فالفعل : ينأى، مضارع، وحقه أن يكونَ مرفوعاً، والاسم : الفتى، فاعل، وحقه الرفع، والاسم : الحمى وقع بعد حرف الجر، وحقه أن يجر، غير

أنك إذا حاولتَ أن تُظهر حركات الاعراب على الألف التي تنتهي بها كل كلمة عجزت عن ذلك ، لأنه يستحيل ظهورها عليها ، ولهذا كان الإعراب تقديرياً ، ويقال فيها : مرفوعة أو مجرورة ، وعلامة رفعها أو جرها الضمة او الكسرة ، المقدرة على آخرها للتعذر .

على أن هذا يتوقف على حركتي الرفع والجر ، أما حركة النصب فتظهر على الواو والياء دون ان يشعر اللسان بثقل النطق بالكلمة ، تقول :

— إنّ القاضيَ لن يدعُوَ المحاميَ إلى المحكمة .

ففي هذه العبارة ظهرت حركة النصب على الياء والواو ، كما هو ظاهر ، وعلة ذلك أنها خفيفة غير ثقيلة ، والغاية من حذف الحركتين الاخريين هي الجنوح إلى الخفة في النطق .

وعلى هذا يكون الإعراب التقديري في الكلمات المعربة التي تنتهي بألف أو ياء أو واو ، إلا إذا كانت منصوبة ، فعند ذلك يكون إعرابها تقديرياً إذا كانت منتهية بألف ، وغير تقديري إذا كانت منتهية بواو أو ياء .

على أنه يباح في ضرورة الشعر أن تظهر حركتا الرفع والجر على الواو والياء ، على الرغم من الثقل ، وذلك لإقامة الوزن ، كما في قول جرير :

فيوماً يجازينَ الهوى غيرَ ماضيٍ ويوماً تَرى فيهنّ غُولاً تَغَوّلُ

الإعراب المحلي

أما هنا فلا يقوى العامل على أن يؤثر في الكلمة التي بعده ، لأنها مبنية لا تتأثر بالعوامل ، ولكنها نزلت منزلاً لو نزلت فيه كلمة معربة لأثر فيها العامل السابق لها ، أو المتأخر عنها ، انظر إلى المثال الآتي : إدفعْ عنه

الأذى ... فالضمير المتصل بحرف الجر : عن ، مبني على الضمّ ، لم يتـأثر بالعامل الجار قبله ، ولو تأثر لوجب أن يقال : عنْهِ . ولكن لو نزل في موضعه اسم معرب مثل : الوطن ، لجر متأثراً بالعامل ، فنقول : عن الوطنِ . ولهذا نقول في إعراب الضمير : مبني على الضم في محل جر بحرف الجر .

ويكون الإعراب محلياً فيما يلي :

ـ **الكلمات المبنية** : وهي الاسماء التي بنيت لمشابهتها الحرف ، مثل أسماء الإشارة والاسماء الموصولة ، واسماء الاستفهام ، والشرط ، والضمائر ، و ... وسنتحدث عنها في قسم خاص ، وقد مثلنا لها في المثال السابق بالضمير المتصل .

ومن الكلمات المبنية الفعل الماضي ، إذ يكون إعرابه محلياً حين يسبق بعامل الجزم ، تقول : إن عملَ أخوك ربح . فـ : إنْ ، تجزم فعلين مضارعين معربين ، ولكنها هنا صادفت فعلين ماضيين ، هما : عمل ، وربح ، وكلاهما مبني لا تؤثر فيه العوامل ، ولذلك يكون الإعراب محلياً ، نقول في إعراب الاول : فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم بإن ، لانه فعل الشرط ، وكذلك نقول في إعراب الآخر : فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم بإن ، جواب الشرط .

ومثله الفعل المضارع حين يبنى لاتصاله بنون النسوة أو بإحدى نوني التوكيد ، تقول : لا تحسبَنَّ العملَ سهلاً . فـ : لا ، ناهية ، وهي تجزم الفعل المضارع المعرب ، إلا أنها هنا صادفت فعلاً مضارعاً مبنياً على الفتح ، ولا يتأثر بعملها ، ولهذا نقول في إعرابه : فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا الناهية . وكذلك إذا قلت : الطالباتُ يكتبْنَ . تقول في إعراب : يكتبن : فعل مضارع مبني على السكون في محل رفع ، لتجرده من الناصب والجازم .

٢ — **الجمل**: وإعراب الجمل محلي أيضاً، لأن العوامل لا تؤثر فيها تأثيراً لفظياً، إلا ان بعضها ينزل منازلَ للمفردات المعربة، تقول: هذا عمل يفيد. فجملة: يفيد، فعلية في محل رفع، صفةٌ لـ: عمل. وهكذا بقية الجمل ذات المحل الاعرابي.

٣ — **المصدر المؤول**: وهو - وإن كان من المفردات - يشبه الجملة في خفاء أثر العامل فيه، تقول: أحب أن تنجح. فالفعل أحب متعد ينصب مفعولاً به، ومفعوله هنا هو المصدر المؤول، ولكنه لا يقدر أن يؤثر فيه تأثيراً لفظياً، ولذلك نقول: والمصدر المؤول من «أن والفعل تنجح» في محل نصب، مفعول به للفعل: أحب.

٤ — **الاسم الذي عمل فيه عامل زائد**: كالاسم المجرور بحرف جر زائد، مثل: لست بذاهب. فالباء حرف جر زائد، وذاهب: اسم مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر (ليس) (١).

٣ - الكلمة المبنية:

تحدثنا عن الكلمات المبنية في فقرة «الاعراب المحلي»، ولا بد لنا هنا من أن نقول فيها شيئاً لتوضيحها.

فالمبنيات هي: الأحرف والافعال ما عدا المضارعَ الذي لم تتصل به نون النسوة أو إحدى نوني التوكيد، وبعض الاسماء، كأسماء الشرط،

---

(١) بين النحاة في هذا خلاف. فبعضهم يعد القسم الاخير من الاعراب التقديري، ويعرب: بذاهب، على الشكل التالي: الباء حرف جر زائد، وذاهب: خبر ليس منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة العارضة التي جلبتها الباء الزائدة.

والاستفهام ، والإشارة ، والأسماء الموصولة ، والضمائر ، والظروف ، والاحوال المركبة ، و ...

والأصل في المبنيات أن تكون مسكنة مثل : كم ، ومن ، ومتى ، إلا أن بعضها أتى مبنياً على الفتح مثل : كيف ، وأين ، وأيان : وأتى بعضها الآخر مبنياً على الضم ، مثل : منذُ ، وقبلُ ، وبعدُ ، وبني آخر على الكسر مثل : سيبويهِ ، حذارِ ، حذامِ ، وأمسِ . قال ابن مالك :

وكل حرف مستحق للبنا — والأصل في المبني أن يسكنا

ومنه ذو فتحٍ وذو كسر وضمْ — كأينَ أمسِ حيثُ والساكنُ : كمْ



الأسماء المبنية

الأسماء في الاصل معربة ، لأنها هي التي تتسلط عليها العوامل لتؤدي وظائف معنوية في تركيب الكلام ، فالفاعل والمفعول ، والمبتدأ والخبر ، والحال والتمييز ، والمضاف إليه والمنادى ، كلها أسماء يكشف فيها الاعراب عن المعنى المقصود .

إلا أن بعض الأسماء – على الرغم من تسلط العوامل على معظمها – تخالف هذا الأصل ، فلا تكون معربة ، لانها تختلف عن الاسماء المعربة في وضعها اللفظي ، أو في طبيعة استعمالها ، أو في أداء المعنى ، وتكون في هذا كله أقرب إلى الحرف ، فبعضها – كالضمائر المتصلة – لا يزيد على حرف أو حرفين (١) ، وبعضها الآخر – كأسماء الشرط والاستفهام – يتضمن معنى الحرف ، وقسم آخر – كالأسماء الموصولة – لا يظهر معناه إلا بغيره ، وبعضها أيضاً تشبه الحرف في أنها تعمل في غيرها ، ولكن غيرها لا يعمل فيها ، وهي أسماء الأفعال .

والمبني نوعان : سماعي ، وقياسي .

أما الأول : فهو الذي استعملته العرب مبنياً ، وتلقّاه العلماء عنهم ودونوه ، فلا يخضع لقاعدة ، كالضمائر المتصلة والمنفصلة ، واسماء الاستفهام والشرط والاشارة ، والاسماء الموصولة وأسماء الأفعال والاصوات ، وبعض

---

(١) أما الضمائر المنفصلة التي تزيد على حرفين فتلحق بالضمائر المتصلة من حيث البناء .

الظروف ، مثل : إذا ، إذ ، الآن ، حيث ، منذ ، مذ ... وقد علل النحاة بناء هذه الأسماء بشبهها بالحروف ، كما بينا .

أما الأسماء المبنية قياساً فمنها ما يبنى على الفتح ، ومنها ما يبنى على الضم ، ومنها ما يبنى على الكسر .

ما يبنى على الفتح قياساً

يطرد البناء على الفتح في الأسماء الآتية :

آ ـ المركبة تركيباً مزجياً :

وهي ما تألفت من كلمتين كانتا في الاصل مستقلتين ، كقول عبيد ابن الابرص :

نحمي حقيقتَنا وبعـ ـضُ القومِ يسقط بينَ بينَنا

وكقولك : ظهر أحدَ عشرَ كوكباً . فأنت ترى قول الشاعر : بين بين ، مبنياً في جزأيه على الفتح في محل نصب على الظرفية المكانية ، وكذلك ترى « أحدَ عشرَ » مبنياً في جزأيه على الفتح في محل رفع ، لانه فاعل للفعل : ظهر ، وهذا كثير ، كقولك : أعملُ صباحَ مساءَ ، وهو جاري بيتَ بيتَ .

ومن المركبات ما يبنى جزؤه الأول ، ويعامل جزؤه الآخر معاملة الممنوع من الصرف ، وهو ما كان اسم علم ، تقول : بدت لنا حضرموتُ ، وهذه بعلبكُّ .

ب ـ أسماء الزمان المبهمة :

أسماء الزمان المبهمة هي التي لا تحدد وقتاً معيناً ، مثل : يوم ، وعام ،

وحين ، و ... فهذه جميعاً تبنى على الفتح إذا أضيفت إلي جملة ، ولكن بناءها جائز لا واجب ، ومعنى هذا أنه يجوز فيها الإعراب والبناء ، غير أن كلاً منهما يرجح على صاحبه في موضع دون آخر ، وذلك على الشكل التالي :

١ - يرجح البناء إذا كان صدر الجملة المضاف إليها مبنياً ، وذلك إذا كان فعلاً ماضياً كقول النابغة الجَعْدي :

أتتْ مئةٌ لِعامَ وُلِدْتُ فيهِ وَعشْرٌ بعدَ ذاكَ وحجتانِ

وقول النابغة الذبياني :

على حينَ عاتبتُ المشيبَ على الصِّبا
وقلتُ : ألمّا تَصْحُ والشيبُ وازعُ

فــي البيت الأول أضيف اسم الزمان المبهم « عام » إلى جمـــلة صدرهــا مبني لأنه فعل ماض ، وكذلك أضيف في البيت الثاني « حين » إلى جملة : عاتبت الشيب . ومن هنا رجح البناء على الفتح ، فلم يؤثر في كل منهما حرف الجر السابق له ، وظل ملازماً لحركة الفتح لانها حركة بناء .

٢ - ويرجح الاعراب على البناء إذا كان صدر الجملة المضاف إليها معرباً ، كما في قول الفرزدق :

على حينٍ لم أتركْ على الارضِ حيـةً
ولا نابحـاً إلا استسرَّ عَقورُها (١)

وقوله تعــالى : « هــذا يومُ ينفعُ الصادقينَ صدقُهم » (المائدة ١٢٢) ففي هذين الشاهدين تجد غير ما وجدته هناك ، فاسما الزمان المبهمان : حين ، ويوم ، معربان تأثر الأول بعامل الجر « على » فجر ، وتـأثر الثاني بعـامل

---

(١) استسر : استخفى . العَقور : كل سبع جارح . يريد أنه لم يدع أحداً من الشعراء إلا جعله يستخفي من مخافته .

الرفع ، وهو المبتدأ ، فرفع ، لأن كلاً منهما أضيف إلى جمله صدرها فعل مضارع معرب .

ولكن هذا ـ كما قلنا ـ جواز لا وجوب ، أي أنك تستطيع أن تبنيَ اسم الزمان المبهم في قول الفرزدق وفي الآية القرآنية ، وأن تعربه في قول النابغتين : الذبياني والجمدي ، ولكنك إن فعلت ذلك تركت أرجح المذهبين ، وأفصح اللغتين .

ج ـ الأسماء المبهمة عامة :

الاسم المبهم كلمة ليس لها دلالة واضحة إذا كانت مفردة ، فلو قلت : هذا الرجل مِثْلٌ . كان تشبيهك غير واضح ، لأن كلمة « مثل » مبهمة لا تدل على معنى محدد إلا إذا اضفتها إلى شيء ، كأن تقول مثلاً : هذا الرجل مثل اخيك . فكل اسم لا يتضح معناه إلا بما يضاف إليه يكون اسماً مبهماً من قبيل « مثل » .

على أننا هنا لا نخص هذا الضرب من الاسماء بالبحث ، بل نتحدث عن الأسماء المبهمة عامة ، سواء أكانت ظروفاً أم غير ظروف ، والفرق بين هذه الفقرة والتي سبقتها هو أن المضاف إليه هنا كلمة مفردة ، لا جملة كما كان هناك .

فهذه الأسماء إذا اضيفت إلى كلمة مبنية بنيت جوازاً على الفتح ، كما ترى في قوله تعالى : « وأنا منا الصالحون ، ومنا دونَ ذلك » (الجن ١١) . فقوله : دون . مبتدأ ، مبني على الفتح في محل رفع . وعلة بنائه أنه اسم مبهم أضيف إلى اسم الإشارة المبني .

ولكنِ الاسم نفسه لم يُبْنَ في قوله تعالى : « ويعبدون من دونِ

الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم » (الفرقان ٥٥) لأنه أضيف إلى اسم معرب.

ويدلك على هذا قول جرير:

رددنا لشعثاءَ الرسولَ ولا أرى كيَوْمَئِذٍ شيئاً تُرَدُّ رسائلُه

فقوله: يوم، بني على الفتح، ولم يتأثر بعامل الجر الكاف، لأنه أضيف إلى « إذ » وهي مبنية.

على أن البناء هنا - كما قلنا - ليس واجباً، فقد جاء في النصوص الفصيحة إعراب بعض هذه الأسماء المبهمة، على الرغم من استيفائها لشروط البناء، كما ترى في قوله تعالى: « فإن آمنوا بمثلِ ما آمنتم به، فقد اهتدوا » (البقرة ١٣٧) فإن « مثل » هنا أضيفت إلى مبني وهو « ما » الموصولة، ومع هذا أعربت ولم تبنَ على الفتح.

د - اسم « لا » النافية للجنس:

ومما يبنى على الفتح قياساً في لغة العرب اسم « لا » النافية للجنس، إذا كان مفرداً أي غير مضاف أو شبيه بالمضاف، ولم يسبقها عامل من عوامل الجر، ولم يفصل بينه وبينها فاصل ما، وذلك كقول تأبط شراً:

لا شيءَ أسرعُ مني ليس ذا عُذَرٍ
وذا جناحٍ بِجَنْبِ الرَّيْدِ خفَّاقِ

وإذا كان مثنى أو جمعاً بني على ما ينصب به، مثل: لا رجلينِ في الدار، ولا قائمينَ فيها، ولا قائماتِ هناك (١).

---

(١) يرى بعض النحويين أن يبنى جمع المؤنث السالم على الفتح، لا على ما ينصب به.

ما يبنى على الضم قياساً

ويبنى على الضم قياساً الاسماء الآتية :

آ ـ ما قطع من المبهمات عن الإضافة :

سواء أكانت ظروفاً أم غير ظروف ، وهي أسماء لا تستعمل إلا مضافة، منها : غير ، وبعد ، وقبل ، وقدام ، وتحت ، واول ، وعل . كقوله تعالى : « اهْدِنا الصراط المستقيم ، صراطَ الذين انعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم » (الفاتحة ٥ ـ ٦) ومن ذلك قول نصيب بن رباح :

أهيمُ بدعـدٍ ما حييتُ فإن أمُتْ
فيا ليتَ شعري مَنْ يهيم بها بَعْدي

وهذا كثير .

إلا إنه قد يحذف الاسم الذي أضيفت إليه حذفاً لفظياً ، دون أن يزول معناه في التركيب ، وهذا يشبه إضمار الفاعل في الفعل ، ويعني هذا أن المضاف إليه مقدر بعدها ، ومن أجل ذلك تبنى المبهمات على الضم لتدل على هذه النكتة اللغوية المعنوية ، تأمل قوله تعالى : « سنة الله في الذين خلوا ِمن قبلُ . » (الأحزاب ٦٢) فقوله : قبل ، مقطوع عن الإضافة ، والمعنى: من قبلِ هذا الزمان ، أو من قبلكم . وكذلك يقال في لغـة التجارة : المطلوبُ من فلان مئةُ ليرة ، ليس غَيْرُ (١) . والتقدير : ليس المطلوبُ منه غيرَ ذلك . ومن هذا قولُه تعالى : « فما يكذبك بعـدُ بالدين » (التين ٣) وقوله : « لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ » (الروم ٤) ، ومنه قول رجل من تميم :

---

(١) هم يستعملون : لاغير ، وهذا من الاخطاء الشائعة .

لمنَ الإلهُ ثعيلةَ بنَ مسافرٍ لَعْناً يُشَنُّ عليهِ من قُدامُ

وهناك كلمة سمعت مبنية على الضم ، هي « عَلُ » ، كما ترى في قول الفرزدق :

ولقد سددتُ عليكَ كلَّ ثنيةٍ
وأتيتُ نحو بني كليبٍ مِنْ عَلُ

وفي قول عدي بن زيد :

في كناسٍ ظاهرٍ يسترُهُ مِن عَلُ الشفَّانُ هدابُ الفَنَنْ (١)

وفي هذه الحال تكون محدودة المعنى ، فالتقدير في بيت الفرزدق : وأتيت بني كليب من فوقهم . وفي بيت عدي : من فوقه . وعلى هذا تكون مقطوعة عن الإضافة ، أما إذا لم تقطع فتكون معربة مجرورة بـ (من) ، كقول امرىء القيس :

مِكَرٍّ مفرٍ مقبلٍ مدبرٍ معاً
كجلمود صخر حطه السيل من علِ

إذ التقدير : حطه السيل من مكانٍ عالٍ . ومثله قول جرير :

إني انصببتُ من السماءِ عليكم
حتى اختطفتك يا فرزدقُ من عَلِ

---

(١) الكناس : بيت الظبية في الشجر . الشفّان : الريح الباردة مع المطر ، وهي في البيت منصوبة على نزع الخافض . يصف فتاة فيشبهها بظبية دخلت بيتها الذي تستره الأغصان من فوقه ، فتحميه من الريح الباردة المبلّلة بالمطر .

وعلى هذا تكون في إعرابها نكرة لا معرفة.(١)

ومن الواضح البين أن هذه المبهمات إذا لم تقطع عن الإضافة تكون معربة، كقولك: عرفت هذا قبل ذلك. وكقوله تعالى: «وما تفرق الذين أوتوا الكتابَ إلا من بعدِ ما جاءتهم البينة» (البينة ٤)

ب ـ المنادى:

ويبنى المنادى على الضم إذا كان اسمَ علمٍ مفرداً، أو نكرة مقصودة، مثل: يا خالد، يا سعيد، يا علي، يا رجل، يا نائم..

---

(١) هذا ما يفهم من كلام النحاة، إلا أن واقع اللغة المسموعة يشير إلى اضطراب في استعمال هذه الكلمة، فحيناً يؤكد المعنى أنها معرفة، ومع ذلك تراها مجرورة معربة، كقول أبي النجم يصف الحصان:

أقَبُّ من تَحْتُ عريضٌ من عَلِ

فقوله: عَلِ، معرفة، لأنه مردود على: تحتُ، والمعنى أن الحصان ضامر من تحتِه عريض من فوقِه، أي ضامر البطن عريض الظهر، ومن اجل ذلك رواه النحويون: من علُ. حتى يستقيم لهم الأصل.

وليس هذا فحسب بل هناك ما هو اكثر من ذلك، فالعرب تقول: من علُ، ومن عَلْوُ، ومن عَلُو، ومن علِ، ومن عَلْوِ، ومن عَلِي، ومن عَلْوَ، ومن علا، قال أبو النجم:

باتت تنوشُ الحوضَ نوشاً من عَلا

واكبر الظن أن هذا لا يرجع إلى الضرورة الشعرية فحسب، وإنما كان يُسمع من الفصحاء في بواديهم.

ج - أي الموصولة :

ومن المبنيات على الضم الاسم الموصول « أي » ، ولكن يشترط في ذلك أن يكون مضافاً إلى ضمير ، ومحذوفاً صدرُ صلته ، كما ترى في قوله تعالى : « ثم لننزِعَنَّ من كل شيعة أيُّهم أشد على الرحمن عِتِيّاً » (مريم ٦٩) ، فالتقدير ، لننزعن الذي هو أشد على الرحمن .

ومثله قول غسان بن وَعْلة :

إذا ما لقيتَ بني مالكٍ فسلِّمْ على أيُّهُمْ أفْضَلُ

فأنت ترى « أي » في الآية لم تنصب متأثرة بالعامل « ننزع » ، ولم تجر في البيت بعامل الجر « على » ، بل لزمت حركة الضم لأنها حركة بناء لا حركة اعراب . (١)

ما يبنى على الكسر قياساً

وفي اللغة أسماء تبنى على الكسر بناء قياسياً ، وذلك ضمن شروط ، إذا استوفتها بنيت ، وإلا كان لها حكم آخر ، وهي :

---

(١) هذا الذي ذهبنا اليه هو مذهب سيبويه ، وقد خالف فيه شيخيه الخليل بن أحمد ويونس بن حبيب وقد عده بعض من تأخر من نحاة البصرة من أخطاء سيبويه ، كأبي بكر بن السراج ، وابي اسحاق الزجاج ، الا ان المذهب - مع هذا كله - ثبت وانتشر ، ولم يؤخذ بآراء الآخرين ، وذلك منذ القرن الرابع للهجرة ، ولعل ذلك كان بفضل أبي علي الفارسي وابي سعيد السيرافي ، انظر في هذا كتابنا : الخلاف النحوي ٢٦٧ - ٢٦٩ .

أ ـ العَلَمُ المختوم بـ : وَيْهِ :

كتلك الأسماء التي كثر استعمالها بعد اختلاط العرب بالفرس خاصة ، مثل : سيبويه ، ودُرُسْتُوَيْه ، ونِفْطَوَيه (١) .

ب ـ ما كان على وزن فَعالِ :

وتستعمل هذه الصيغة علماً للأنثى ، مثل : حَذامِ ، أو شتماً لها مثل : يا خَباثِ ، ومنه قول الخليفة عمر بن الخطاب للأمةِ التي تقنعت : ألقي عنكِ الخِمارَ يا دَفارِ . أي : يا دَفِرة ، والدفرة المنتنة . وتستعمل كذلك اسم فعل أمر ، مثل : حذارِ .

والعرب ـ ما عدا بني تميم ـ تبنيها على الكسر ، فتقول : جاءت حَذامِ ، ومن هذا قول الشاعر :

إذا قالت حذامِ فصدقوها فإنَّ القولَ ما قالتْ حذامِ

أما تميم فلا تبني على الكسر من هذه الأسماء إلا ما انتهى براء ، أما غير ذلك فتعربه وتجعله ممنوعاً من الصرف ، وعليه قول الفرزدق التميمي :

متى ما تَرِدْ يوماً سَفارِ تَجِدْ بها
أديْهِمَ يرمي المستجيزَ المُعَوَّرا (٢)

---

(١) يجيز بعض النحاة وجهاً آخر هو ان تعرب وتعامل معاملة الممنوع من الصرف .

(٢) سفار : اسم بئر . والمستجيز : المستقي . والمعور : المردود عن الماء . وأديهم : احد بني كعب ، كان يحمي سفار ، ولا يسمح للناس بالاستسقاء .

فقد بنى « سفار » على الكسر لأنها تنتهي براء ، وهذا لحن قومه ، أما غير تميم فيبنون على الكسر كل ما كان على وزن : فعالِ ، مهما يكن الحرف الأخير ، كما مر بك في الشاهد الشعري السابق ، وكما ترى في قول النمر بن تولب العُكْلي :

تأبَّدَ من أطلالِ جَمْرَةَ مأسَلُ
فقد أقفرتْ منها شَراءِ فيذبلُ

إذ بنى « شراء » على الكسر ومحلها الرفع ؛ لأنها على هذه الصيغة .

ج - بناء أمسِ :

وتبنى هذه الكلمة على الكسر قياساً إذا أريد بها يوم معين ، ولم تصغر أو تجمع أو تثنَّ أو تضف أو تعرف بأل ، مثل : رأيتك أمسِ ، ومنه قول حاتم الطائي :

هل الدهرُ إلا اليومُ أو أمْسِ أو غَدُ
كذاكِ الزمانُ بيننا يتردَّدُ

فالواضح البين أن الشاعر هنا يريد بكلمة « أمسِ » اليومَ الذي سبق يومه الذي هو فيه ، ولذلك بناها على الكسر ، وهي في محل رفع ، لأنها معطوفة على كلمة : اليوم .

وهناك قبيلة عربية هي تميم كانت تجعل هذه الكلمة معربة ممنوعة من الصرف ، كقول أحد الشعراء :

إني رأيتُ عجباً مذْ أمسا

فكلمة « أمسا » هنا محلها الجر ، وعلامة جرها الفتحة نيابة عن الكسرة لأنها ممنوعة من الصرف في هذه اللغة .

شواهد للتدريب

١ ـ «فلما نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمةٍ منا، ومن خزْيِ يوْمَئِـذٍ ....» (هود ٦٦)

٢ ـ قال الراعي النميري :

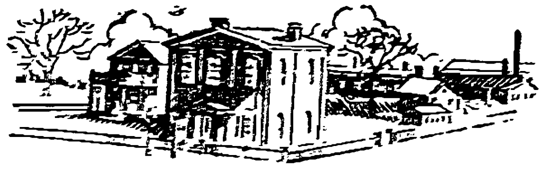
على حينَ ضمَّ الليلُ من كل جانبٍ
جنـاحَيْهِ وانقضَّ النجومُ الطوالعُ

٣ ـ قال أوس بن حجر :

فَمَلَّكَ بالليطِ الذي تحتَ قشرِها
كغِرْقِيءِ بَيْضٍ كنَّهُ القيضُ من عَلُ

٤ ـ قال معن بن أوس :

لعمرِكَ ما أدري وإني لأوْجَلُ
على أيِّنــا تعدو المنيــةُ أوَّلُ



الممنوع من الصرف

إلى جانب الأسماء المبنية التي تحدثنا عنها في الفقرة السابقة ، نرى في العربية أسماءً أخرى معربة تتأثر بالعوامل النحوية ، ولكنها تختلف عن غيرها من الأسماء المعربة بشيئين اثنين ، هما :

١ ـ أنها لا تنون .

٢ ـ وأنها لا تلحقها الكسرة في حال الجر ، بل تكون الفتحة فيها نائبة عن الكسرة ، ويتضح لك هذا في قول الاخطل :

لَعَمْرُكَ ما أدري وإني لسائل أمُرَّةُ أمْ أعمامُ مُرَّةَ أظْلَمُ

فالاسم : مرة ، ممنوع من الصرف ، ولهذا رأيته حين وقع مرفوعاً بالابتداء لحقته الضمة ، كما تلحق الأسماء المعربة ، ولكنه لم ينون ، وحين وقع مجروراً بالإضافة لم تلحقه الكسرة كما تلحق غيره من الأسماء في حال الجر ، بل نابت عنها الفتحة لتكون هي العلامة .

وعلى هذا يكون الاسم الممنوع من الصرف يشبه الاسم المصروف ويختلف عنه ، يشبهه في قبوله علامَتَيْ الرفع والنصب ، وهما الضمة والفتحة ، ويختلف عنه في أنه ـ كما رأينا ـ لا يقبل التنوين ولا الكسرة ، تقول : هذه مساجدُ وكنائسُ جميلةٌ . ورأيت مساجدَ وكنائسَ جميلةً ، ومررت بمساجدَ وكنائسَ جميلةٍ .

غير أن الاسم الممنوع من الصرف يعود الى حظيرة الأسماء المصروفة ، وذلك بحالين :

١ ـ أولاهما : إذا دخلت عليه «ألْ» العهدية أو الجنسية .

٢ ـ والثانية : إذا وقع مضافاً .

تقول : مررت بالمساجدِ والكنائسِ الجميلة . ومررت بمساجدِ المدينة وكنائسها . فأنت ترى هنا أن الاسمِ الممنوع من الصرف صُرف بعد أن لحقته (أل) في الجملة الاولى ، وبعد أن اضيف في الجملة الثانية .

ومن الطبيعي أن يجوز في ضرورة الشعر صرف الاسم غير المصروف ، كما ترى في قول امرىء القيس :

ويوم دخلتُ الخِدْرَ خِدْرَ عنيزةٍ
فقالت : لك الويلاتُ إنك مُرْجِلي

فقد نون : عنيزة ، وألحق بها الكسرة ، وهذا في لغة الشعر جائز ، ولكنه خطأ في لغة النثر .

ونؤثر هنا أن نقسم الاسم الممنوع من الصرف ثلاثة أقسام : العلم ، والصفة ، وما ليس بعلم ولا صفة .

العلم الممنوع من الصرف

١ ـ العلم المؤنث :

اسم العلم المؤنث قسمان : قسم سميت بـه الأنثى ، مثل : زينب ، ودعد ، وفاطمة ، وليلى ، ويسمي : المؤنث الحقيقي ، وقسم آخر سمي به المذكر ، ولكن لحقت بلفظه علامة التأنيث ، مثل : حمزة ، وطلحة ، وعنترة ، ومعاوية ، ورضوى ـ اسم جبل ـ ويسمى المؤنث اللفظي .

ومهما يكن نوع التأنيث في العلم فإنه علة لمنعه من الصرف، قال جميل بثينة :

وإني لأرضى من بثينةَ بالذي
لوَ ابْصرَهُ الواشي لقرتْ بلابِلُهْ

لقد مُنِع العلم : بثينة ، من الصرف فلم تلحق به الكسرة، بل نابت فيه الفتحة عنها، لأنه مؤنث حقيقي . وقال قيس بن زهير العبسي :

شفيتُ النفسَ من حَمَلِ بنِ بدرٍ
وسيفي من حُذَيْفَةَ قد شفاني

قوله : حذيفة ممنوع من الصرف ، لأنه مؤنث تأنيثاً لفظياً .

ومن الأسماء ما يقصد به المؤنث حيناً ، والمذكر طوراً ، كأسماء القبائل ، مثل : قريش ، وتميم ، ونمير ، و ... فقد يراد بها : القبيلة ، وعند ذلك تمنع من الصرف للعلمية والتأنيث ، نحو قول عدي بن الرِقاع :

غلب المساميحَ الوليدُ سماحةً وكفى قريشَ المعضلاتِ وسادَها

وقد يقصد بها الجَد ، وعند ذلك تصرف ، كقول جرير :

إذا غضبتْ عليكَ بنو تميمٍ حسبتَ الناسَ كلهُمُ غِضابا

ومما يشبه أسماء القبائل في منعه تارة ، وصرفه تارة أخرى أسماء المواضع والبلدان ، فحيناً يراد منها البقعة أو البلدة أو المحلة ، فيجتمع فيها العلمية والتأنيث ، فتمنع ، وطوراً يراد منها الموضع او القطر ، فتزول عنها صفة التأنيث ، فتصرف ، انظر قول جرير :

أبحْتَ حِمى تِهامةَ بعدَ نجدٍ وما شيءٌ حميتَ بمُستَباحِ

فقد منع (تهامة) من الصرف للعلمية والتأنيث ، وكذلك ترى (هَجَرَ) ممنوعة في قول الفرزدق :

مِنهنَّ أيامُ صدقٍ قد عُرِفْتُ بها
أيامُ فارسَ والأيامُ من هجَرا

وفي المثل العربي القديم : « كمستبضع التمرِ إلى هَجَرَ » (١)

ومثل ذلك مَنْعُ (وَجْرَةَ) في قول امرىء القيس :

تصد وتُبْدي عن أسيلٍ وتتقي
بناظرةٍ من وحشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ

ولكن تأمل قوله تعالى : « ويوم حُنَيْنٍ إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغنِ عنكم شيئاً » (التوبة ٢٥) ، فإنه قد صرف « حنين » على الرغم من أنه اسم موضع ، وعلة ذلك أنه أراد بـه الوادي الذي بين مكة والطائف ، وبذلك زالت عنه صفة التأنيث ، أما حسان بن ثابت فقد منع الاسم نفسه في قوله :

نصروا نبيهمُ وشدّوا أزْرَهُ بحُنَيْنَ يومَ تواكُلِ الأبطالِ

لأنه أراد به المعركة ، فأنثه فمنعه .

وفي بعض الأحيان يجتمع مع العلمية والتأنيث صفة ثالثة هي العجمة، مثل : مصر ، وحمص ، ودمشق ، ولندن ، وفي هذه الحال لا يجوز إلا المنع ، سواء أكان الاسم ثلاثياً ساكن الوسط ، أم لم يكن ، تقول : عدت من مصرَ إلى دمشق ، ثم انتقلت إلى حِمْصَ فحلبَ . فلما كانت هذه الأسماء كلها أعجمية لم يجز فيها إلا المنع . (٢)

---

(١) المثل في الميداني ٢/١٥٢ برقم ٣٠٨١

(٢) جاء في موضع واحد من القرآن الكريم اسم : مصر ، مصروفاً ، وهو قوله تعالى : « اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم » (البقرة ٦١) فذهب فريق من النحويين إلى أن المقصود بها مصر من الأمصار =

وإذا كان اسم العلم ثلاثياً ساكن الوسط جاز منعه، وجاز صرفه، ولا سيما إذا كان مما تسمى به النساء، كصرف (هند) في قول قيس بن جروة الطائي:

أيوعدني والرملُ بيـني وبينَهُ
تبيَّنْ رويداً ما أمامَةُ من هِنْدِ

ومنع (دعد) وصرفه في قول جرير:

لم تتلفـعْ بفضلِ مِئْزرِهـا
دعْدٌ ولم تُغْذَ دعْدُ في العُلَبِ

٢ - العلم الأعجمي :

وهو الاسم الذي دخل في لغة العرب من لغة أخرى، سواء أكانت لغة سامية أم غير سامية، ويشترط فيه أن يكون علماً في اللغة المنقول عنها، مثل: إبراهيم، يوسف، دمشق، بغداد، تقول: أقمتُ في بغدادَ سنةً دراسية، اتصلت فيها بإبراهيمَ وغيرِه، ثم عدت إلى دمشقَ لأنهلَ من مكتباتها.

أما إذا لم يكن علماً في اللغة المنقول عنها فلا يمنع، فلو سميت مذكراً بـ: فِرِنْد، وهو فارسي غير علم، صرفته، وقلت: رأيت فرنداً،

= لا مصر بعينها، وعلى هذا تكون نكرة لا علماً، وذهب فريق آخر إلى أن المقصود مصر بعينها، والألف فيها للوقف لا للتنوين، ورأى فريق ثالث أنها صرفت لأنه أريد بها المكان، وقاسها آخرون على مثل هند، ودعد، مما تسمى به النساء. انظر فيها:

سيبويه ٢/٢٣، ومعاني القرآن للفراء ١/٧٠، والبحر المحيط ١/٢٣٤

وجاء فرندٌ ، ومررت بفرندٍ . وعلة هذا أن العرب عاملت مثل هـــذه الكلمات معاملة النكرات ، وصرفتها صرفها .

والأعجمي كالمؤنث إن كان ثلاثياً ساكنَ الوسط ، إذ يجوز صرفه إلا إذا سمي به المؤنث ، كقوله تعالى : « إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوحٍ والنبيين من بعده » (النساء ١٦٣) .

والعرب تمنع الاسم الذي لا نظير له في أسمائها ، تشبهه بالأعجمي ، مثل : إبليس ، ووزنه إفعيل ، من أبلس ، وأيوب ، وزنه : فَيْعول ، من آب يؤوب ، واسحاق ، من أسْحَق . (١)

٣ ـ العلم الذي على وزن الفعل :

في العربية أوزان خاصة بالأفعال ، لا تـأتي عليها الأسماء ، مثل : فعّل ، وتفاعل ، وافتعل ، ويفتعل ، ويفعلل ، الخ ...

وفيها أيضاً أوزان تشترك فيها الأفعال والأسماء ، ولكنها في الأفعال أكثر ، وذلك مثل : افْعِل ، وافْعُل ، وافْعَل ، فأنت قادر على ذكر أمثلة من الأفعـال كثيرة ، مثل : اجلس ، واصرف ، واكتب ، وادخل ، واسبح ، واسمع ، و ... على حين لا تقدر أن تأتيَ بالكثير من الأسماء على هذه الأوزان .

وعلى هذا تكون أسماء العلم من هذين الضربين ممنوعة من الصرف ، لأنهـا جمعت إلى العلمية وزنـاً يختص به الفعل ، أو يغلب عليه ، انظر قول جرير :

---

(١) هذا مذهب بعضهم ، ويرى آخرون انها اسماء اعجمية . انظر : تفسير الطبري (شاكر) ١ / ٥١٠

مُضَرٌ أبي وأبو الملوكِ فهل لكم
يا خُزْرَ تغلبَ من أبٍ كأبينا

فهو لم يُلْحِق الكسرة باسم العلم (تغلب) لأنه جمع العلمية ووزنَ الفعل (١) ، ومثله قول جميل :

أبوك حُبابٌ سارقُ الضيفِ بُرْدَهُ
وجدي يا حجاجُ فارسُ شَمَّرا

أما إن كان اسم العلم على وزن تتساوى فيه الأفعال والأسماء فلا يمنع من الصرف . فالعلم : حَسَنٌ ، يشبه في الوزن : ضربَ ، وجعفر، يشبه : دحرج ، وصالح ، يشبه : ناضل ، إلا أن هذه الأوزان لا يغلب فيها الفعل ، ولا يختص بها ، ولذلك لا تمنع من الصرف ، تقول : جاء حسنٌ ومررت بجعفرٍ ، ورأيت صالحاً .

ومن الطبيعي بعد هذا أن تكون الأعلام التي جاءت على أوزان لا يجيء عليها الفعل مصروفة مثل : محمود ، رباح ، سهاد ، بديع ، و ... انظر إلى قول كثيّر عزة :

سقى الله أمواهاً عرفْتُ مكانها
جُراباً ومَلْكوماً وبذَّرَ والغَمْرا

فقوله : جُراباً ، اسم لموضع فيه ماء ، لم يمنع من الصرف لأنه على وزن لا يشترك فيه الفعل البتة ، ومثله : ملكوم ، أما بذّر : فهو على صيغة

---

(١) وهناك علة ثالثة فيه ، هي انه اسم علم مؤنث ، لانه يعني القبيلة ، وقوله : خزر ، جمع مفرده : اخزر ، وهو الذي في عينيه حول .

خاصة بالفعل ، ولذلك منع من الصرف ، فلم ينون كما نُون الاسمان اللذان سبقـاه .

٤ ـ العلم المعدول :

وهناك أسماء علم على وزن (فُعَل) وردت عن العرب ممنوعة من الصرف ، فزعم النحاة أنها معدولة عن (فاعل) ، منها : عُمر ، مضر ، قزح ، دلف ، زحل ، زفر ، جثم ، هبل ، جُحى . أي أن (عمر) مثلاً أصله : عامر ، فعدل به عن هذه الصيغة إلى صيغة (فُعَل) فقيل : عمر . ومثله سائر الأسماء المذكورة (١) .

ومما سمع ممنوعاً من الصرف : سَحَرَ ، علماً على وقتٍ معين ، غير معرف بـ (أل) وقد زعم النحاة أنه أريد به التعريف ، وكان حقه أن يعرف بألْ ، فعدلوا عن ذلك وجعلوه معرفـة بلا (أل) فهو عندهم معدول عن (السَّحر) ، وإذا أريد به مطلق الوقت بلا تحديد صُرف ، كقوله تعالى : « إلا آلَ لوط نجيناهم بسحرٍ » (القمر ٣٤) .

ومثل (سحر) غُدْوةُ ، وبكرة ، ورجب ، وصفر ، ويلحق بها عند بعض تميم : أمس .

٥ ـ العلم المركب تركيب مزج :

وإذا ركب العلم تركيب مزج منع من الصرف ، وذلك أن تتركب كلمتان فتتصل الثانية بنهاية الأولى حتى تصيرا كالكلمة الواحـــدة ، مثل :

---

(١) ويلحق بها أسماء توكيد تؤكد بها جموع المؤنث ، وهي : جُمَع ، كتع ، بتع ، بصع . إذ عدل بها من جمع المؤنث إلى جمع التكسير . وسمع : أدَد ، علمَ قبيلةٍ مصروفاً ، فقال النحاة : إنه غير معدول .

بعلبك ، حضرموت ، يزدجرد ، قالي قلا . نحو قول قيس بن الملوح :

ولو أنّ واشٍ باليمامةِ دارُهُ
وداري بأعلى حضرموتَ اهتدى ليا

٦ - العلم المزيد فيه ألفٌ ونون :

من ذلك : عثمان ، فأصله : عُثْم ، وهو فرخ الثعبان ، ومروان ، وأصله : مَرْوٌ ، وهو الصوان أو نوع من النبات ، وغَطَفان ، وأصله : غَطَف ، وهو قلة هدب العين ، وهذا الضرب من الأعلام ممنوع من الصرف بعد زيادة الألف والنون ، قال لبيد بن ربيعة :

فإن لم تجد من دون عدنانَ والداً
ودون مَعَدٍّ فلتَزَعْكَ العواذلُ

وقالت الخنساء :

وإن تمسِ في قيسٍ وزيدٍ وعامرٍ
وغسانَ ، لم تسمعْ له الدهرَ لاحيا

فقد منع لبيد (عدنان) من الصرف ، فلم ينونه ولم يلحق بـه الكسرة ، كما فعل في العلم الآخر : مَعَد ، لأن عدنان مزيد بالألف والنون. وكذلك فعلت الخنساء في : غسان . للعلة نفسها ، وكذلك فعل جرير في منع اسم العلم : عثمان ، في قوله :

يا أم عثمانَ إن الحب عن عَرَضٍ
يصبي الحليم ويبكي العين أحيانا

وفي بعض الأسماء ما يشكل ، من ذلك قولهم : عفان ، فان كانت الألف والنون زائدتين ، فأصله : عفٌّ ، وعند ذلك يمنع من الصرف ،

وإن كانت النون أصلية ، فأصله من العفن ، ولعله مبالغة اسم الفاعل : عافِن ، وهو الذي يُصَمِّد في الجبل ، وعلى هذا لا يمنع من الصرف لأن النون أصلية فيه لا زائدة . ومن هذا القبيل : حسان ، فهي إما من : الحَسّ ، وإما من الحُسْنِ ، فعلى الأول ممنوعة من الصرف ، وعلى الثاني مصروفة . وكذلك : حَيّان ، إن كانت من : حَيّ ، فهي ممنوعة وإن كانت من : الحَيْن ، أي الهلاك ، فهي مصروفة .

الصفة الممنوعة من الصرف

ويمنع من الصفات ما كان على وزن : أفعل ، أو فَعْلان ، أو كان صفة معدولة .

١ — الصفة على وزن « أفعل » :

إذا كانت الصفة على وزن : أفعل ؛ ولا يلحق مؤنثها التاء منعت من الصرف ، هي ومؤنثها كمنع (أشقر) في قول الحارث بن هشام المخزومي:

اللهُ يعلمُ ما تركتُ قتالهُمْ
حتى عَلَوْا فرسي بأشقرَ مزبدِ

لأن مؤنثها : شقراء ، لا : أشقرة ، وكمنع (بيضاء) في قول بشر بن أبي خازم :

فقد ألهو إذا ما شئتُ يوماً إلى بيضاءَ آنسةٍ لعوبِ

ويستوي في هذا ما كان صفة مشبهة ، كما تقدم ، وما كان اسم تفضيل ، كمنع (أحسن) في قوله تعالى : « وإذا حُيِّيتُمْ بتحيةٍ فحيوا بأحسنَ منها أو رُدوها » (النساء ٨٦) .

أما إذا كان المؤنث منها بالتاء فلا تمنع من الصرف ، تقول : رأيت رجلاً أرملاً ، ومررت برجل أرملٍ ، وعلة ذلك أن مؤنثها : أرملة ، فلحقته التاء . وبهذا يكون المؤنث والمذكر مصروفين قال الشاعر :

ليبكِ على مِلْحانَ كلُّ مُدَفَّعٍ وأرملةٍ تزجي مع الليل أرملا (١)

٢ ـ الصفة على وزن « فعلان » :

وإذا كانت الصفة على وزن : فعلان ، ولا تؤنث بالتاء ، منعت من الصرف هي ومؤنثها ، كمنع (ريان) في قول الفرزدق :

إذا شئتُ غَنّاني من العاجِ قاصفٌ
على مِعْصَمٍ ريّانَ لم يتخددِ (٢)

ومثله منع ظمأى في قول ذي الرمة يصف السراب :

يَجْري فيرقُدُ أحياناً ويطرُدُهُ
نكْباءُ ظمأى من القَيْنطيَّةِ الهُوجِ (٣)

أما (ضَحْيان) فليس بممنوع من الصرف ، لأن مؤنثه : ضحيانة ، ولذلك صرفه ساعدة بن جؤية الهذلي في قوله :

ولو أن الذي يُتْقى عَليْهِ بضحيانٍ أشَمَّ ، به الوُعولُ (٤)

---

(١) المدفَّع : الذي لم يجد من يُضيفه .
(٢) العاج هنا الأساور التي تلبسها المغنية من العاج ، ومعصم ريان : ناعم حسن المنظر .
(٣) نكباء ظمأى : يريد بها الريح الجافة الحارة .
(٤) جواب (لو) في أبيات بعد هذا البيت . والضحيان : البارز للشمس .

وكذلك يصرف مؤنثه ، كما في قول تأبط شراً :

وقُلَّـــةٍ كسِنانِ الرمحِ بارزةٍ
ضحيانةٍ في شهور الصيفِ مِحْراقِ

ومثله : ندمان وندمانة . (١)

٣ ـ الصفة المعدولة :

وتمنع الصفة من الصرف إذا عدل بها عن مسلك التعبير المألوف الذي تستعمل فيه ، ويكون ذلك في الأعداد ، وفي الصفة « أخَر » .

أما الأعداد فقد سمع من العرب العدل بها من لفظها المعروف إلى أحد الوزنين الآتيين :

١ ـ مَفْعَل : مثل مَوْحد ، ومَثْنى ، ومَثْلث .
٢ ـ فُعال : مثل ثُلاث ورُباع .

والمسموع في اللغة الفصيحة الموثوق بها من واحد حتى أربعة ، كما ترى في قوله تعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مَثْنى وثُلاثَ ورُباعَ » (النساء ٣) وفي قول صخر أخي الخنساء :

ولقد قتلتُهُمُ ثُناءَ ومَوْحَـــداً
وتركتُ مُرَّةَ مثلَ أمسِ المُـدْبِرِ

---

(١) هناك صفات أخرى ، معظمها من غريب اللغة ، مثل : حبلان ، لكبير البطن ، وحبلانة ، ودخنان لكثير الدخان ، ودخنانة ، وسيفان ، للطويل ، وسيفانـة ، وصوجان ، للقوي ، وصوجانة ، وقشوان ، للهزيل ، وقشوانة ، و ...

فأنت ترى الشاعر منع : مَثْنـــاء من الصرف ، لأنه صفـــة معدولة ، فبدلاً من أن يقول : قتلتهم اثنين اثنين ، قال : مَثناء . ودليل منعـه إياه من الصرف أنه لم ينونه ، على أن الضرورة قد ألجأته إلى تنوين (موحد) وهذا ـ كما قلنا من قبل ـ لا يجوز إلا في لغة الشعر .

وقد قاس بعض الشعراء القدماء ، وهو الـكميت بن زيد ، على ذلك ما زاد على الأربعة ، فقال :

فلم يستريثوك حتى رميـ ت فوق الرجال خِصالاً عُشارا

وليس هذا القياس بعيداً عن الصواب ، ما دام صاحبـــه من الشعراء الفصحاء (١) ، ولهذا يكون النحاة الذين أجازوا القياس في هـذه المسألة على مذهب صحيح .

وأما كلمة (أُخَرَ) فهي جمع مفرده (آخر) أو : أخرى ، وهي جمع اسم تفضيل ، فعُدِل بها معنى ، واستعمالاً .

ففي المعنى خلت من معنى التفضيل ، وصارت بمعنى « غير » كقولك : قرأت هذا الكتاب وكتباً أُخَرَ ، فـ : أخر ، هنا لا يراد بها المفاضلة ، بل تعني : كتباً غيره .

وفي الاستعمال نُنِّكبَ بها سبيل التعبير المألوف في اسم التفضيل ، وهو أن يلزم الإفراد والتذكير إذا جرد من : أل ، والإضافة ، وأن يذكر بعده المفضل عليه مجروراً بـ : مِنْ . مثل : أخوك أطولُ منك ، واختاك أطول منك ، وأخوتك وأخواتك أطول منك . ولكن (أخر) خالفت هـذا الاستعمال فجاءت جمعـــاً مع الجمع ، وهي مجردة من (أل) والإضافة .

---

(١) على الرغم من أن الأصمعي كان ينال من فصاحته .

ما ليس بعلم ولا صفة

وتمنع الأسماء الأخرى غير الأعلام والصفات في حالين :

١ ـ أن تكون فيها ألف التأنيث الممدودة أو المقصورة :

وذلك مثل : صحراء ، وكبرياء ، وخنفساء ، وأصدقاء ، وشعراء ، ومثل : جرحى ، وذكرى ، كقولك : تجاوز بنا الركبُ صحراءَ مخيفةً ، وقولك : نُسبت هذه القصيدة إلى شعراءَ كُثُرٍ .

وسمع من العرب منع : أشياء ، كما في قوله تعالى : « لا تسألوا عن أشياءَ إنْ تُبْدَ لكم تَسُؤكُمْ » (المائدة ١٠١) ، فتحدث عنها النحاة أحاديث طويلة ، واختلفوا فيها اختلافاً واسعاً ، فأخضعها بعضهم للأصل الذي نحن فيه ، فزعم أن أصلها : شيئاء ، على وزن : فعلاء ، ثم حصل فيها قلب مكاني ، فتقدمت الهمزة التي هي لام الكلمة ، إلى ما قبل الشين ، التي هي فاؤها ، فصار وزنها : لَفْعاء ، وإنما فعل هذا كله ليبين أن الهمزة فيها زائدة لا أصلية ، وبذلك تطرد القاعدة ، ولا يعد صرف : أشياء ، غير واضح العلة . والمهم أن هذه الكلمة ممنوعة سماعاً ، ولا حاجة بنا إلى مثل هذا التأويل . (١)

٢ ـ أن تكون على صيغة منتهى الجموع :

وتمنع الأسماء من الصرف إذا كانت جمعاً على صيغة منتهى الجموع ،

---

(١) هناك كلمة يتوهم بعض الناس فيها فيظنون انها ممنوعة من الصرف لهذه العلة ، هي كلمة : أسماء ، جمع : اسم ، والحقيقة أنها غير ممنوعة لأن همزتها أصلية ، قال الله تعالى : « أتجادلونني في اسماءٍ سميتموها أنتم وآباؤكم » (الاعراف ٧١)

وهي ما كان بعد ألف الجمع فيها حرفان أو ثلاثة ، مثل : مساجد ، جنادل، مصابيح ، دواوين ، وهذا الجمع نادر المثال في أوزان الأسماء المفردة ، قالت الخنساء :

ماذا تضمن من جودٍ ومن كرمٍ
ومن خلائقَ ما فيهن مُقْتَضَبُ

فأنت ترى كيف لحق التنوين والكسر قولها : جود ، وكرم ، على حين نابت الفتحة مناب الكسرة في قولها : خلائق ، لأنها جمع تكسير على صيغة منتهى الجموع .

* * * *

قلنا من قبل : إن صيغة منتهى الجموع نادرة المثال في الأسماء المفردة ، فقد أحصى النحويون منها ما لا يزيد على خمسة ، منها : ثمانٍ ، فهي مثل : جَوارٍ ، وغواشٍ ، ولكنها ليست جمعاً مثلهما ، بل اسم عدد ، والقياس أن تعامل معاملة الاسم المنقوص ، تقول : اشتريتُ عشر طابات ، فأبقيتُ لنفسي اثنتين ، ووزعت منها ثمانياً ، فقد لحق التنوين بـ : ثمانيا ، كما يلحق بـ : مُحامٍ ، في قولك : رأيت محامياً .

غير أن أحد من يحتج به من شعراء العربية ، وهو ابن ميادة ، منع صرف : ثمانٍ ، في قوله يصف حماراً وحشياً شبه به ناقته :

يحدو ثمانيَ مولعاً بلقاحها حتى هَمَمْنَ بزَيْغةِ الارتاجِ

فلم ينون : ثماني ، للضرورة الشعرية ، لأن الكلمة تشبه في بنائها اللفظي بناء صيغة منتهى الجموع وإن لم تكن جمعاً .

ومثل : ثمانٍ ، في هذا ، الأسماء الآتية : شَناحٍ ، للطويل ، وحَزابٍ ،

للغليظ ، ورباعٍ ، للبعير أو الفرس ، أو الحمار ، الذي ألقى رَباعيته ، وهي إحدى أسنانه التي تلي الثنايا .

وهناك أيضاً : سراويل ، إلا أنها كلمة أعجمية عُرِّبت ، فمنعت من الصرف ، وأجاز بعضهم صرفها .

شواهد للتدريب

١ ـ قال عروة بن حزام :

خليليَّ من عُليا هلال بن عامر بصنعاءَ عوجا اليوم وانتظراني
ألِمَّا على عفراء ، انكما غدا بشحط النوى والبين معترفانِ

٢ ـ قال ابن الزبرقان :

وإن يك من كعب بن يَشْكُرَ منصبي
فان أبانا عامر ذو المحامد

٣ ـ قال يزيد بن الحذاق :

وأردتُ خطةَ حازمٍ بطلٍ حيرانَ أوبقه الذي يُسدي

٤ ـ قال عمرو بن معد يكرب :

وكم من فتيةٍ أبناء حرب على جُردٍ ضوامرَ كالقِداحِ

بحوث الفعل

مقدمة في دراسة الفعل في العربية

الفعل في العربية ثلاثة أقسام ، ما دل على حدث تم ومضى زمنه ، ويسمى الفعل الماضي ، وما دل على حدث يجري في الزمن الحاضر ، أو في المستقبل ، ويقـــال له الفعل المضارع ، وما دل على طلب عمل سيقع في المستقبل ، وهو فعل الأمر .

والمقياس الزماني في دلالة الفعل عند نحاة العربية هو لحظة التكلم ، فما وقع قبلها كان ماضيـاً ، وما يقع فيها يكون حاضراً ، وما يقع بعدهـا يعد مستقبلاً .

ويتبين من هذا أن للفعل دلالتين : أولاهما الدلالة على الحـدث ، والثانية الدلالة على الزمان .

١ - دلالة الفعل على الحدث

يحد النحاة الفعل بأنه ما دل على حدث مقترن بزمان معين ، فقولك : كتب خالد . يدل على عمل قام بـه خالد في زمن مضى ، ويكتب خالد . يدل على عمل يقوم به في زمن التكلم ، أو سيقوم به بعده ، واكتب يا خالد . يدل على طلب القيام بحدث بعد زمن التكلم ، أي في المستقبل .

ولا ينفك الفعل من هذه الدلالة المزدوجة : الحدث والزمان ، إلا إذا استعمل استعمالاً خاصاً ، فبعض الأفعال في اصل وضعها تدل على حدث وزمان ، ولكنها أحياناً تسلب دلالة الحدث ، وتبقى لها الدلالة الزمانية ، كما في الأمثلة الآتية :

ظللنا قلقين حتى كان الامتحان .

فالفعل « كان » هنا يدل على حدث وزمان ، لأنه بمعنى « حصل » ، ولكن تأمله في هذه الجملة :

كان سعيد أخاك

تجده لا يدل على حدث ، بل على زمان فقط ، فالجملة تخبر عن أخوة سعيد لك ، ثم دخلت « كان » لتدل على أن هذه الأخوة كانت فيما مضى . ومثله الفعل (أمسى) في قولك :

تذكرت أخي حين أمسيتُ .

فإنه يدل على أن حدثاً وقع في زمن مضى ، لأنه يعني : دخلت في المساء ، أما إذا قلت :

أمسى الثوبُ نظيفاً .

فإنك لا تعني إلا أنه صار نظيفاً بعد أن كان غيرَ نظيف .

وهكذا نجد بعض الأفعال لا تدل على احداث ، وتبقى لها دلالتها على الزمان ، ولذلك تسمى أفعالاً ناقصة ، أما إذا دلت في بعض التراكيب على الحدث والزمان فإنها تكون تامة .

٣ ـ دلالة الفعل على الزمان

قسم النحاة القدماء ـ بعد استقرائهم الطويل ـ أفعال اللغة العربية من حيث الدلالة على الزمان ثلاثة اقسام :

١ ـ قسماً رأوه يدل على الزمن الماضي ، مثل : كتب ، وقرأ ، وعلم .

٢ ـ وقسماً رأوه يدل على الزمن الحاضر حيناً ، والمستقبل حيناً آخر ، مثل : يكتب ، ويقرأ ، ويفهم .

٣ ـ وقسماً ثالثاً رأوه يدل على المستقبل دوماً ، مثل : اكتب ، واقرأ ، وافهم .

على أن استقراءهم لكلام العرب ، وتمرسهم بالفصيح من القول ، جعلهم يشيرون في بعض المواضع إلى ان هذه الدلالة ليست مطلقة ، ولكنها عامة (١) ، هذا والنحاة القدماء لم يهتموا بهذه الدلالة الزمنية اهتماماً تاماً ، لأنهم شغلوا بقضايا الإعراب لحاجة الكتبة والناس إليها بعد فساد السليقة ، واحسبهم لو اهتموا بها لوصلوا في دراستها إلى ما لا يصل إليه لغوي معاصر ، لقربهم من الفصحاء ، وفهمهم لأساليبهم .

ولنحاول أن نبين في إيجاز بالغ دلالة الفعل العربي على الزمان ، أما فعل الأمر فلا يدل إلا على المستقبل ، ولذلك لن تكون له فقرة خاصة به .

وصيغ الفعل في العربية لا تدل على الزمان دلالات دقيقة ، لأن ظرف الزمان فيها يقوم بهذه المهمة قياماً كافياً ، ويحدد ازمنة وقوع الأفعال ، وبعض اللغات تعتمد في هذا على استعمال الأفعال المساعدة وأسماء المفعولين ، كالانكليزية ، ولها صيغ كثيرة لا تخلو من صعوبة .

آ ـ صيغة « فَعَلَ » ودلالتها :

نعني بهذه الصيغة ما يسمى في المصطلح النحوي (الفعل الماضي) ،

---

(١) انظر : فقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي ٣١٠ ، وأمالي ابن الشجري ١/٣٠٤

لأنها هي أساسه الأصيل ، وتـــدل على حدث وقع في زمن مضى قبل زمن التكلم .

ولكن هذا الأصل العام لا يستقيم دوماً ، فكثيراً ما تخرج هذه الصيغة عليه ، لتدل على أزمنة اخرى ، وذلك على الشكل التالي :

١ - قد تدل على الزمن الحاضر وقت التكلم ، كقول الناس بعضهم لبعض في العقود : بعتك البضاعة ، أو زوجتك ابنتي . وهي في حقيقـــة الأمر تدل على النية المعقودة للقيام بالحدث .

٢ - وقد تدل على المستقبل كما في جمل الدعاء ، كقولنا : صحبتك السلامة ، وحفظك الله . وقد تدل عليه في غير الدعاء ، كما في هذه الآية : « فسوف يلقَوْنَ غياً ، إلا من تاب وآمن وعمِلَ صالحاً » (مريم ٥٩ - ٦٠) وتقديره : إلا من يتوب . ومثله قوله : « ونفخ في الصور فصَعِقَ مَن في السماوات ومن في الأرض » (الزمر ٦٨) وقوله : « أتى امرُ الله فلا تستعجلوه » (النحل ١) ومثله قول الطرماح :

وإني لآتيكُمْ تَشَكُّرَ ما مضى
من البِرِّ واستيجابَ ما كان في غدِ

اي : ما سيكون في غدٍ .

٣ - وقد تدل على زمان مبهم غير محدد ، كقولك : كرم فلان ، وعظُم ، وسوِد الزنجي ، وعرِج زيد ، وكَحِلتْ عينُهُ ، أو حورت أو عورت . فهذه الأفعال جميعاً إنما تدل على صفات ثابتة غير متحولة ، لم تطرأ ، ولا تزول ، وإنما هي طبائع أو عاهات أو حِلى ، خلقت مع صاحبها ، فكانت من أصلِ تكوينه النفسي او الجسدي .

٤ ـ وقد تتجرد من الدلالة الزمنية البتة ، وهذا كثير في الفعل « كان » حين يكون ناقصاً ، كقوله تعالى : « وكان اللهُ عزيزاً حكيماً » (الفتح ٧ ، ١٩) « بل كان الله بما تعملون خبيراً » (الفتح ١١) « وكان الله غفوراً رحيماً » (الفتح ١٤) « وكان الله على كل شيء قديراً » (الفتح ٢١) « استغفروا ربكم إنه كان غفاراً » (نوح ١٠) الخ ... فلا يفيد الفعل « كان » هنا غير معنى التوكيد ، ولا يمكن أن يحدد عزة الله ، وحكمته ، وخبرته ، وغفرانه ، في زمن مضى وانتهى ..

هذا إذا استعملت هذه الصيغة مجردة من أدوات ذاتِ دلالةٍ خاصة ، وإذا صحبتها هذه الأدوات دلت على الأزمنة التالية :

١ ــ الماضي القريب :

وذلك إذا دخلت عليها « قد » ، فاذا قلت : جاء أخوك . عبرت بالفعل : جاء ، عن زمن مضى دون تحديد ، قد يكون بعيداً جداً ، وقد يكون قريباً ، ولكنك إذا قلت : قد جاء أخوك ، فإنما تعبر عن حدث وقع في زمن قريب من زمن التكلم .

ــ الماضي البعيد :

وإذا تقدمت عليه « كان » أو إشارة زمنية أخرى ، دل على حدث وقع قبل فعل آخر ، وهذا واضح في الآية الكريمة : « وحملناه على ذات ألواحٍ ودُسُرٍ ، تجري بأعيننا ، جزاءً لِمَنْ كان كَفَرَ » (القمر ١٣ ـ ١٤) ، ومثله : « ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب ، كما أتمها على أبويك من قبلُ » (يوسف ٦) ومثله ايضاً : « ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار » (الأحزاب ١٥) .

٣ — الدلالة على المستقبل :

وإذا وقع الفعل الماضي بعد « إذا » و « إن » الشرطيتين ، دل على المستقبل في الجملة فعلُ الشرط وجوابُه معاً ، مثل : إذا ما جاء الشتاء جئتُ إلى بلدك ، ومثل : إن جد أخوك وصل إلى ما يريد .

ب — دلالة « يَفْعَلُ » على الزمان :

والفعل المضارع يدل في الغالب على الحاضر أو المستقبل ، ولكنه كقسيمه الماضي يخرج على الشيوع ، وتكون له دلالة زمانية خاصة ، وذلك كما يلي :

١ - قد يدل على حقيقة ثابتة غير محددة بزمان ، كقولنا : ان الشمس تشرق من المشرق وتغرب من المغرب . ان الله يحيي ويميت . فهذه الافعال المضارعة لم تدل على حدث يجري زمن التكلم ، ولا على حدث سيقع بعدها ، بل دلت على حقائق جارية في كل زمان ، مستمرة دائمة ، ومثله : الشمس تنير الأرض ، والبحر يدفيء الجو ، والغيوم تهطل امطارا .

وكذلك قد تدل على عادة متبعة ذات قانون ثابت في كل زمان ، كقول العرب في مثلهم المشهور : قبل الرماء تملأ الكنائن .

٢ - وقد يدل على الزمن الماضي إذا صحبته قرينة ، كما في هذه الآية : « لِمَ تقتلون أنبياءَ اللهِ مِنْ قبلُ » (البقرة ٩١) ، ومثله : « استكبرتم ففريقاً كذبتم ، وفريقاً تقتلون » (البقرة ٨٧) والتقدير فيهما : قتلتم ، ومثله : « واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان » (البقرة ١٠٢) أي ما تلت ، او ما كانت تتلو ، ومثله قول امرىء القيس :

لعَمْري لقومٌ قد نرى أمسِ فيهم
مرابط الأمهار والعَكَرِ الدَّثْرِ (١)

وتلحقه الزوائد من الأفعال الناقصة والأدوات فيؤدي بها دلالات زمنية أخرى ثابتة فيه وذلك كما يلي :

١ — أدوات تخلص دلالته للمستقبل :

بعض هذه الأدوات نافية ، وبعضها مثبتة ، فـ « لن » تخلص النفي في الفعل المضارع للمستقبل ، فإذا قلت : لن أكتبَ ، أردت أن الكتابة لن تحدث في المستقبل ، وكذلك : لا ، كقولك أنا لا أبيت في مثل هـذا المكان ، وتقول : هذا صحيح لا يرتاب فيه أحد .

أما السين وسوف فللمستقبل المثبت كقولك : سوف أزور دمشق في العام الآتي ، وكذلك « أن » المصدرية ، كقولك : رغبت في أن أراك .

٢ — أداتان تخلصانه للماضي :

وهما : لم ، ولما ، أما الأولى فتجعله للماضي مطلقاً ، نحو : لم اذهب إلى الجامعة البارحة ، أما « لما » فيمتد نفيها من الماضي إلى زمن التكلم ، كقولك : لما ينقطعِ السيل . فالسيل مستمر إلى زمن التكلم .

٣ — دلالته على حدث مستمر في الماضي :

وذلك إذا سبق بالفعل « كان » كقولك : كنت اختلف إلى بيت أخي ، وأجد فيه الوداعة والأنس . فاختلافك إلى بيت أخيك كان مستمراً في الماضي.

---

(١) العكر : جماعات الإبل . والدثر : الكثير .

وكذلك وُجْدانُكَ فيه الوداعة والأنس . ومثله قوله تعالى : « كانوا لا يتناهَوْنَ عن منكرٍ فعلوه » (المائدة ٧٩) .

٣ — بناء الفعل واعرابه

ويقسم الفعل من حيث إعرابُه وبناؤه قسمين ، فعل مبني ، كالماضي والأمر ، وفعل معرب في حال ، ومبني في حال أخرى ، وهو المضارع .

١ — بناء الفعل الماضي :

يرى بعض النحاة أنّ اصل بناء الماضي الفتح ، ولكنه قد يعرض له عارض صوتي فيتعذر ظهور الفتح عليه ، مثل : كتب ، كتبا ، كتبت . فهو هنا مبني على فتح ظاهر لعدم وجود العارض . أما في : كتبوا ، كتبتُ ، كتبتَ ، كتبتِ ، كتبْنَ فقد عرض له ما أزال الفتح إزالة لفظية ، فواو الجماعة في : كتبوا ، لا يلائمها إلا الضم ، ولذلك حلت محل الفتح عرضاً ، وأما : كتبتُ ، وأخواتها فقد سكنت الباء تسكيناً عارضاً ، لابناءً ، لئلا يتوالى اربعة احرف متحركة فتثقل على اللسان .

ولم يكتب لهذا الرأي الشيوع ، على الرغم من صحته ومجاراته لروح اللغة ، أما الرأي الذي شاع وانتشر في بناء الفعل الماضي فهو :

١ ـ يبنى على الفتح إذا لم يتصل به شيء ، غير تاء التأنيث وألف الاثنين ، مثل : لعبَ ، لعبَتْ ، لعبَا .

٢ ـ ويبنى على الضم إذا اتصلت به واو الجماعة ، مثل : لعبُوا .

٣ ـ ويبنى على السكون إذا اتصلت بـه ضمائر الفاعل المتحركة ، لعبْتُ ، وأخواتها .

ولا يكون الاعراب محلياً في الفعل الماضي إلا إذا وقع فعلاً للشرط أو جواباً له، مثل: إن جئتْ حملت إليكَ كتاباً. تقول في إعرابها:

جئت: حملت: فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بضمير الفاعل المتحرك، في محل جزم بـ «إنْ» لأنه فعل الشرط او لأنه جواب الشرط، والتاء ضمير متصل الخ ...

٢ — بناء فعل الأمر:

القاعدة الأساسية هي أن فعل الأمر يبنى على ما يجزم به مضارعه، وذلك على الشكل التالي:

- الفعل (يكتب) يجزم بالسكون، والأمر منه يبنى على السكون.

- يرمي، ويدعو، ويَنْهَى، تجزم بحذف حرف العلة، وأفعال الأمر تبنى على حذف حرف العلة، مثل: لم يرمِ، لم يدعُ، لم يَنْهَ. ارمِ، ادعُ، إنْهَ.

- الفعل: يكتبون، يجزم، وتكون علامة الجزم فيه حذف النون، فيبنى الأمر منه على حذف النون، لم يكتبوا، اكتبوا.

- المضارع: يكتبَنّ، مبني على الفتح، والأمر منه مبني على الفتح أيضاً: اكتبَنّ.

٣ — بناء الفعل المضارع:

أما الفعل المضارع فلا يبنى إلا في حالين:

١ - إذا اتصلت به إحدى نوني التوكيد اتصالاً مباشراً، بني على الفتح، مثل: لا تلعبَنّ، لا تجهانّ. وفي هذه الحال يكون اعرابه محلياً، نقول مثلاً في إعراب: لا تكتبنّ: لا: ناهية جازمة، تكتبن:

فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم بـ « لا » الناهية ، والنون حرف توكيد لا محل لها من الإعراب ، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت .

أما إذا كان اتصال النون به غير مباشر ، كأن تقوم بينهما واو الجماعة ، أو ياء المؤنثة المخاطبة ، مثل : لا تكتمُنَّ اللهَ ما في نفوسكم . أو : لا تكتمِنَّ اللهَ ما في نفسِكِ . فإن الفعل في هذه الحال معرب لا مبني ، ولكن يحذف الضميران لالتقاء الساكنين .(١)

٣ ـ وإذا اتصلت به نون النسوة بني على السكون ، مثل : يقرأن ويكتبْن . وكذلك يكون إعرابه في هذه الحال محلياً ، تقول : النساء يكتبنَ . وإعرابه : يكتبن : فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة ، في محل رفع لتجرده عن الناصب والجازم . ونون النسوة الخ .

٤ ـ إعراب الفعل المضارع :

سمي هذا الفعل مضارعاً لأنه ضارعَ الاسمَ ، أي شابهه ، ويذكر

---

(١) واذا كان معرباً مرفوعاً مثل : هل تعملن ، تحذف نون الأفعال الخمسة لئلا يتوالى الأمثال . تقول في إعراب : لا تكتُمنَّ . لا : ناهية جازمة ، تكتمن : فعل مضارع مجزوم بلا ، وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة ، وواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع ، فاعل . والنون حرف توكيد لا محل له من الإعراب . وتقول في إعراب : هل تعلمُنّ . فعل مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم وعلامة رفعه ثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة ، وقد حذفت لئلا تتوالى ثلاث نونات ، والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين ضمير ، الخ ...

النحاة وجوهاً كثيرة للشبه يمكن تصنيفها في نوعين :

آ ـ شبه معنوي : فالفعل المضارع والاسم يتخصصان بعد أن يكونا شائعين ، تقول مثلاً : رجل ، بالتنكير والشياع ، ثم تخصص فتقول : رأيتُ الرجلَ . وتقول في الفعل المضارع : يكتبُ ، فالدلالة هنا شائعة بين الحاضر والمستقبل ، وتقول : لم يكتب ، فتخصص الدلالة في الزمن الماضي ، وتقول : سوف يكتب ، ولن يكتب ، ولا يكتب ، فتخصص دلالته بالمستقبل .

ب ـ شبه لفظي : وذلك أن اللام المزحلقة تدخل على كليهما ، تقول : إن فلاناً لكاتب ، كما تقول : إن فلاناً ليكتب . ثم إن الفعل المضارع يشبه في اللفظ اسم الفاعل من حيث الايقاعُ اللفظي ، فقولك : يضرب ، يشبه : ضارب ، من حيث الحركات والسكنات .

هذا الشبه جعل الفعل المضارع معرباً كالأسماء ، ومعنى هذا أن العوامل تؤثر فيه ، وله حالات ثلاث ، هي :

١ ــ **الرفع** : إذا لم يسبق بناصب أو جازم ، مثل : يكتب ، يكتبون ، يرمي . فالأول علامة الرفع فيه الضمة الظاهرة ، أما الثاني فعلامة رفعه ثبوت النون ، والأخير علامة الرفع فيه الضمة المقدرة على الياء للثقل .

٢ ــ **النصب** : إذا سبقه حرف من حروف النصب ، وهي : أن ، لن ، كي ، إذن . مثل : لن أكتب ، ولن يكتبوا ، فالأول منصوب ، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة ، والثاني علامة نصبه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة .

٣ ــ **الجزم** : إذا سبقه حرف من الجوازم ، وهي : لم ، لما ، لام الأمر ، لا الناهية ، وأدوات الشرط ، والطلب . مثل : لم يكتب ، ولم يكتبوا ، ولم يرم . الأول علامة جزمه السكون الظاهر والثاني حذف النون ، والثالث حذف حرف العلة .

اللازم والمتعدي من الأفعال

الأفعال من حيث العمل نوعان ، نوع يكتفي بفاعله ، ولا يتعداه إلى مفعول به ، وآخر لا يكتفي بالفاعل ، ويتعداه إلى مفعول واحد ، أو مفعولين ، أو ثلاثة .

والنوعان كلاهما سواء في نصب المفعولات الأخرى ، وفي نصب الحال كما يظهر لك في هذين المثالين :

١ ـ ذهبتُ البارحةَ إلى البيت إيثاراً للراحة ، معتمـــداً على ما أملكه في بيتي من وسائلها ، فالفعل : ذهبت ، لازم ، لم ينصب في المثال مفعولاً به ، ولكنه نصب مفعولاً فيه ، وهو : البارحـة ، ومفعولاً له ، هو : إيثاراً ، وحالاً ، هي : معتمداً . وهو قادر لو غيرنا الجملة على أن ينصب غير ذلك من المنصوبات ما خلا المفعولَ به .

٢ ـ كتبت الوظيفة البارحة إيثاراً للنجاح معتمداً على العمل والدأب. الفعل : كتبت ، هنا متعدٍ نصب ما نصبه الفعل السابق ، وزاد عليه في نصبه مفعولاً به ، هو : الوظيفة .

وعلى هذا يكون الفعل اللازم هو الذي لا ينصب مفعولاً به ، أما المتعدي فهو ما نصب مفعولاً به واحداً ، او اثنين ، او ثلاثة .

١ ــ الفعل اللازم

يكون الفعل لازماً إذا اجتمعت له الصفات الآتية :

آ - أن يكون من باب : فَعُل يفعُل ، وهو الذي يدل على سجية وغريزة ، مثل : كَرُمَ الرجلُ ، وعظُم الأمرُ ، وقصُر الثوبُ .

ب - أن يكون من باب : فعِل يفعَل ، وهو الذي يدل على لون ، أو عيب ظاهر ، أو حلية ظاهرة ، أو حال لها ثبوت طويل ، مثل : خضِرت الأرضُ ، وعوِرت عينُ فلان ، أو كحلت ، وسمِن الغلامُ ، وفرِح الولد ، ووسِخ بدنُه .

ج - ما دل على مطاوعة فعل متعد لواحد ، مثل : انكسر الزجاج ، واجتمع الناس ، وتباعد الأقرباء .

د - ما كان على وزن : افعلّ ، مثل : اغبرت الشوارعُ ، أو افعللّ ، مثل : اقشعر بدنه ، أو : افعنلل ، مثل : احرنجمت الإبلُ ، (أي اجتمعت) .

* * * *

الفعل اللازم إذاً لا يقوى على أن يوصل أثرَه إلى المفعول به مباشرة ، بل توصله إليه واسطة تقوم بينه وبينه ، هي حرف الجر ، تقول : ذهبت إلى المدرسة . ولا تقول : ذهبت المدرسةَ . وتقول : اضطررت إلى العملِ ، ولا تقول : اضطررت العملَ .

على أن حرف الجر يسقط أحياناً بعد الفعل اللازم ، وذلك على ضربين :

١ - سقوطه سماعاً :

فقد يسقط حرف الجر في بعض التراكيب ، كما ترى في قول جرير:

تمرون الديارَ ولم تعوجوا كلامُكم عليّ إذاً حرامُ

فالأصل : تمرون بالديار ، ولكن سقطت الباء ، ومثله قوله تعالى : « واختار موسى قومَه سبعين رجلاً » (الاعراف ١٥٥) ، والأصل فيه : اختار من قومه سبعين رجلاً . وفي هذه الحال ينصب ما بعد الفعل اللازم، كما هو واضح في الشاهدين ، أما نصبه فعلى نزع الخافض ، لا على أنه مفعول به .

وهذا الضرب من سقوط حرف الجر سماعي لا يقاس عليه ، إذ جاء في نصوص فصيحة محدودة وليس بمطلق .

٢ - سقوطه قياساً :

ويجوز في القياس أن يسقط حرف الجر إذا كان مجروره مصدراً مؤولاً من « أنْ » أو « أنّ » ، تقول : اضطررت ان اعملَ ، والأصل : اضطررت إلى أن اعمل . وتقول : عجبت أنك شاعر ، والأصل : عجبت من أنك شاعر . ويكون محل المصدر المؤول هنا جراً بحرف الجر المحذوف [١] .

* * * *

وههنا ظاهرة أخرى تلحق بهذا ، فما دام الاسم المجرور يلحقه أثر الفعل بوساطة حرف الجر ، فلماذا لا يكون هو ومجروره في محل نصب ؟

لقد ذهب إلى هذا نحوي كبير في القرن الرابع للهجرة [٢] ، فأجاز أن يعطف على الجار والمجرور بالنصب ، وتمثل بقوله : مررت بك وزيداً ، ونزلت عليه وجعفراً .

إلا أن هذا المذهب غير مسلم به ، ولم يُسمع في الكلام الفصيح

(١) يرى بعضهم انــه في محل نصب على نزع الخــافض ، وما ذهبنا إليه أقرب إلى الصحة .

(٢) هو ابن جني في كتابه الخصائص : ١٠٢/١

مثلُه، وإنما هو محض قياسٍ ذهني حُمِلت عليه اللغة، أضف إلى ذلك أن بعض النحويين يرده، ويقصر العطف بالنصب على محل المجرور بحرف جر زائد (١).

٢ — الفعل المتعدي

تنقسم الأفعال المتعدية بحسب تعديها إلى ثلاثة أقسام، فمنها ما ينصب مفعولاً به واحداً، ومنها ما ينصب مفعولين، ومنها ما ينصب ثلاثة.

آ ـ ما يتعدى إلى مفعول واحد:

يصعب حصر الأفعال التي تتعدى إلى مفعول واحد، وعلامتها أن تقبل ضميراً متصلاً للغيبة أو للمخاطب أو للمتكلم، مثل: ضرب، متعد، لأنه يقبل ضمير الغيبة، فيقال: ضربه، وضمير المخاطب: ضربك، ومثله كسر، وفهم، وقرأ، وكتب. ويشترط في هذا الضمير ألا يكونَ ضميرَ المصدر، مثل: انهزم العدو انهزاماً لم ينهزمه من قبلُ. ولا ضمير الظرف مثل: رمضانَ صمْتُهُ.

ب ـ ما يتعدى إلى مفعولين:

وهذا نوعان: أولهما ينصب مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبراً، كالأفعال: أعطى، ومنح، وألبس، وكسا، وسأل، مثل: أعطيت الرجل ليرة، وكسوت الفقير ثوباً. وثانيهما ينصب مفعولين اصلهما مبتدأ وخبر، وهو يشمل أفعال القلوب، وأفعال التحويل.

---

(١) انظر: مغني اللبيب (دمشق) ٥٢٦ (أقسام العطف)

لمَ أفعال القلوب ؟

قيل لها ذلك لأن معانيها نفسية ، إلا أنها تختلف من حيث الدلالة المعنوية ، فمنها ما يدل على اليقين ، وهي : وجد ، درى ، ألفى ، تَعَلَّمْ (بمعنى : إعْلم) فهذه الأفعال تدل على معنى الاعتقاد ، والتثبت من الأمر ، نحو : وجدت عملي سهلاً . ونحو قول خِداش بن زهير :

رأيتُ اللهَ أكبرَ كل شيءٍ
محاولةً وأكثرهم جنودا

وقول زياد بن سيار :

تعلمْ شفاءَ النفسِ قهْرَ عدوها
فبالغ بلطف في التحيل والمكر

ومنها ما يدل على الرجحان كالأفعال : جعل ، حجا ، عدَّ ، زعم ، هَبْ . كقوله تعالى : « وجعلوا الملائكةَ الذين هم عبادُ الرحمن إناثاً » (الزخرف ١٩) ، وقول تميم بن أبيٍّ بن مقبل :

قد كنت أحجو أبا عمروٍ أخا ثِقَةٍ
حتى ألمت بنا يوماً ملمات

ومثل : أعدك أخي ، وهبني أخاك .

ومنها ما يدل على اليقين حيناً ، والرجحان حيناً آخر ، مثل : رأى ، علم ، إلا أن اليقين أغلبُ فيها ، وقد تحدثنا عن « رأى » ، وأثبتنا لها شاهداً دلت فيه على اليقين ، أما ما دلت فيه على الظن الراجح ، فكقوله تعالى : « إنهم يرونه بعيداً ونَراهُ قريباً » (المعارج ٧) .

ومن هذه الأفعال : ظن ، وحسب ، وخال ، إلا أن دلالتها على الظن والرجحان أكثر من دلالتها على اليقين ، كقوله تعالى : « وما نرى لكم علينا من فضل ، بل نظنكم كاذبين » (هود ٢٧) ، وكقول زفر ابن الحارث الكلابي :

وكنا حسبنا كلَّ بيضاءَ شحمةً
عشيةَ لاقينا جُذامَ وحِمْيَرا

ومما دلت فيه على اليقين قول القطامي :

وحسبتُنا نَزَعُ الكتيبةَ غُدْوَةً
فيُغَيِّفونَ ونَرْجِعُ السَّرَعانا (١)

على أن هذه الأفعال تتغير معانيها بحسب السياق ، فالفعل (علم) قد يأتي بمعنى (عرف) ، ويأتي الفعل : ظن ، بمعنى : اتهم . وحجا ، بمعنى : قصد ، وحينئذ لا تنصب إلا مفعولاً واحداً ، مثل : « والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً » (النحل ٧٨) أي : لا تعرفون شيئاً ، ونحو : « وما هو على الغيب بظنين » (التكوير ٢٤) أي : بمتهم . ونحو : حجوت الجامعة ، إذا قصدتها .

أما أفعال التحويل فهي : صيَّر ، وما في معناه ، مثل : جعل ، ورد ، وترك ، واتخذ . مثل : « وجعلناه هباءً منثوراً » (الفرقان ٢٣) ، أي صيرناه . ونحو : « وتركنا بعضهم يومئذٍ يموجُ في بعض » (الكهف ٩٩) ، ونحو « واتخذ الله إبراهيم خليلاً » (النساء ١٢٥) ، ومنه قول هُبيرة بن عبد مناف :

---

(١) نزع : نكف ، يغيفون : ينهزمون ، السرعان : أوائل الخيل .

فإنْ تَنْجُ منها يا حَزِيمُ بنَ طارقٍ
فقد تركتْ ما خلف ظهرك بَلْقَعا (١)

* * * *

ويجوز في هذه الأفعال جميعاً حذف المفعولين ، أو حذف أحدهما، إذا دل على ذلك دليل ، فما حذف فيه أحدهما قول عنترة :

ولقد نزلتِ فــــلا تظني غيرَهُ
مني بمـــنزلة المحبِّ المُكْرَمِ

أي : فلا تظني غيرَهُ حاصلاً ، ومما حُذف فيه المفعولان قوله تعالى : « أين شركائيَ الذين كنتم تَزْعمون » (القصص ٧٤) ، أي : تزعمونهم شركاءَ لي .

* * * *

ومما يذكر في هذا الباب أن الفعل « تقول » ، قد يأتي بمعنى : تظن ، فينصب مفعولين ، ويشترط فيه :

١ ـ أن يكون مضارعاً .
٢ ـ مسنداً إلى المخاطب .
٣ ـ متصلاً باستفهام .

وهذه الشروط الثلاثة مستوفاة في قول عمرو بن معد يكرب :

عـــلامَ تقولُ الرمحَ يثقلُ عاتقي
إذا أنا لم أطْعُنْ إذا الخيلُ كرتِ

---

(١) فاعل تركت : ضمير مستتر يرجع إلى الفرس . والبلقع : الأجرد . أي صيرت ما تملكه هباء .

ومثله قول عمر بن أبي ربيعة :

أما الرحيلُ فدون بعدِ غدِ
فمتى تقولُ الدارَ تجمعُنا (١)

ج ـ ما يتعدى إلى ثلاثة مفعولات :

وهي الأفعال : أرى ، وأعلم وأنبأ ، وما تضمن معانيها ، مثل أخبرَ ، وخبَّر ، ونبَّأ ، كقوله تعالى : « كذلك يُريهمُ اللهُ أعمالهم حسراتٍ عليهم » (البقرة ١٦٧) وغالباً ما يكون المفعول الأول في : أنبأ ونبأ وخبر ، نائباً عن الفاعل ، كقول النابغة الذبياني :

أُنْبِئْتُ نُعْمَاً على الهجرانِ عاتبةً
سَقْياً ورَعْياً لذاكَ العاتبِ الزاري

وقول العوام بن عقبة :

وخُبِّرْتُ سوداءَ الغميم مريضةً
فأقبلتُ من أهلي بمصرَ أعودُها

كما قد يأتي الفعل مبنياً المعلوم ، ويكون مفعوله الأول اسماً ظاهراً ، ثم يسد المصدر المؤول مسد المفعولين الآخرين ، كقول عبدالله بن مسلم :

يُخبِّرُ النـاسَ أن الأجرَ همتُه
وما أتى طـالباً للأجرِ محتسبا

د ـ تنزيل المتعدي منزلةَ اللازم :

وقد يُنَزَّلُ الفعل المتعدي منزلةَ الفعلِ اللازم ، لغرض معنوي ،

---

(١) يقال إن قبيلة سُلَيم كانت تُجري فعل القول مُجرى الظن من دون هذه الشروط .

هو ألا يكون لذكر المفعول قيمة ، بل قد يكون ذكره أو تقـــديره مضعِّفاً للمعنى ، كقوله تعالى : « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (الزمر ٩) فجَعْلُ الفعلِ « يعلمون » لازماً فيه تعميم ، فإذا قدرتَ له مفعولاً نقلته إلى التخصيص ، إذ المعنى المراد : هل يستوي مَنْ لديهم علم ، ومن ليس لديهم علم . وبهـــذا يكون المهم حصولَ الفعلِ ووقوعَه، لا تعلقَه بمفعول ، ومثله قول أبي كبير الهُذلي :

أما والذي أبكى وأضحك والذي
أمات وأحيا والذي أمره الأمر

وهذا كثير في اللغة العربية .

شواهد التدريب

١ ـ قال عمر بن أبي ربيعة :

غضبتْ أن نظرتُ نحوَ نساءٍ
ليس يعرفنَني مررْنَ الطريقا

٢ ـ قال عبدالمطلب بن عبدالله المخزومي :

وما زرتُ ليلى أن تكونَ حبيبةً
إليَّ ، ولا دينٍ بها أنا طالبُهْ

٣ ـ قال الأعشى :

وأُنبئتُ قيساً ـ ولم أبلُـهُ
كما زعموا ـ خيرَ أهلِ اليَمَنْ

جزم الفعل المضارع

رأينا فيما سبق أن الفعل المضارع معرب لمضارعته الاسم، ومشابهته له في الاستعمال، ووقوعه موقعه، اذ يجتمع هو واسم الزمان في الدلالة الزمانية، ولحاق الزوائد الدالة على معانٍ، تقول: سعيد يكتب، وسعيد كاتب، والقاضي يحكم، والقاضي حاكم، وان الرجل ليصدق، وان الرجل لصادق.

ورأينا ايضاً أن له حالاتٍ ثلاثاً في الاعراب، الرفع، والنصب، والجزم، وقد تحدثنا عن الرفع، فقلنا: يرفع إذا لم يتقدمه حرف جازم أو حرف ناصب، وسنتحدث الآن عن جزمه، ثم عن نصبه.

١ — جوازم المضارع

ينجزم الفعل المضارع بنوعين من الأدوات، فبعضها لا يحمل معنى الشرط، ولا يجزم الا فعلاً مضارعاً واحداً، وبعضها الآخر فيه معنى الشرط ويجزم فعلين مضارعين.

١ — ما يجزم فعلاً واحداً:

الأدوات التي تجزم فعلاً مضارعاً واحداً هي: لم، ولما، ولام الأمر، ولا الناهية. فهي تجزمه لفظاً أو محلاً، فالأول مثل: لم يكتب، ولم يكتبوا، ولم يَرْمِ. والثاني: لا ترمينَّ، وقد عرفنا هذا في البحث السابق.

اما «لم» فهي حرف نفي وجزم وقلب، لأنها تفيد النفي، وتعمل في المضارع جزماً، ولأنها تقلب دلالته الزمانية فتخلصه للماضي، فقولك: لم أكن هنا البارحة، مثل: ما كنت هنا البارحة.

وتختلف عنها «لما» في أن نفيها متصل بالحال، ويتوقع حصول منفيها وينتظر، كقولنا: لما يأتِ خالد. فخالد لم يأتِ في الماضي، ولم يأتِ زمن التكلم، الا أننا ننتظر مجيئه، ونتوقع حصوله.

ولام الأمر، لا يزيد معناها على طلب احداث أمر مّا، تقول: ليذهب سعيد، ولْيأتِ خالد، والاستعمال العام لها ان يؤمر بها الغائب، كما مر، وقليلاً ما يأمر بها المتكلم نفسه عن طريق المجاز، كما في هذه الآية «واتَّبِعوا سُبُلَنا، ولْنَحْمِلْ خطاياكم.» (العنكبوت ١٢) ومثله في القلة أن يؤمر بها المخاطب، من ذلك قراءة النبي وكبار صحابته، «فبذلك فلتفرحوا، هو خير مما يجمعون» [١] (يونس ٥٨)، وقد استطاع بعض النحاة أن يجمع لهذه الظاهرة بعض الشواهد من الاحاديث المنسوبة الى الرسول، وبعض الأبيات الشعرية [٢].

وقد تكون هذه اللام الدعاء لا للأمر، كقولنا: ليحفظك الله، لتصحبْك السلامة، كما تكون للتهديد، كقوله تعالى: «ليكفروا بما آتيناهم ولْيتمتعوا فسوف يعلمون» (العنكبوت ٦٦) وهذا يحدده السياق العام.

وهذه اللام مكسورة، الا اذا سبقت بالواو او الفاء، مثل:

---

(١) اما قراءتنا اليوم: فليفرحوا.

(٢) هي في كتاب الانصاف في مسائل الخلاف للانباري. المسألة ٧٢ ص ٢٧٣ وما بعدها.

ليكتب ، ولْيكتب ، فلْيكتب. وهذا حدث صوتي كان العرب يتخففون فيه من توالي الحركات.

ولا ، الناهية ، تحمل معنى مضاداً لِلام الأمر ، إذ يطلب بها ترك امر مّا ، وتقتضي جزم المضارع ، واستقباله ، سواء أكان المطلوب منه ذلك مخاطباً ام متكلما ، فالاول كثير جداً ، كقولك لا تكتب ، ولا تقرأ ، أما الغائب فنهيه مجازي ، يراد منه نهي المخاطب بطريقة غير مباشرة ، كقول الأخطل مخاطباً بني امية :

بني أميةَ إني ناصحٌ لكم
فلا يَبيتَنَّ فيكم آمناً زُفَرُ [1]

كأنه قال : فلا تجعلُنَّهُ يبيت فيكم آمنا .

وقد يكون نهي الغائب صريحاً ، كقوله تعالى : «لا يتخذِ المؤمنون الكافرين أولياء» (آل عمران ٢٨) وقول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلَنْ احدٌ علينا
فنجهلَ فوق جهلِ الجاهلينا

ومثله نهي الانسان نفسه ، تقول : لا أرينَّك هنا ، فالنهي في الجملة لا يوجه الى المتكلم حقاً ، ولكنه يوجه الى المخاطب في اسلوب مجازي يدل على سعة العربية في الاداء ، فكأنك تقول : لا تكن سبباً في رؤيتي لك هنا ، أي : لا تأت الى هنا فيكون ذلك سبباً في رؤيتي لك.

وكثيراً ما تكون «لا» الجازمة هذه للدعاء ، ولها شواهد لا تحصى في آيات القرآن الكريم من نحو : «ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو اخطأنا ،

(١) يريد : زفر بن الحارث الكلابي .

ربنا ولا تحمل علينا إصْراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » (البقرة ٢٨٦) « ربنـــا لا تُزِغْ قلوبنا بعد إذ هديتنا » (آل عمران ٨) .

٢ — ما يجزم فعلين :

وثمة أداة تجزم الفعل المضارع وهي « إنْ » التي تفيد معنى الشرط ، ويلحق بها أدوات أخرى ليس لها في الجزم أصالتها وقدرتها ، لأن « إن » الشرطية لا تفارق معنى الشرط كيفما استعملت ، اما الادوات اللواحق بها فتكون للاستفهام تارة ، والشرط تارة اخرى ، وبعضها ظروف ، وهـــذه الادوات هي : إذما ، مَنْ ، ما ، مهما ، متى ، أيان ، أينما ، حيثما ، أنَّى ، كيفما ، أي .

وتفصيل ذلك كما يلي :

١ ـ إن ، إذما :

هما حرفان جازمان شرطيان ، لا محل لهما من الاعراب ، كغيرهما من الحروف .

٢ ـ من ، ما ، مهما :

وهذه أسماء مبهمة ، تكون في معظم استعمالاتها في محل رفع مبتدأ ، مثل : من يعمل بجد يصل إلى ما يتمنى . وقد تكون مفعولاً به مقدماً ، وذلك اذا كان فعل الشرط متعدياً ولم يأت مفعوله بعده ، كقوله تعـالى : « ما ننسخْ من آية أو نُنْسِها نأتِ بخير منها » (البقرة ١٠٦) وقوله : « وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عنـــد الله » (البقرة ١١٠) ، وكقول زهير :

رأيت المنـايا خبط عشواءَ من تصب
تمتـه ، ومن تخطىءْ يُعمَّرْ فيهرمِ

وقد تكون في محل جر بالاضافة ، مثل : كتابَ مَنْ تقرأ أقرأ .

* * * *

وحين تكون مبتدأ يكون فعل الشرط هو الخبر على أيسر الآراء ، ويشبهها قوم بالاسماء الموصولة ، ولذلك يرون جملة الجواب هي الخبر ، وهذا يوقعهم في كثير من التناقض ، كما في الجمـــلة الآتية : من يعمل يربح . فجملة (يربح) في زعمهم هي الخبر ، ثم هي في الوقت نفسه غير مقترنة بالفاء ، فلا محل لها من الاعراب . وعلى هذا تكون الجملة ذات محل ، ولا محل لها ، في وقت واحد .

ومما يدل على فساد ما يذهبون اليه ان جمـلة الجواب قد تكون انشائية طلبية ، وجمهورهم ينكر ان تكون جملة الخبر طلبية ، مثل : من يأتنا فليحمل الينا ما يشاء . ومن يلق سعيداً فلا يسلم عليه .

وهناك دليل آخر نستأنس به هنا ، فمن أساليب العربية في الشرط والجواب انها في بعض الأحيان تأتي بجواب يخـلو من ضمير يعود الى اسم الشرط الذي هو مبتدأ ، وتقيمه مقام جواب مفهوم من سياق الـكلام ، كقولنا : من لم يذهب الى الشاطىء فاني ذاهب اليه . فالجواب : اني ذاهب اليه . ليس فيه ضمير يربطه بالمبتدأ : من ، وكأننا قلنا : من لم يذهب الى الشاطيء فاني لن اجاريه في ذلك . ولهذا الاسلوب شواهد كثيرة في القرآن والشعر ، مثل : « ومن يُشاقِّ اللهَ فإن الله شديد العقاب » (الحشر ٤)، « ومن يكفرْ بآياتِ اللهِ فان الله سريـع الحساب » (آل عمران ١٩)،

« ومن عصاني فإنك غفور رحيم » (١) (ابراهيم ٣٦) . اما ما جاء في الشعر فمنه قول سعد بن مالك :

مَنْ صدّ عن نيرانها
فأنا ابنُ قيسٍ لا براحُ

وقول ضابيء البرجمي :

فمن يكُ أمسى في المدينة رحله
فاني وقيارٌ بها لغريب

وقول النابغة الجعدي :

فمن يكُ لم يثأر بأعراض قومه
فاني وربِّ الراقصاتِ لأثأرا (٢)

وقول الآخر ، وهو من انشاد أبي علي الفارسي :

فمن يك لم ينجب أبوه وأمه
فان لنا الأمُّ النجيبةَ والأبُ

---

(١) قدر الاخفش في مثل هذا : له ، قال عند قوله تعالى : « فمن اضطر في مَخْمصةٍ غير متجانف لإثم فان الله غفور رحيم » (المائدة ٣) : « كأنه قال : فان الله له غفور رحيم ، كما تقول: عبدالله ضربتُ، تريد : ضربته » . معاني القرآن . اللوحة ١٠٢ / ٢ ، وليس القياس دقيقاً، لان حذف ضمير النصب يختلف عن حذف الجار ومجروره ، كما ان مثل هذا التقدير لا يستقيم فيما سنقدمه من شواهد .

(٢) قوله : لا ثأرا . اصله : لاثأرنْ ، بنون التوكيد الخفيفة .

وإذا تبين لنا فساد هذا المذهب وجب ان نأخذ بالمذهب الآخر لأنه أقل اضطراباً منه (١) .

والحقيقة أن هذه الأسماء الثلاثة يجب أن تقاس إلى أسماء الاستفهام لا إلى الأسماء الموصولة ولذلك غير دليل :

آ ـ فعل الشرط يعمل في اسم الشرط باتفاق النحاة جميعاً في مثل قولنا : من تلق فسلم عليه . فـ «من» مفعول به لفعل الشرط ، لانه لم يأت مفعوله بعده ، فاذا استوفى مفعولاً به بعده رفع اسم الشرط على الابتداء ، مثل : من تلقه فسلم عليه . ومن هذا يتبين ان العمل متبادل بين فعل الشرط والاداة ، أما الجواب فلا يؤثر فيها ، كما رأينا في المثال السابق ، وهذا يشبه ما يحصل بين اسم الاستفهام والفعل الذي بعده ، تقول مثلاً : ما تحمل في يدك ؟ فـ «ما» هنا مفعول به للفعل : تحمل ، لأنه لم يأخذ مفعولاً به بعده . ولكن إذا قلت : ما تحمله في يدك ؟ صارت مبتدأ . وهذا أيضاً يشبه ما يجري للاسم المعرب ، تقول : محمداً رأيت . وتقول : محمدٌ رأيته . فحين أثبت مفعولَ (رأى) جعلت (محمداً) مبتدأ ، والجملة بعده خبره ، وحين حذفت المفعول به جعلت (محمداً) مفعولاً مقدماً للفعل : رأيت ، وهذا واضح الدلالة على ان جملة فعل الشرط هي الخبر .

ب ـ لا يهم أن يكون المعنى غير تام من فعل الشرط والأداة ، لأن جواب الشرط جزء متمم للكلام ، ولهذا نظير في إعراب الاسم الموصول خبراً في مثل قول الفرزدق :

---

(١) الواقع ان اسلوب الشرط والجواب في هذه المسألة من المشكلات التي لا تطمئن النفس الى حلها وفق قواعد النحو المرسومة ، ولذلك يكون الاخذ بأقل الرأيين اضطراباً اسلم من الاخذ بغيره .

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيتُ يعرفه والحل والحرم

مع ان المعنى لا يتم عند « الذي »، لأنه يتم بالصلة بعده . وكذلك هناك ، يتم فعل الشرط بجوابه .

ج ـ وإذا ادعى مدع أن جملة فعل الشرط لا تقدر بالمفرد ، فلا يصح وقوعها خبراً ، قلنا : إن جواب الشرط لا يقدر بالمفرد أيضاً ، على ان هذا الاصل ـ وان كان يبحث في إعراب الجمل ـ يدل على ضيق الأصول الاعرابية التي وضعت للعربية الكثيرة الافتنان في أساليب التعبير ، ولا يدل على أن جمله الجواب هي خبر المبتدأ .

٣ ـ متى ، أيان :

هما ظرفا زمان محلهما النصب ، تضمنا معنى « إن » الشرطية ، فحملا عليها ، كقول بشر بن أبي خازم :

وينصرنا قوم غضابٌ عليكمُ
متى ندعهم يوماً إلى النصرِ يركبوا

وتقول : أيان ما تَنْزِلْ انزل .

٤ ـ أين (أينما) حيثما ، أنَّى :

وهذه ظروف مكان تضمنت معنى « إنْ » ، فجزمت مثلها فعلين مضارعين .

* * * *

والعامل الذي تتعلق به هذه الظروف الخمسة ، هو فعل الشرط ، على رأي جمهور النحويين ، ويذهب آخرون إلى أنه جواب الشرط ،

ويتمسكون بالمعنى ، فيزعُمون أنْ (متى) في قولك : متى تأتني أُكرمك . هي الزمان الذي يقع فيه الإكرام ، ويتأولونه على هذه الصورة : أُكرمُك وقتَ مجيئِكَ .

والحقيقة أن هذا التأويل مصطنع ، والصواب أن تقول : إن متى وأخواتها ظروف تضمنت معنى (إنْ) فصارت تدل على زمان أو مكان مبهم ، غير محدد ، وما دامت مبهمة في تضمنها معنى الشرط ، فينبغي ألا تكون مضافة ، لأن الإضافة تعريفٌ أو تخصيص ، والحدث الذي يدل عليه فعل الشرط واقع فيها ، وعلى هذا يكون تأويل الجملة السابقة : إنْ تأتني في أي وقتٍ أكرمْكَ . ومثله تأويل قولك : حيثما تقعدْ أقعدْ . فهو : إن تقعد في أي مكان اقعد فيه . وإذا أولنا الكلام على ما أولوه ، جعلنا الإكرام خاصاً في زمن معين ، وبهذا يزول الابهام .

وهناك دليل أكثر إقناعاً من هذا ، وهو أن « أيّ » إذا دخلها حرف الجر تعلقت بفعل الشرط لا بالجواب ، كما في قولك : إلى أي مكانٍ تذهبْ أذهبْ ، ومثله : في أي نحوٍ يميلوا دينه يَمِلِ . وهذا يعني أن أداة الشرط إذا كانت شبه جملة كان العامل فيها فعل الشرط لا جوابه ، فلا داعي يدعو إلى أن نجعله جواب الشرط ، أما ما يتمسك به أصحاب الرأي الثاني من المعنى ، فيبدو أنه يحتاج إلى مزيد من التروي والدقة في فهم التركيب .

٥ ـ كيفما :

هي دوماً حال من فاعل فعل الشرط .

٦ ـ أيّ :

تعرب هذه الأدوات بحسب ما تضاف إليه ، وهي معربة ، وتعرب

بحسب موقعها من الجملة ، كما في الأمثلة الآتية :

— أيُّ كتابٍ تقرأْهُ تستفدْ منه .	مبتدأ ، لأن فعل الشرط نَصَبَ مفعولاً به ، وهو الضمير المتصل به
— أيَّ كتابٍ تقرأ تستفد منه .	مفعول به مقدم لأن فعل الشرط لم يُشْغَل بمفعول به بعده .
— أيَّ وقتٍ تأتِ تجدْني .	ظرف زمان يتعلق بفعْل الشرط (تأتِ) .
— أيَّ جهةٍ تَسِرْ أسِرْ .	ظرف مكان يتعلق بفعل الشرط (تَسِرْ) .
— أيَّ كتابةٍ تكتبْ تعجبْني .	مفعول مطلق لأنها أضيفت إلى مصدرِ فعلِ الشرط .
— في أي نحوٍ يميلوا دينه يَمِلِ .	مجرورة بحرف الجر ، ويتعلقان بفعل الشرط .

٢ — جملتا الشرط والجواب

١ ـ جملة الشرط :

آ ـ يُشترط في جملة الشرط أن يكون فعلها خبرياً ، متصرفاً ، غير مقترن بـ : قد ، أو : ان ، أو : ما ، أو التسويف .

ب ـ على أنه لا يُشترط فيه أن يكون مضارعاً مجزوماً ، فكثيراً ما يأتي ماضياً ، وفي هـذه الحال يكون جزمه محلياً ، مثل : إن عُدْتُمْ عُدْنا .

ج ـ قد يحذف فعل الشرط ويفسره فعل مذكور بعده ، كقوله تعالى : « وإنْ أحدٌ من المشركين استجارك فأجِرْه » (التوبة ٦) ، وقد يحذف لدلالة السياق عليه ، كقول الأحوص :

فطلقها فلستَ لها بكُفْءٍ
وإلا يَعْلُ مَفْرِقَكَ الحُسامُ

أي : وإلا تطلقها يعل .

٢ ـ جملة جواب الشرط :

آ ـ الأصل في جملة الجواب أن يكون فعلها خبرياً متصرفاً كفعل الشرط ، سواء أكان مضارعاً مجزوماً لفظاً ، أم ماضياً مجزوماً محلاً .

ب ـ وإذا لم يكن علىْ هذه الصورة وجب ربطه بالفاء ، أو بـ : (إذا) الفجائية ، كما في هذه الأمثلة :

١ ـ إن تعمل فأنت رابح .	جملة الجواب اسمية فوجب ربطها بالفاء .
٢ ـ إن تجده فسلم عليه .	جملة الجواب طلبية فوجب ربطها بالفاء .
٣ ـ إن أفقده فلست بجازع عليه .	جملة الجواب فعلها جامد فوجب ربطها بالفاء .
٤ ـ إن يسرق فقد سَرق أخ له من قبل .	جملة الجواب مصدرة بـ : قد ، فوجب ربطها بالفاء .
٥ ـ إن تضربه فما تأتي بمنكر .	جملة الجواب مصدرة بـ : ما ، فوجب ربطها ..

٦ ـ من يعمل فلن يضيع عمله. جملة الجواب مصدرة بـ : لن ، فوجب ربطها ..

٧ ـ من يقرأ فسوف يرى نتيجة قراءته. جملة الجواب مصدرة بالتسويف فوجب ربطها

٨ ـ ومن أحياها فكأنما احيا الناس جميعاً. جملة الجواب مصدرة بـ : كأنما فوجب الربط .

٩ ـ ان ينجح الآن فربما ينجح غداً. جملة الجواب مصدرة بـ : ربما ، فوجب الربط .

١٠ـ ويقترن جواب الشرط بالفاء إذا كانت جملته شرطاً جديداً ، كما في قوله تعالى : « وإن كان كبر عليك إعراضُهم ، فإن استطعت أن تبتغيَ نَفَقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيَهم بأية ... » (الأنعام ٣٥) .

* * * *

وقد يحذف صدر جملة الجواب ، وتدخل الفاء على ما بقي منها : كقوله تعالى : « ومن كفر فأمتعُهُ قليلاً » (البقرة ١٢٦) ، أي : فأنا أمتعه . وقوله : « فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقا » (الجن ١٤) أي : فهو لا يخاف .

وقد تحذف الفاء من جملة الجواب مع استيفائها الشروط لضرورة الشعر ، كما ترى في قول عبدالرحمن بن حسان بن ثابت :

مَن يفعلِ الحسناتِ اللهُ يشكرها
والشر بالشر عند الله مثلانِ

والتقدير : فالله يشكرها .

* * * *

ج ـ وقد يحذف جواب الشرط إذا دل عليه دليل ، كقولك لصديقك : إن استطعت ان تزورني . أو : إن رأيت أن تسافر معي . أي : فافعل .

ويغني عن جواب الشرط شيئان ، فيحذف لدلالة السياق عليه :

آ ـ إذا تقدم على أداة الشرط ما فيه معنى الجواب ، مثل : ستنجح إن درست .

ب ـ جواب القسم ، وذلك إذا اجتمع هو والشرط في العبارة ، مثل قول النابغة :

لئن كنتَ قد بُلغْتَ عني وِشايةً
لمُبْلِغُكَ الواشي أغش وأكذبُ

فقوله : لمبلغك اغش . جواب القسم ، أغنى عن ذكر جواب الشرط . ومثله قول ابن الزبير لمعاوية في مروان بن الحكم : « ولئن مُلِّكَ أعنة خيلٍ تنقاد له ليركبَنَّ منك طبقاً تخافه » وقوله بعد هلاك أخيه مُصْعَب : « ولئن هلك مصعب ، إن في آلِ الزبير منه خلفاً » . ففي القول الأول أغنى جواب القسم (ليركبن) عن جواب الشرط ، ولهذا لحقته نون التوكيد ، وفي الثاني أتى قوله : إن في آل الزبير منه خلفاً . جواباً للقسم ، ولهذا لم تقترن جملته بالفاء ، ولو كان جواباً للشرط لوجب الاقتران ، لأنها جملة اسمية .

د ـ قد يحذف الشرط والجواب معاً ، مثل : الناس مجزيون

بأعمالهم ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، والتقدير : إن كان عملهم خيراً فجزاؤهم خير ، وإن كان عملهم شراً فجزاؤهم شر . ومثل ذلك قول عامر بن الطفيل :

فان سلمـــاً بني حربٍ فسلمٌ
وإن حرباً فقد شُفيَ الغليل

٣ ـ فعلا الشرط والجواب :

لاحظنا في الأمثلة والشواهد السابقة أن جملة الشرط قد يكون فعلها مضارعاً ، وقد يكون ماضياً ، وكذلك جملة الجواب .

على أن ثمة تركيباً قليل الاستعمال في لغة العرب ، وهو أن يكون فعل الشرط مضارعاً مجزوماً لفظاً ، وفعل الجواب ماضياً مجزومـــاً محلاً ، كقول نهشل بن ضمرة :

ومدركُ التَّبْلِ في الأعـداءِ يطلبه
وما يشأ عندَهُمْ من تَبْلِهم منعا (١)

ومثله قول أعشى قيس :

وما يُرِدْ من جميعٍ بعـدُ فرقه
وما يُرِدْ بعدُ من ذي فرقـةٍ جمعـا

وفي الأحاديث النبوية المروية ما يحمل هذه الظاهرة ، كقوله (ص) : « من يَقُمْ ليلةَ القَدْرِ غُفِرَ له » وقول عائشة : « إن أبا بكر رجل أسيف متى يقم مقامَك رقَّ » .

---

(١) التبل : الثأر .

وتركيب الجملة الشرطية يؤثر في إعرابها أحياناً ، فالأصل أن تكون الأداة الجازمة عاملة في فعلي الشرط والجواب ، كما مر بنا في الشواهد والأمثلة ، إلا أن هناك لغة قليلة جاء فيها فعل الشرط ماضياً ، ولم يجزم المضارع الذي هو فعل الجواب ، كقول زهير بن أبي سلمى :

وإن أتاه خليلٌ يومَ مَسْغَبَةٍ
يقولُ : لا غائبٌ مالي ولا حَرِمُ

ولكن اللغة الفصيحة الصحيحة هي جزم الجواب في مثل هذا التركيب ، لأن معظم ما نجده من النصوص القديمة يحمل هذه الظاهرة ، من ذلك قوله تعالى : « مَنْ كان يريد حَرْثَ الآخرة نَزِدْ له في حرثه » (الشورى ٢٠) وقوله : « مَن كان يريد الحياةَ الدنيا وزينتها نُوفِّ إليْهِمْ أعمالهم فيها » (هود ١٥) ومن لغة الشعر قول الفرزدق :

دست رسولاً بأن القوم إن قَدَروا
عليك يَشْفوا صدوراً ذاتَ توغيرِ

٣ — توابع فعلي الشرط والجواب

١ ـ تابع فعل الشرط :

يأتي فعل الشرط أحياناً متبوعاً ، كأن يكون ما بعده توكيداً له ، أو بدلاً منه ، أو معطوفاً عليه ، نقول : إن تَزُرْني تَزُرْني أزُرْكَ . فالفعل تزرني ، الثاني ، توكيد لفظي لفعل الشرط ، ويجب جزمه ، أما قول الشاعر :

متى تأتنا تُلْمِمْ في ديارنا
تجدْ حطباً جَزْلاً ونارًا تأججا

ففيه قوله: تلمم، بدل من فعل الشرط: تأتِنا، ولهذا جُزِم تابعاً له.
وانظر قول زهير:

ومن يكُ ذا فضلٍ فيبخلْ بفضله
على قومه يُستغنَ عنه ويُذْمَمِ

فانه جزم الفعل: يبخل، لأنه معطوف على فعل الشرط: يك.

غير أنه يجوز نصب الفعل الواقع بعد الواو والفاء(١) في مثل هذا التركيب، وذلك بتقدير «أنْ»، وهذا على قلته وارد في الشعر العربي، كما في قول الشاعر:

ومن يقتربْ منا ويخضعَ نُؤْوِهِ
ولا يَخْشَ ظُلماً ما أقامَ ولا هَضْما

فالفعل: يخضع، هنا نصب بأن مضمرة بعد الواو العاطفة، وبهذا يكون المعطوف مصدراً مؤولاً منه، ويكون المعطوف عليه مصدراً منتزعاً من فعل الشرط، وتقديره: ومن يكن منه اقتراب وخضوع نؤوه.

أما العطف بـ: أو، وثم، فلا يجوز فيه النصب، وإنما يصح بعدهما الجزم فقط، كقوله تعالى: «وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسِبْكم به الله» (البقرة ٢٨٥) فقد جزم الفعل: تخفوه، كما رأيت. وتقول: إن تأتني ثم تسألْني أعطِك(٢).

---

(١) وزاد بعضهم: أو، وثم.
(٢) وعلى هذا يكون قول رويشد بن كثير الطائي ضرورة:

إن تـذنبوا ثم يأتيني يقينُـكم فما علي بـذنب عندكم فوت

لأنه رفع الفعل المعطوف ولم يجزمه.

٣ ـ تابـع جواب الشرط :

وكذلك الأمر في تابع الجواب ، فان كان توكيداً لفظياً ، او بدلا ، فليس إلا الجزم كما في قوله تعالى : « ومن يفعلْ ذلك يلق أثاما ، يضاعَفْ له العذابُ » (الفرقان ٦٨) .

أما إن كان التابع معطوفاً بالواو ، أو الفاء ، ففيه ثلاثة أوجه ، هي : الجزم ، والنصب ، والرفع ، أما الجزم فليس فيه ما يحتـاج إلى توضيح ، لأنه هو الوجه الذي يوافق مألوف اللغة وأصولها ، كما في قول الحارث بن هشام المخزومي :

وعلمتُ أني إن أقاتِلْ واحداً
أقْتَلْ ولا يَضرُرْ عدوي مَشْهدي

فأنت تراه جزم الفعل : يضرر ، لأنه معطوف على جواب الشرط : أقتل .

أما النصب والرفع فأقل منه ، جاء في القرآن الكريم : « وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسِبْكم بـه الله ، فيغفرْ لمن يشاء .. » (البقرة ٢٨٥) فنحن نقرأ اليوم : يغفرُ ، بالرفع على الاستئناف ، إلا أن بعض المقرئين قرأ بالنصب على إضمار « أن » ، وقرأ آخرون بالجزم عطفاً على جواب الشرط (١) .

ومما روى مجزوماً ومرفوعاً ومنصوباً قول النابغة الذبياني :

فإن يَهْلِكْ أبو قابوسَ يهـلكْ
ربيـعُ النـاسِ والبلدُ الحَرامُ
ونُمْسِكُ بعده بذُناب عيشٍ
أجَبَّ الظهرِ ليس له سنـامُ

---

(١) انظر في القراءة البحر المحيط لأبي حيان ٢/٣٦٠

وتأمل قوله تعالى : « إن يشأ يُسكِنِ الريحَ ، فيَظْلَلْنَ رواكدَ على ظهره ، انَّ في ذلك لآياتٍ لكل صبارٍ شكور ، أو يُوبِقْهُنَّ بما كسبوا ، ويعفُ عن كثير ، ويعلمَ الذين يجادلون في آياتنا ، ما لهم من محيص . » (الشورى ٣٣ - ٣٥) فقد عطف الفعل : يوبقهن بـ : أو ، على جواب الشرط فجزم ، وعطف : يعفُ ، بالواو ، فجزم أيضاً ، ثم انتصب الفعل : يعلمَ ، بأن مضمرة بعد الواو .

٤ — الجزم بالطلب

قد يفهم معنى الشرط من سياق الكلام ، وإن كان خالياً من أداة الشرط ، ويظهر لك هذا في نوعين من الكلام :

١ - طلبي .

٢ - ما يشبه الطلبي .

أما الأول فما كان أمراً أو نهياً او حضاً او استفهاماً او تمنياً او عرضاً ، كما في قوله تعالى : « أرسله معنا غداً يرتعْ ويلعب . » (يوسف ١٢) ، فالفعل : يرتع وقع بعد الأمر ، وفي السياق معنى الشرط ، فكأنه قال : إن ترسله معنا غداً يرتع ويلعب . وتقول : لا تؤذِ الناس يحبوك . والمعنى : إلاّ تؤذِ الناسَ يحبوك . ومن ذلك هذه الجمل : هلا سألته يجبْكَ . أين بيتُكَ أزُرْك . ليته عندنا يحدثْنا . ألا تنزلُ عندنا تصبْ خيرا .

على أن هذا يكثر مع الأمر خاصة ، وشواهده الفصيحة فوق أن يحاط بها ، من ذلك قوله تعالى : « اقتلوا يوسف أوِ اطرحوه أرضاً يَخْلُ لكم وجهُ أبيكم » (يوسف ٩) وقوله : « قاتلوهم يعذبْهم الله » (التوبة ١٤)

وقوله : « فاتبعوني يحبِبْكم الله » (آل عمران ٣١) ، وقول الأحنف بن قيس : « يا بني تميم تحابوا تجتمعْ كلمتكم ، وتباذلوا تعتدلْ أموالكم » .

وما ورد مع غير الأمر قليل جداً في شواهد اللغة الفصيحة ، كقول عنترة :

هلا سألتِ الخيلَ يابنةَ مالكٍ
إن كنتِ جاهلةً بما لم تعلمي
يُخْبِرْكِ من شهد الوقيعة أنني
أغشى الوغى وأعفُّ عند المغنمِ

فقد جزم الفعل (يخبرك) لأنه جواب الطلب ، وهو التحضيض : هلا سألت.

وواضح من هذه الشواهد أن معنى الشرط يجب أن يكون ظاهراً في العبارة ، وإلا فإن الجزم غير واقع ، تقول مثلاً : قل شعراً تصفُ به المعركة . فأنت هنا لا تشترط ، إذ ليس قول الشعر شرطاً لوصف المعركة ، ولذلك رفع الفعل المضارع : تصفُ.

أما الكلام الذي يشبه الطلبي فهو الذي يكون في ظاهره خبراً لا إنشاء ، ولكن معناه معنى الانشاء ، كقولهم : « اتقى اللهَ امرؤٌ ، وفعل خيراً ، يُثَبْ عليه » فالفعل : اتقى ، في ظاهره خبرى ، أما معناه فإنشائي، فكأنه قال : ليتقِ اللهَ امرؤٌ ، ولْيفعلْ خيراً يثب عليه .

* * * *

تنبيهات :

الأول : قد يجزم الفعل المضارع لأن فيه معنى الأمر ، كما ترى في قوله تعالى : « قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيامَ الله » (الجاثية ١٤)،

فالفعل : يغفروا ، ليس جواباً للطلب ، لأن الكلام يخلو من معنى الشرط، ولأن (يغفروا) مقول القول ، فكأنه قال : ليغفروا . ومثل ذلك قوله تعالى : « قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة » (إبراهيم ٣١) ، والمعنى : ليقيموا الصلاة . ومن ذلك أيضاً قول امرىء القيس :

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فقوله : نبك ، ليس جواباً للطلب ، لأن البكاء ليس متوقفاً على الوقوف ، ولكن المعنى : لنبك ، (١) .

الثاني : ورد في بعض النصوص أفعال مضارعة مجزومة بـ : إذا ، الظرفية الشرطية ، ولكن ذلك قليل لا يعدو الشواهد النادرة ، ومن أجل ذلك لا يعتد بها ولا تبنى عليها قاعدة مّا ، من ذلك قول النمر بن تولب :

وإذا تُصبْكَ خصاصة فارجُ الغنى
وإلى الذي يعطي الرغائبَ فارغبِ

وقول أرطاة بن سُهَيّة :

إذا لم تجدْهُ تنْصَرِفْ لطياتها
من الأرض أو تأتي بألْفَ فتَرْتمي

ففي البيت الأول جزم فعل الشرط صراحة ، وفي الثاني جزم جواب الشرط، ولكن الشاعر عاد فعطف عليه بالرفع : أو تأتي .

الثالث : قد تسبق (إن) الشرطية بواو ، كقول أشجع السلمي :

وما أنا من رُزْءٍ ، وإن جلّ، جازعٌ
ولا بسرور بعد موتك فارح

(١) قدر بعض النحاة في هذا لام الأمر ، وجعله آخرون مجزوماً بالطلب.

ويعرب النحاة الواو في مثل هذا البيت معترضة ، وان ، شرطية ، ويعربها بعضهم عاطفة ، ويقدرون كلاماً معطوفاً عليه على هذا الشكل : ما أنا جازع من رزء إن لم يجل وإن جل

اما البلاغيون فيزعمون أن الواو حالية ، وإن ، وصلية زائدة ، وقد أخذ برأيهم المعاصرون ، والصحيح ما ذهب إليه النحاة من حيث الصنعة النحوية ، إذ لا تكون (إن) زائدة في مثل هذا الموضع ، كما أنها هنا ذات معنى واضح ، والزائد لا معنى له غير التوكيد . (١)

شواهد للتدريب

١ ـ « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ، وإن تنتهوا فهو خير لكم ، وان تعودوا نعد . » (الأنفال ١٩)

٢ ـ « وما تفعلوا من خير فان تكفروه . » (آل عمران ١١٥)

٣ ـ قال العباس بن مرداس :

إذْ ما أتيت على الرسولِ فقــل له
حقاً عليك إذا اطمأنَّ المجلسُ

٤ ـ قال لبيد بن ربيعة :

فأصبحتَ أنَّى تأتِها تلتبسْ بها ... كِلا مركبيها تحتَ رجليكَ شاجرُ

٥ ـ قال جرير :

إما ثويتَ مقيماً فوقَ رابيةٍ ... فقد مضت لك أيام لها غُرَرُ

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتابنا : المنهل من علوم العربية ص ١٤٢ حاشية رقم ١ .

نصب الفعل المضارع

ينصب الفعل المضارع لفظاً أو تقديراً بواحدة من أدوات اربع ، هي : أن ، وكي ، ولن ، وإذن . نحو : لن يذهب الحر ، وأميل إلى أن تغادري المدينة ، ويجب أن نبذل ما نستطيع كي يبقى العلم في مأمن من الابتذال . فعلامة النصب في : يذهب ، ظاهرة ، وهي الفتحة ، والعلامة في : تغادري ، حذف النون ، أما في الفعل : يبقى ، فعلامة النصب مقدرة على الألف ، لانها يتعذر ظهورها نطقاً .

١ — الكلام على أدوات النصب

١ - أن :

هي أهم الأدوات الناصبة (١) ، وتبدو أهميتها في قدرتها على نصب المضارع ظاهرة ومضمرة ولذلك يسميها النحاة أم الباب .

وهي حرف مصدري يسبك منه ومن الفعل بعده مصدر ذو محل إعرابي ، قد يكون رفعاً ، مثل : « ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشعَ قلوبُهم

(١) يزعم بعض النحاة انها قد تجزم المضارع ويحتجون بقول امرىء القيس :

اذا ما غـدونا قال ولدان أهلنا
تعالوا الى ان يأتنا الصيد نحطب

ونقلوا ذلك عن بني صباح من ضبة ، وزعم آخرون انه قد يرفع المضارع بعدها واحتجوا بقراءة ابن محيصن « لمن أراد أن يتمُّ الرضاعة . » (البقرة ٢٣٣) .

لذكر الله » (الحديد ١٦) فالمصدر هنا فاعل والتقدير : ألم يأنِ لهم خشوعُ قلوبهم . ومثله قول العرب : « ان تسمعَ بالمُعَيْدي خير من أن تراه » أي سماعك ، فهو هنا مبتدأ ، وقد يكون المحل نصباً ، كقوله تعالى : « نخشى أن تصيبنا دائرة » (المائدة ٥٢) أي نخشى إصابة دائرة إيانا . وقد يكون جراً ، مثل : أميل إلى ان اذهب . أي : إلى الذهاب .

وتدل (أن) على المستقبل ، ولذلك تشير إلى أن الفعل بعدها لم يثبت ، ولم يقع ، وعلى هذا لا تجدها مسبوقة بأفعال تدل على اليقين ، لئلا يتناقض القول ، وأكثر ما تقع بعد أفعال تدل على الرجاء ، والخوف ، والرغبة ، وما شابهها ، كما مر في الأمثلة المتقدمة ، وقد تقع - وهذا قليل - بعد أفعال الظن والرجحان حين ترجع إلى معاني الخوف والرجاء ، كقوله تعالى : « أحسبَ الناس أن يتركوا » (العنكبوت ٢) ، وقوله : « تظُنُّ أن يُفْعَلَ بها فاقرة » (القيامة ٢٥) ، وقوله : « وحسبوا ألا تكونَ فتنة » (المائدة ٧١) .

وقد تقع في أول الكلام غير مسبوقة بشيء ، كالمثل المشهور : أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه . ومثله قوله تعالى : « وأن تصوموا خيرٌ لكم » (البقرة ١٨٤) وقوله : « وأن تعفوا أقربُ للتقوى » (البقرة ٢٣٧)

٢ - كي :

وهذا حرف مصدري أيضاً ، ينصب الفعل المضارع ، ويخلصه للمستقبل ، ولكنه في بعض الأحيان يقع في تراكيب شعرية لا يعرب فيها إلا حرف جر ، كاللام ، وذلك إذا ذكرت بعده « أن » الناصبة ، كقول جميل بثينة أو حسان :

فقالت : أكلَّ الناس أصبحتَ مانحاً
لسانك كيما أن تغرَّ وتخدعا

أو ذُكرت بعده اللام التي للتعليل ، كقول ابن قيس الرقيات :

كي لتقضيَني رُقيَّةُ ما وعدتْني غيرَ مختلس

وحين تكون حرف نصب – وهو الكثير الشائع – يكون المصدر المؤول منها ومن الفعل بعدها في محل جر باللام ، ظاهرة أو مقدرة ، مثل : جئت لكي أراك . والتقدير : جئت لرؤيتك . وكذلك يكون التقدير إذا قلت : جئت كي أراك .

٣ – لن :

هي حرف نفي ونصب واستقبال ، وقد مر بنا الحديث عنها في أزمنة الفعل ، ومن شواهدها « فلن أكلم اليومَ إنسيا » (مريم ٢٦) ، « ولن يتمنوه أبداً » (البقرة ٩٥). (١)

٤ – إذن :

هي حرف جواب وجزاء واستقبال ، ولكنها ليست أصيلة في نصب المضارع ، لأنها حرف غير مختص ، إذ تدخل على الجملة الاسمية ، وعلى الجملة الفعلية ، ومن أجل ذلك لا تقوى على نصب المضارع إلا بشروط ثلاثة :

١ – أن تكون في صدر الجملة . وهذا يعني أنها لا تسبق بمبتدأ يطلب ما بعدها خبراً له ، أو بأداة شرط ، أو بقسم ، يطلب ما بعدها جواباً له ، وهكذا ، ولا يعني أنها يجب أن تقع في بداية كلام جديد غير مسبوق بشيء ، وهذا يوضحه لك ما يلي من أمثلة :

---

(١) وقد جزم بها بعض الشعراء مضطرين كقول كثير عزة :

أيادي سبا يا عزَّ ما كنتُ عندكم
فلن يَحْلَ للعينين بعدكِ منظرُ

١ ـ سأزورك . إذنْ أفرحَ بلقائك .

فالكلام هنا محاورة بين اثنين ، قال الأول : سأزورك ، فأجابه الثاني : إذن أفرحَ بلقائك . وبهذا وقعت « إذن » في صدر الجملة ، ولم تسبق بشيء يطلب ما بعدها جُزْءاً منه .

٢ ـ لئن عدت إلي إذاً لا أستاءُ من عودتك .

« إذن » هنا لم تعمل ، لأنها سبقت بقسم : « لئن عدت » وهو يطلب ما بعدها جواباً له ، ومن أجل ذلك رفع المضارع ولم ينصب .

٣ ـ إن تتخلَّ عن العمل ، فأنت إذاً لا تشعرُ بالتبعة .

وكذلك لم تعمل هنا ، لأنها سبقت بمبتدأ ، وما بعدها خبره .

٢ ـ والشرط الثاني لعمل إذن هو أن يكون الفعل بعدها للمستقبل ، وهذا واضح في الأمثلة السابقة .

٣ ـ أما الشرط الثالث فهو ألا يَفْصِلَ بينها وبين الفعل المضارع إلا ما يلي :

— القسم : مثل : إذن والله أفرحَ بلقائك .
— النداء : مثل : إذن يا خالدُ أفرحَ بلقائك .
— لا : مثل : إذن لا أخرج من البيت .(١)

٢ — نصب المضارع بـ « أن » مضمرة

قلنا : إن « أنْ » أم أدوات النصب ، وتفوقهن بأنها تنصب

(١) وزاد أحدهم جواز الفصل بشبه الجملة ، أي بالظرف ، والجار والمجرور .

المضارع ظاهرة ومضمرة، وقد استوفينا الحديث عنها فيما سبق، والكلام هنا على الأدوات التي تضمر بعدها (أن)، وتنصب المضارع، غير أن إضمارها جائز مرة، وواجب مرة أخرى.

آ ـ نصبه بـ « أن » مضمرة جوازاً :

ـ بعد لام التعليل :

وتسمى أحياناً لام (كي)، ولام العاقبة، كقولك : دخلت الحانوت لاشتريَ ما يلزمني. فاللام هنا لام التعليل أو لام كي، لأنها تعلل الحدث الذي سبقها، وقد أضمرت بعدها (أنْ) جوازاً، ولنا أن نظهرها إذا شئنا، كما تجد في قوله تعالى : « وأُمِرْتُ لأنْ أكونَ أولَ المسلمين » (الزمر ١٢)، إلا ان هذا نادر جداً، حتى إن بعض النحويين ظن أنه لم يأتِ في القرآن (١)، هذا إذا كان الفعل غيرَ مقرونٍ بـ « لا » النافية أو الزائدة، أما إذا قرن بها فمن الواجب إظهار (أن) لدواعٍ صوتية، كما ترى في قوله تعالى : « لئلا يكونَ للناسِ عليكم حُجَّةٌ » (البقرة ١٥٠)، وفي قوله : « لئلا يعلمَ أهلُ الكتابِ » (الحديد ٢٩) فـ « لا » في الآية الأولى نافية، وهي في الثانية زائدة.

أما قوله تعالى « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحَزَناً » (القصص ٨) فاللام فيه ليست للتعليل، لأن آل فرعون لم يلتقطوه من أجل ان يكون لهم عدواً، ولكنه صار كذلك بعد التقاطهم إياه ونتيجة له، وهذه تسمى لام العاقبة، ومثلها قولك : دخل البيت ليرى ثعباناً هائلاً، أي رأى الثعبان بعد دخوله البيت.

---

(١) هو ابن يعيش، انظر شرح المفصل ٧/٢٨

ولام التعليل، أو العاقبة، حرف جر، ومجروره هو المصدر المؤول الذي يسبك من (أن) والفعل الذي بعدهـــا ، ويتعلق الجار والمجرور بالفعل الذي يعلله ، نحو : جئت لأراكَ . فاللام حرف جر وتعليـل ، والمصدر المؤول في محل جر باللام ، يتعلق بالفعل : جئت وجملة « أراك » صلة موصول حرفي لا محل لها من الإعراب .

ـ بعد أحرف العطف :

وهي الواو والفاء وثم وأو ، وذلك إذا وقع الفعل المضارع بعدها ، وكان العطف على اسم جامدٍ غير مشتق ، وغالباً ما يكون مصدراً صريحاً، وقد يكون غير ذلك ، كقول ميسون :

وَلُبْسُ عباءةٍ وتَقَرَّ عيني
أحَبُّ إليَّ من لُبْسِ الشفوفِ

فالفعل : تقر ، وقع بعد حرف العطف ، وهو الواو ، والعطف على اسم جامـــد هو المصدر : لبس . ولذلك انتصب بأن مضمرة جـوازاً ، أما المعطوف فهو المصدر المؤول منها ومن الفعل ، والتقدير : ولبسَ عباءة وقُرةُ عيني أحب إلي ...

ومثله قول أنس بن مُدْرِكَة الخَثعمي :

إني وقتلي سُلَيْكاً ثم أعْقِلَهُ
كالثورِ يُضْرَبُ لمَّا عافَتِ البَقَرُ

فكأنه قال : قتلي سليكاً ثم عقلي إياه . ومثله أيضاً قول الشاعر :

لولا تَوقّعُ معترٍّ فأُرْضيَهُ
ما كنتُ أوثرُ إترابا على تَرَبِ (١)

أي لولا توقع معتر فإرضاؤه . ومنه قوله تعالى : « وما كان لبشرٍ أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب ، او يرسلَ رسولاً » (الشورى ٥١) ، فالفعل : يرسل ، منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد (او) لأن المصدر المؤول بعدها معطوف على المصدر الصريح : وحياً .

في هذه الشواهد كان المعطوف عليه اسماً جامداً ، هو المصدر الصريح ، وفي بعض الأحيان نجد المعطوف عليه غير مصدر ، كما ترى في قول الشاعر :

ولولا رجالٌ من رِزامٍ أعزّةٌ
وآلُ سبيعٍ ، أو أسوءَكَ عَلقَما

فالفعل : أسوءك ، منصوب بأن مضمرة ، والمعطوف عليه هو : رجال ، والتقدير : ولولا رجال والإساءة إليك ، لفعلت كذا وكذا .

والاستتار هنا جائز ــ كما قلنا ــ لا واجب ، فقد ظهرت (أن) في بعض النصوص ، على غرار ما تجد في قول أبي ذؤيب :

وقال ماشيهمُ سِيّانِ سيْرُكمُ
وأن تقيموا به واغبرّتِ السوحُ

وفي قول جرير :

أباهلَ ما أحببتُ قتلَ ابنِ مسلم
ولا أن تَروعوا قومكمْ بالمظالمِ

(١) المعتر : الفقير الذي يطلب المعروف . والإتراب : مصدر للفعل : أترب، اي استغنى ، والترب : العوز والفقر .

ب - نصبه بـ (أنْ) مضمرة وجوباً :

تضمر (أن) وجوباً بعد خمسة أحرف ، اثنان منها جاران ، هما: لام الجحود ، وحتى ، وثلاثة عاطفة ، هي : فاء السببية ، وواو المعية ، وأو .

١ - بعد لام الجحود :

هي حرف جر ، مجروره المصدر المؤول الذي يسبك من (أن) المضمرة وجوباً والفعل بعدها ، ويسبق بفعل كون منفي بـ : « ما » ، أو « لم » ، مثل : ما كنت لأكذبَ ، ولم يكن سعيد ليخون . والجار والمجرور يعلقان بخبر الفعل الناقص ، والجملة صلة موصول حرفي ، كما مر بنا في لام التعليل (١) .

٢ - حتى :

و « حتى » في هذا الموضع حرف جر ، ومجرورها المصدر المؤول ، وتتعلق بالفعل الذي تكون غاية له ، ولها هنا أحد معان ثلاثة :

— إلى أن : نحو قوله تعالى : « لن نبرح عليه عاكفين ، حتى يرجع إلينا موسى » (طه ٩١) وقول تأبط شراً :

سَدِّدْ خِلالَكَ من مالٍ تُجَمِّعُهُ

حتى تُلاقي الذي كلُّ امرئٍ لاقى

---

(١) قد يحذف فعل الكون للضرورة الشعرية ، لدلالة السياق عليه ، كقول عمرو بن معد يكرب :

فما جَمْعٌ ليغلبَ جمعَ قومي

مقاومةً ، ولا فردٌ لفردِ

والتقدير : ما كان جمعٌ ليغلبَ .

— إلا أنْ : كما ترى في قول الشاعر :

ليس العطاء من الفضول سماحةً
حتى تجودَ وما لديك قليل

أي : إلا أن تجود .

— التعليل : نحو قوله تعالى : « لا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم » (البقرة ٢١٧) ، أي : ليردوكم .

ويشترط في الفعل المضارع بعدها أن يكون للمستقبل ، كما هو واضح في الأمثلة المتقدمة ، وإذا فقد هذه الدلالة رفع ولم ينصب ، نحو قول حسان بن ثابت :

يُغْشَوْنَ حتى ما تَهِرُّ كلابُهم
لا يسألون عن السوادِ المقبلِ

فالفعل : تهر ، إنما يعبر عن عادة ألفها كلاب هؤلاء الكرماء ، وليس حدثاً طارئاً سيقع في المستقبل ، ولهذا رفع ، ولم تنصبه (أن) مضمرةً وجوباً . ومثله قول ذي الرمة :

لمن طلل عافٍ بوهبينَ راوحتْ
به الهُوجُ حتى ما تبينُ دوائرُهْ

فقوله : تبين ، لم ينصب بأن مضمرة ، لأن الطلل الذي راوحته هوج الرياح بدا للشاعر في زمن التكلم خافيةً دوائره ، وإذاً ، فالفعل المضارع « تبين » لا يدل على المستقبل ، بل على الحال ، ولهذا كانت « حتى » حرف ابتداء ، وليست حرف جر .

على أنه قد يكون الفعل دالاً على المستقبل إذا قُرِنَ إلى حدث مذكور، لا إلى زمن التكلم، كما في قوله تعالى: « مستهم البأساء والضراء وزُلزِلوا حتى يقولَ الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله .. » (البقرة ٢١٤). فالفعل: يقول، وقع بعد حصول البأساء والضراء والزلزلة، ولكنه لم يقع بعد زمن التكلم، أو في زمنه. وفي هذه الحال يجوز رفع المضارع، ونصبه.

٣ - بعد فاء السببية:

فاء السببية حرف عطف، تعطف المصدر المؤول الذي يسبك من (أنْ) المضمرة والفعل بعدها، على مصدر منتزع من الفعل الذي قبلها، نحو: « ولا تَطْغَوْا فيه فَيَحُلَّ عليكم غضبي » (طه ٨١)، وتقدير الكلام: لا يكن منكم طغيانٌ فحلٌّ غضبٍ مني.

وفاء السببية تدخل على جواب الطلب الذي تحدثنا عنه في الجوازم، فتنصبه، ولو حذفت لجزم الفعل، لاحظ الأمثلة الآتية:

— لا تتكاسلْ فتنجحَ	لا تتكاسلْ تنجحْ	إلا تتكاسلْ تنجحْ.
— ليته هنا فيحدثَنا	ليته هنا يحدثْنا	إن يكن هنا يحدثْنا.
— هل تدرس فتنجحَ	هل تدرسُ تنجحْ	ان تدرسْ تنجحْ.

وهكذا بقية أنواع الطلب، كالأمر والحض والعرض، إلى جانب ما مثلنا به من ضروب الطلب الأخرى، كالنهي والتمني والاستفهام.

ويزيد هنا النفي مع الجملة الخبرية، كقول الفرزدق:

ما أنت من قيسٍ فتنبحَ دونَها
ولا من تميمٍ في الرؤوسِ الأعاظم

وكقوله تعالى : « لا يُقْضى عليهم فيموتوا .. » (فاطر ٣٦) .

وإذا خلا الكلام من معنى الشرط والطلب ـ كما وضحنا ـ كانت الفاء استئنافية (١) ، والمضارع بعدها مرفوعاً على الاستئناف ، كقول جميل بثينة :

أَلَمْ تسألِ الربعَ القواءَ فينطقُ
وهل تخبرنْكَ اليومَ بيداءُ سَمْلَقُ (٢)

فالفعل : ينطق ، هنا مرفوع ، لأن الشاعر لا يجعل نطق الربع متوقفاً على السؤال ، ولا نستطيع ان نجعل العبارة شرطاً وجواباً ، أو طلباً وجواب طلب ، اي لا يمكن ان نصوغ الجملة على الشكل الآتي :

إن تسأله ينطقْ .   اسألْه ينطقْ .

ولو فعلنا هذا لخرجنا بالكلام عن المعنى الذي يريده الشاعر ، فهو يحث نفسه على سؤال الربع ، ولكنه صاغ الكلام بجملة استفهامية ، ثم أخبر نفسه بأن الربع مما ينطق ويتكلم ، ففي بقاياه ما يوحي بالحديث الذي تريد .

وعلى هذا قرئت الآية : « يا ليتني كنت معهم فأفوزُ فوزاً عظيما » (النساء ٧٣) بنصب الفعل : افوز ، ورفعه ، ولكلٍ معنى مختلف ، أما قراءة الرفع فتجعل الفوز معطوفاً على (الكون) معهم ، فكأنه قال : يا ليتني كنت معهم ، ويا ليتني أفوز فوزاً عظيما . أما قراءة النصب فانها تجعل الفوز متوقفاً على كون المتكلم معهم ، ويمكن ان تصاغ على الشكل الشرطي الآتي : إن أكن معهم أفُزْ .

(١) وقد تكون عاطفة كما سنرى بعد قليل في الآية : ليتني كنت معهم ...
(٢) السملق : الأرض التي لا تنبت شيئاً ، او المستوية الخالية .

٤ ـ بعد واو المعية :

وهذه أيضاً حرف عطف ، كفاء السببية ، ويشترط فيها ما اشترط في مثيلتها من تقدم جملة طلبية او منفية عليها ، ولكنها تختلف عنها من حيثُ المعنى ، فاذا قلت : لا تدرسْ وتستمعَ إلى المذياع . فأنت لا تطالب من المخاطب هنا أن يكف عن الدرس ، أو ان يكف عن الاستماع ، وإنما تطلب منه ألا يقوم بالعملين في وقت واحد ، وكذلك لو قلت : لا تأكلِ السمك وتشربَ اللبنَ . فأنت لا تنهاه عن أكل السمك ولا عن شرب اللبن ، ولكنك تنهاه عن الجمع بينهما في وقت واحـد ، ومثل هـذا قول الأخطل :

لا تَنْهَ عن خلقٍ وتأتيَ مثـله
عار عليـــك إذا فعلتَ عظيم

٥ ـ بعد أو :

هي حرف عطف كأختيها السابقتين ، وهي مثلهما تعطف المصدر المؤول على مصدر منتزع من الفعل السابق ، أما معناها فقد يكون (إلى أن) ، أو : حتى ، كقول الشاعر :

لأستسهلنَّ الصعبَ أو ادركَ المُنى
فما انقادتِ الآمالُ إلا لصابرِ

وقد يكون : إلا أن ، كقول يزيد بن الخذاق :

ان تجمعوا ودي وَمَعْتَبَتي أو يُجْمَعَ السيفانِ في غِمْدِ

وقول زياد الأعجم :

وكنتُ إذا غمزتُ قناةَ قومٍ
كسرتُ كعوبَها أو تستقيما (١)

٣ – إضمار « أن » في غير هذه المواضع

قد تضمر (أن) من غير أن تكون مسبوقة بحرف عطف ، او حرف جر ، وفي هذه الحال يرفع الفعل المضارع ، كما في الأمثلة الآتية :

مره أن يحفرَ البئر .	مره يحفرُ البئرَ .
خذه قبل أن يأخذك	خذه قبل يأخذُك .

ان تسمعَ بالمعيدي خير من أن تراه   تسمع بالمعيدي خير من أن تراه.

ومن الفصيح الذي يؤيد هذا ما جاء في قول طرفة بن العبد :

ألا أيهذا اللائمي أحضرُ الوغى
وأن أشهدَ اللذاتِ هل أنت مُخْلِدي

برفع : أحضر ، لسقوط (أن) قبلها . ووجهت الآية القرآنية الآتية مثل هذا التوجيه : « قل أفغيرَ اللهِ تأمرونّي أعبدُ أيها الجاهلون » (الزمر ٦٤). أي : تأمرونّي بأن أعبدَ . ثم حذفت : أن ، فرفع الفعل بعدها .

على أنه روي بيت طرفة بنصب : أحضر ، وكذلك روى المثل العربي بنصب : تسمع ، بَيْدَ أن الرواية الصحيحة الثابتة هي الرفع .

---

(١) كذا روى النحويون البيت ، بنصب : تستقيم ، وهو من قصيدة مضمومة الروي ، يكثر فيها الإقواء ، انظر : شرح أبيات المغني للبغدادي ٢/٧١

شواهد التدريب

١ — قال امرؤ القيس :

سريت بهم حتى تكلَّ مطيُّهم
وحتى الجيادُ ما يقدن بأرسانِ

٢ — قال النابغة الذبياني :

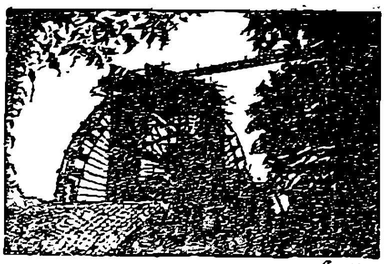
أتاك بقولٍ لم أكنْ لأقولَـهُ
ولو كُبلتْ في ساعديَّ الجوامعُ

٣ — قال الأبيرد اليربوعي :

فتىً لا يَعُدُّ الرِسْلَ يقضي ذِمامه
إذا نزل الأضياف أو تُنْحَرَ الجُزْرُ

٤ — قال أبو محجن الثقفي :

ولا تدفنـني بالفلاةِ فإنني
أخاف إذا ما متُّ ألا أذوقُها



الأفعال الناقصة

للفعل التام دلالتان ، فهو يدل على حدث ويدل على زمان ، فاذا قلنا : كتب ، دل الفعل على حدوث عمل في زمن مضى ، وإذا قلنا : يكتب ، دل على حدوث عمل في الزمن الحاضر او المستقبل .

وهناك بعض الأفعال لا تدل إلا على الزمان ، اما الحدث فلا تدل عليه ، ولذلك سميت أفعالاً ناقصة ، وهي : كان واخواتها ، فإذا قلت : كان عبدالله صديقك ، لم ترد إلا أن تخبر عن صداقة عبدالله المخاطب في زمن مضى ، كأنك قلت : عبدالله صديقك فيما مضى ، وليس في « كان » دلالة على حدث ما . (١)

وكثيراً ما تأتي « كان » خاصة لتدل على الاستمرار أو الثبوت ، وذلك في شواهد كثيرة ، مثل : « كنتم خير أمــة اخرجت للناس » (آل عمران ١١٠) ، « إن الله كان عليكم رقيباً » (النساء ١) « إن الله كان عليماً حكيماً » (النساء ٢٤) ، « وكان الله غفوراً رحيماً » (النساء ٢٣) .

آ ـ كان وأخواتها

١ ـ أقسامها :

آ ـ قسم منها يتصرف تصرفاً تاماً ، وهو : كان ، اصبح ، أضحى ،

---

(١) هذا أرجح الرأيين في المسألة ، وعليه سيبويه والمبرد والفارسي وابن جني والرماني وابن برهان والعكبري وابن يعيش ، ويذهب آخرون إلى =

بات ، ظل ، صار ، تقول : كان الحر شديداً ، وسيصبح معتدلاً عند المساء ، فكن مستعداً له .

ب ـ وقسم آخر يتصرف تصرفاً غير تام ، فلا يأتي منه إلا الماضي والمضارع ، وهو : ما زال ، ما انفك ، ما برح ، ما فتىء .

ج ـ وقسم جامد لا يتصرف ألبتة ، وهو : ليس ، ودام .

أما برح ، وانفك ، وزال ، وفتىء ، فلا تكون ناقصة إلا إذا تقدمها نفي ، أياً كان ، اسماً او فعلاً او حرفاً ، او إذا تقدمها نهي او دعاء ، مثل : ما برح الشتاء قارساً ، لا تبرحْ مكباً على عملك ، ولست تبرح ميالاً إلى العمل الجاد ، ومن ذلك قول الحسين بن مُطَيْر :

قضى الله يا أسماء أنْ لستُ زائـلاً
أحبكِ حتى يُغمضَ الجفنَ مُغمِضُ

وقد يحذف النفي ويقدر بعد القسم ، كقول امرىء القيس المشهور :

فقلتُ : يمينُ اللهِ أبرحُ قاعـداً
ولو قطعوا رأسي لديكِ واوصالي

ويسبق : دام ، (ما) المصدرية الزمانية ، مثل : ما دمتُ حياً ، في قول المتوكل الليثي :

فلستُ بزائلٍ ما دمتُ حيـاً
مُسِراً من تذكرِها هُياما

= أنها تدل على حدث مطلق ثم يخصصه الخبر ، وعلى هذا متأخرو النحاة ، ويقول هؤلاء إنما سميت ناقصة لأنها لا تكتفي بمرفوعها .

٢ ـ خصائص كان :

آ ـ تزاد غالباً بلفظ الماضي بعد « ما » التي للتعجب ، مثل : ما كان أجملَ السماءَ ! وما كان ابهجَ انوارَها ! وتزاد بين شيئين متلازمين ، مثل: لم يوجد كانَ أعدلُ من عمر ، وإن من أفضلهم كان زيداً ، ورأيت ديارَ قومٍ كان كرامٍ . وقد وردت زيادتها بلفظ المضارع كقول أم عقيل ابن ابي طالب :

أنت ـ تكونُ ـ ماجـــدٌ نبيلُ
إذا تَهُبُّ شَمْـــألٌ بَليلُ

ب ـ يجوز حذفها وبقاء عملها ، ولذلك صور ثلاث :

١ ـ حذفها وحدها :

قد تحذف « كان » من الكلام لفظاً ، ويبقى عملها في الاسم والخبر ، كقولهم :

أما أنتَ منطلقاً انطلقتُ معك .

وهذه الجملة في الحقيقة محمولة على كلام سمع من فصحـــاء العرب ، وتحدث عنه ابو عمرو ، ويونس ، والخليل بن احمد ، وسيبويه (١) ، وليس شيئاً استحدثه النحاة ـ كما يزعم بعضُ من الدارسين ـ إلا أنه مما مسَّه التطور ، إذ كان في الأصل :

لِأنْ كنتَ منطلقاً انطلقتُ مَعكَ .

وتقديره : انطلقت معك لكونِكَ منطلقاً . ثم حـذفت اللام الجـارة قبل

---

(١) انظر : كتابه : ١/٤٥٣

المصدر المؤول ، وهذا جائز قياساً (١) ، وحذفت « كان » دون اسمها ، وعوض عنها بـ « ما » الزائدة ، فصار الكلام على هذه الصورة :

أن ما تَ منطلقاً انطلقتُ معك .

ثم أدغمت النون بالميم ، كما تقتضي قواعد الإدغام ، واستبدل بالضمير المتصل ضمير منفصل ، حتى يمكن لفظه ، فصار الكلام :

أما انت منطلقاً انطلقتُ معك .

وقد جاء منه في الشعر قول العباسِ بنِ مرداس :

أبا خُراشةَ أما أنتَ ذا نفرٍ
فإنَّ قوميَ لم تأكلْهُمُ الضَّبُعُ

٢ ـ حذفها مع احد معموليها :

وغالباً ما يكون الاسم هو المحذوف ، وذلك بعد « لو » و « إن » ، مثل : التمس ولو خاتماً من حديد ، اي ولو كان الملتمس خاتماً من حديد ، ومثل : الناس مَجْزِيّون بأعمالهم ، إن خيراً فخيرٌ ، وإن شراً فشر ، أي : إن كانت أعمالهم خيراً فجزاؤهم خير ، وإن كانت شراً فجزاؤهم شر ، ويجوز أن تقول : إن خيرٌ فخيراً ، وإن شرٌ فشراً ، اي : إن كان فيها خير ، فإنهم يجزون خيراً ...

٣ ـ حذفها مع معموليها كليهما :

يقال : اقرأ هذا إمّا لا ، والأصل : اقرأ هذا إن كنتَ لا تقرأ غيرَهُ .

---

(١) سيمر بك هذا في بحث المجرور بالحرف .

ج - يجوز حذف النون من مضارعها : وذلك إذا كان مجزوماً وتلاه متحرك ليس ضميراً متصلاً ، مثل قوله تعالى : « إنها إن تَكُ مِثقالَ ذرةٍ من خردَلٍ . » (لقمان ١٦) ، وقول بشر بن ابي خازم :

فمن يكُ لم يَلْقَ البيانَ فإنه
سيأتيه بالأنباء من لا يكذب (١)

٣ - متى تكون هذه الأفعال تامة :

وحين تدل هذه الأفعال على حدث وزمان تصير أفعالاً تامة ، فـ « كان » تعني : جرى ، او : حصل ، كقوله تعالى : « إنما أمره إذا أراد شيئاً ان يقول له : كن ، فيكون » (يس ٨٢) ، وأمسى ، تعني : دخلَ في المساء ، وأصبح ، دخل في الصباح ، وأضحى دخل في الضحى ، وبات نزل ليلاً ، او ادركه الليل ، كقول الشنفرى :

بعينيّ ما أمست فباتَتْ فأصبحت
فقضَّتْ أموراً فاستقلت فوات

ومثله قول جرير :

تبيتُ ليلك ذا وجدٍ تخامِرُهُ
كأن في القلب أطرافَ المساميرِ

---

(١) أجاز يونس بن حبيب وابن مالك حذف النون وإن وليها ساكن ، تمسكاً بقول الخنجر بن صخر الأسدي :

فإن لم تكُ المرآةُ أبدت وسامةً
فقد أبدتِ المرآةُ جبهةَ ضيغمِ

وبقراءة شاذة : « لم يكُ الذين كفروا . » (البينة ١)

وكذلك إذا عنى الفعل : صار ، وصل إلى ، أو انتهى إلى ، كان تاماً ، كما تجد في قول أبي الأبيض العنسي :

وذي أملٍ يرجو تُراثي وإنْ ما
يصيرُ له مني غداً لقليلُ

وإذا عنى الفعل : برح ، غادر ، كان تاماً ، تقول : لا ابرح هذه الأرض ، ومنه قول أبي ذؤيب :

فتلك التي لا يَبْرَحُ القلبَ حُبُّها
ولا ذكرُها ما أرْزَمَتْ أمُّ حائلِ (١)

٤ ـ أفعال تامة تستعمل ناقصة :

وهناك أفعال تامة تستعمل في بعض الأحيان ناقصة ، وذلك إذا تحولت من المعنى الذي وضعت له ، إلى معنى الفعل الناقص : صار ، كقولك : عاد الدرسُ سهلاً ، فالفعل : عاد ، لا يعني الرجوع ، بل اتخذ معنى الفعل الناقص الذي ذكرناه ، ومثله قول قيس بن رفاعة :

لتَرْجِعُنَّ أحاديثاً مُلَعَّنةً
لَهْوَ المقيمِ ، ولَهْوَ المدلجِ الساري

فلم يكونوا أحاديث ملعنة من قبل حتى يرجعوا إلى ما كانوا عليه ، ولكنه عنى أنهم سيصبحون كذلك ، وبهذا يكون الفعل « ترجعن » ناقصاً لا تاماً .

ب ـ أفعال المقاربة

١ ـ دلالتها :

تدل على قرب وقوع خبرها ، وهي : كاد ، وأوشك ، وكرب ،

(١) أرزمت : حنت . ويريد بقوله : أم حائل ، الناقة .

مثل : كاد المطر يهطلُ . فالمطر لم يهطل ، ولكن هطوله بات قريباً متوقعاً، وكذلك : أوشك المطر ان يهطل ، وكرب المطر يهطل .

٢ ـ خبرها :

خبر هذه الأفعـال يختلف عن خبر (كان) وأخواتها ، فهو لا يكون إلا جملة فعلية فعلها مضارع مسند إلى ضمير يعود إلى اسمها ، كما في المثـال السابق .

ويغلب ان يقترن المضارع بـ « أنْ » [1] ، في خبر (أوشك) ، مثل : اوشك المطر أن يهطل . ولا يقترن في خبر « كاد » و « كرب » إلا في ضرورة الشعر ، ويراه بعضهم قليلاً شاذاً ، وأكثر منه شذوذاً ان يأتيَ الخبر اسماً صريحاً ، كقول تأبط شراً :

فأبْتُ إلى فَهْمٍ وما كِدْتُ آئباً
وكم مثلها فارقتهـا وهي تَصْفِرُ [2]

---

(١) المصدر المؤول مفرد لا جملة ، ولذلك وقع النحاة في حيرة أمام هذا التركيب ، فذهب بعضهم إلى أنها ليست (أن) المصدرية الـتي تؤول مع الفعل بمصدر ، ائلا يكون الخبر مفرداً ، ولئلا يخبر بالمعنى عن اسم ذات ، فـ (أن) عندهم حرف ناصب يجعل زمن المضارع للمستقبل ، وقبل آخرون ان تكون مصدرية ، وقدروا مضافاً محذوفاً قبل المصدر المؤول ، مثل : أوشك المطر ان يهطل . اوشك المطر ذا هطول ، وفي العربية غير هـذه من الحيرات .

(٢) رواية الحماسة : ولم أكُ آيباً . (المرزوقي ١/٨٣) . والرواية الـتي أثبتناها ارجح في المعنى .

ج — أفعال الرجاء

١ - دلالتها :

تدل هذه الأفعال على رجاء وقوع الخبر ، وهي : عسى ، وحرى ، واخلولق ، وهي افعال جامدة ، ماضية اللفظ ، إلا انها تدل على المستقبل في سياقها ، كقولك : عسى الله بعد النأي ان يقربنا . فالرجاء كان وقت التكلم ، والتقريب سيحدث في المستقبل [١] .

٢ - أخبارها :

إنها كأخبار أفعال المقاربة ، ولكن يقترن المضارع فيها بأن وجوباً بعد : حرى ، واخلولق وغالباً بعد (عسى) ، مثل : حرى المطر أن يهطل ، واخلولق ، الغيم أن ينكشف . و « عسى الله أن يرحمكم » (الاسراء ٨) ، هذا هو الفصيح المستقرى من لغة العرب ، إلا أنهم نقلوا ما يخالف ذلك ، كقول بعض العرب : عسى الغوير أبؤسا ، إذ جاء الخبر

---

(١) ذهب بعض النحاة إلى ان (عسى) حرف لجمودها ، ودلالتها ، فهي عندهم لا تختلف عن : لعل ، ويرد آخرون بأن الضمائر تلحقها كما تلحق الأفعال مثل : عسيتم ، ويرجح كثير منهم كونها حرفاً إذا وليها ضمير نصب ، كقول الشاعر :

فقلت عساها نارُ كأسٍ وعلها
تشكى فآتي نحوها فأزورُها

مفرداً ، فعدوا ذلك شاذاً (١).

د — أفعال الشروع

١ - دلالتها :

هي أفعال كثيرة تدل على الشروع في الفعل والبدء به ، أشهرها : شرع ، وأنشأ ، وأخذ ، وهَبَّ ، وجعلَ ، وطفِقَ ، وقام ، وانبرى ، و ... الخ .

وهي في الأصل أفعال تامة ذات معان خاصة ، يختلف بعضها عن بعض ، ولكنها تركت معانيها الخاصة ، وصارت ذات دلالة معنوية واحدة هي الشروع والبدء ، مثل : أخذ البحر يزبد ، فطفق البحارة يعودون إلى الساحل .

٢ - أخبارها :

هي كأخبار أفعال المقاربة والرجاء ، ولكنها لا تقترن بـ « أنْ » البتة ، كقوله تعالى : « وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة » (الأعراف ٢٢) . ومثل ذلك قول عمرو بن أحمر الباهلي :

وقد جعلتُ إذا ما قمتُ يثقلني
ثوبي ، فأنهضُ نهضَ الشاربِ الثَّمِلِ

شواهد للتدريب

١ — « لن نبرحَ عليه عاكفين حتى يرجعَ إلينا موسى » (طه ٩١)

---

(١) قد تأتي (عسى واخلولق) تامتين ، وذلك إذا وليهما مصدر مؤول ، كقوله : « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم . » (البقرة ٢١٦) والمصدر المؤول فاعل .

٢ ـ « أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجلٍ منهم » (يونس ٢)

٣ ـ قال ابو الأسود الدؤلي :

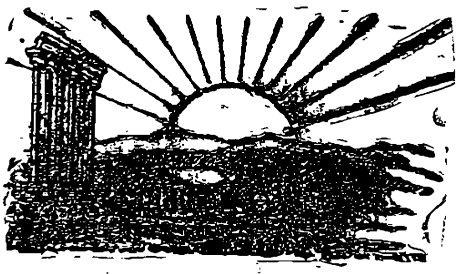
فإلا يكنها أو تكنه فإنه
أخوها غذته أمه بلبانها

٤ ـ قال النابغة الذبياني :

فإن أكُ مظلوماً فعبدٌ ظلمته
وإن تكُ ذا عتبى فمثلُك يعتب

٥ ـ قال أحد الأعراب :

عسى الله بعد النأي أن يعقب النوى
ويجمع شملٌ بعدها وسرورُ



أحرف تعمل عمل الأفعال الناقصة

هذا الجزء لا بد منه في بحث الأفعال الناقصة ، لأنـه متمم له ، على الرغم من انه لا يتعلق بالفعل عامة . فهناك أربعة احرف تعمل عمل الفعل الناقص « ليس » ، هي : ما ، وإنْ ، ولا ، ولاتَ . ودونك تفصيل الحديث عن كل منها .

١ — ما .

تشبه « ما » ليس ، في المعنى ، فهي مثلها من حيث النفيُ ، ومن حيث الدلالةُ على الحال ، والكثير الشائع في استعمالها أن تقع الباء الجارة زائدةً في الخبر الذي يليها ، إذا لم ينتقض نفيها بـ « إلا » ، كقوله تعالى : « وما صاحبُكم بمجنون » (التكوير ٢٢) . وقوله : « وما ربك بظلامٍ للعبيد » (فصلت ٤٦) . وكقول امرىء القيس :

ألا ايها الليلُ الطويلُ ألا انجلي
بصبحٍ وما الإصباحُ منكَ بأمثلِ

وفي تراكيب قليلة جداً سقطت الباء من الخبر ، فاختلفت في إعرابه لهجات العرب ، إذ رفعه سكان نجد (١) ، ونصبه سكان الحجاز ، فمن اللهجـة الأولى قول أشجع السُّلَمي :

وما أنا من رُزْءٍ وإن جلَّ جازعٌ
ولا بسرورٍ بعـدَ موتِكَ فارحُ

(١) وقيل : تهامة ايضاً . انظر القرطبي ١٧/٢٧٩

وقول الآخر ، وهو مما رواه النحويون الثقات :

اشتانَ ما أنوي وينوي بنو أبي
جميعاً فما هذانِ مستويانِ

ومن اللهجة الحجازية قوله تعالى : « وقلنَ حاشَ لله ، ما هـذا بشراً » (يوسف ٣١) وقوله : « ما هُنَّ أمهاتِهِم » (المجادلة ٢) ، وقول الشاعر :

أبناؤها متكنفونَ أباهُم
حَنِقو الصدورِ وما هم أولادَها (١)

أما اللغة النجدية فليس فيها شيء يحتاج إلى تفصيل ، ولا تدخل في بحث الأفعال الناقصة ، ولذلك تحدث النحاة عن اللغة الحجازية ، واستقروها، فوجدوا أن « ما » فيها تعمل عمل « ليس » (٢) ، ولكنها لم تبلغ مبلغها من القوة ، ومن اجل هذا لا بد لها من شروط تستوفيها الجملة الاسمية بعدها حتى تتمكن من العمل ، فما هي ؟

١ - ألا يتقدم الخبر على الاسم :

كما رأيت في الآيتين السابقتين ، أما إذا تقدم الخبر وتأخر الاسم ، فإن « ما » لا تقوى على العمل ، كقولك : ما بخيلٌ أخوك ، وما صعبٌ عملك . وما مسيءٌ مَنْ أعتبَ .

---

(١) الضمير في (أبناؤها) يرجع إلى الكتيبة . والأب هنا : القائد .
(٢) هذا مذهب البصريين ، أما الكوفيون فيرون ان الخبر نصب على إسقاط الباء الجارة . انظر معاني القرآن للفراء ٢/٤٢

والمقصود بالتقديم والتأخير ما كان فيه الخبر المقدم اسماً ظاهراً ، كما رأيت فيما مثلنا لك به ، أما إذا كان الخبر كوناً عاماً محذوفاً ، يملق به ظرف او جار ومجرور ، كما في قول عبدالله بن كعب العُميْري :

وما ليَ شيءٌ منكما غيرَ أنني
أمَنّي الصَّدى ظِلَّيْكُما فأطيلُ

فالنحاة فيه على خلاف ، فالأكثر والأصح أن « ما » مهملة ، وان ما بعدها مبتدأ وخبر ، ويجيز بعضهم عملها ، فيقدر الخبر المحذوف منصوباً .

* * * *

وههنا ظاهرة أخرى يحسن بنا أن نتحدث عنها ، ففي بعض النصوص تقدم على اسم « ما » معمولُ خبرها ، كما ترى في قول مزاحم العقيلي :

وقالوا : تعَرَّفْها المنازلَ مِن مِنىً
وما كلَّ من وافى مِنى أنا عارفُ

وكقولك : ما بي أنت مهتماً . فإن كان المعمولُ شبهَ جملة جاز العمل ، كما رأيت في المثال النثري ، وإن كان اسماً ظاهراً بطل العمل كما رأيت في البيت الشعري .

* * * *

٢ ـ والشرط الثاني ألا ينتقض نفيها بـ « إلا » :

وذلك واضح في الأمثلة المتقدمة التي عملت فيها ، وإذا انتقض نفيها بطل عملها ، كما هو واضح في قوله تعالى : « وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل » (آل عمران ١٤٤) ، وقوله « ما أنتم إلا بشرٌ مِثْلُنا » (يس ١٥) .

٣ ـ **والشرط الثالث ألا تقع بعدها « إن » الزائدة خاصة :**

دون غيرها من الزوائد ، فإذا وقعت بطل عملها ، كما ترى في قول الشاعر :

بني غُدانة ما إن أنتم ذهبٌ
ولا صريفٌ ولكن أنتم الخزفُ

أما إن كان الحرف الزائد « من » الجارة مثلاً ، فلا يبطل عملها ، كقول الراجز :

لا ينسك الأسى تأسيا فما
ما مِن حِمامٍ أحدٌ معتصما

وقوله تعالى : « فما منكم من أحد عنه حاجزين[1] » (الحاقة ٤٧)

* * * *

واختلف النحويون في عمل « ما » حين يكون الخبر بعدها مجروراً بالباء الزائدة ، وهو الغالب عليه ، كما قلنا ، فذهب بعضهم ، كأبي علي الفارسي ، والزمخشري ، إلى أنها في هذه الحال عاملة عمل « ليس » وجوباً ، لأن الباء ـ في زعمهما ـ لا تزاد في خبر (ما) المهملة ، وذهب آخرون إلى أن زيادة الباء في الخبر جائزة بعد (ما) المهملة ، والعاملة .

---

(١) حاجزين : خبر (ما) ، وقد نصب بها ، وأحد : اسمها ، جر لفظاً بـ : مِنْ ، الزائدة ، وأحد : مفرد لفظاً وجمع معنى ، لذلك جمع الخبر (حاجزين) ، وهذا مثل قوله تعالى : « لا نفرق بين أحد من رسله » . هذا وبعض النحويين جعل : حاجزين ، صفة لأحد ، والوجه الأول أصح معنى .

وما ذهب إليه الفريق الأول ليس بشيء، وعلة ذلك أن الباء تزاد في الخبر المنفي لا الخبر المنصوب، ويوضح لك ما يلي هذه الظاهرة:

١ ـ نجد الباء في النصوص المنقولة عن لغة نجد ـ وهي التي لا تُعمل «ما» ـ زائدةً في الخبر، كقول الفرزدق التميمي:

لعمرك ما مَعْنٌ بتاركِ حقِه
ولا منسىءٌ مَعْنٌ ولا متيسر

٢ ـ ونجد الباء كذلك زائدةً في خبر (ما) التي بطل عملها، كزيادتها في الخبر المتقدم على الاسم، نحو قول الشاعر:

أما واللهِ أنْ لو كنتَ حراً
وما بالحرِ أنت ولا العتيقِ

وكزيادتها بعد (ما) التي زيدت بعدها (إنْ)، كما في قول المتنخل الهذلي:

لعَمْرُكَ ما إن أبو مالكِ
بِواهٍ ولا بضعيفٍ قُواه

٣ ـ وأقوى من هذه الأدلة ان الباء تزيد في الخبر المنفي، بعد أداةٍ غيرِ عاملة بإجماع النحويين، كالأداة «هل» حين تتضمن معنى النفي، وهذا واضح في قول الفرزدق:

يقول إذا اقلولى عليها وأقردت
ألا هل أخو عيشٍ لذيذٍ بدائم(١)

(١) الضمير المستتر في «يقول» يرجع إلى الرجل الكلبي، واقلولى: علا ظهرِ الأتانِ. أقردت: لصقت بالأرض.

من هذا كله يتبين لنا أن الباء لا تجزم بعمل « ما » لأنها تزاد ـ كما قلنا ـ في الخبر المنفي لا في الخبر المنصوب.

وثمة ظاهرة أخرى لا بد من الإلمام بها، وهي أن الشروط الثلاثة التي أوردها النحاة ليست مما أُجْمِعَ عليها، فقد ذكر بعضهم أن « ما » تعمل وإن تقدم في جملتها الخبر على المبتدأ، وأنشدوا هذا البيت نصباً للفرزدق :

فأصبحوا قد أعادَ اللهُ نعمتَهم
إذ هُمْ قريش وإذ ما مِثْلَهُمْ بشَرُ

ونسبوا إلى يونس بن حبيب أنه كان يجيز إعمالها وإن نُقض نفيها بأداة الحصر « إلا »، وساقوا شاهداً على ذلك قول الشاعر :

وما الدهرُ إلا منجنوناً بأهله
وما صاحبُ الحاجاتِ إلا معذّبا (1)

وكذلك ذكر بعضهم أنها تعمل وإن زيدت بعدها « إن »، ونسبوا إلى يعقوب بن السكيت ـ أحد اللغويين القدماء ـ أنه انشد هذا البيت نصباً :

بني غُدانة ما إنْ أنتم ذهباً
ولا صريفاً ولكن أنتم الخزفُ

غير أن النحويين الذين أوجبوا الشروط الثلاثة المتقدمة، تأولوا الأبيات، وأنكروا أن تكون دليلاً على بطلانها، فمنها ما يرتد إلى قاعدةٍ أخرى، كبيت الفرزدق : فأصبحوا ... إذ ان كلمة « مثل » ليست منصوبة

(1) المنجنون : الدولاب .

لأنها خبر « ما » بل هي مبنية على الفتح ، لأنها اسم مبهم أضيف إلى مبني .

ومنها ما يرتد إلى رواية أخرى نقلهـا الرواة ، كالبيتين الآخرين ، إذ يروى الأول :

أري الدهرَ إلا منجنوناً بأهله

ويروى الثاني : ما أنتم ذهبٌ ، كما مر بنا .

كما أنهم - عند التسليم بالرواية المخالفة للشروط - قـدموا بعض التوجيهات التي من شأنها أن تسلك بالقاعدة والشروط مسلك الاطراد .

* * * *

وتحدث النحويون عن المفاضلة بين اللهجتين : النجدية والحجازية ، فأجمعوا على أن الأولى منهما أكثر مجاراةً للقياس ، وإن كانت الثانية عريقة في الفصاحة ، واعتمدوا في ذلك على علة ذهنية ترجع إلى نظرية العـامل التي تحدثنا عنها في الصفحات الأولى من هذا الكتاب ، ذلك أن « ما » حرف غير مختص ، وينبغي له ألا يعمل ، مَثَلُهُ في ذلك مثل : هل ، فإعماله في لغة الحجاز خروج على قياس العربية ، وإهماله في لغة نجد هو القيـاس المطرد .

وقد رأينا من قبل أن مسألة الاختصاص في الحروف العاملة لا تخرج عليها « ما » وحدها وإنما هناك أحرف اخرى لا تختلف عنها في ذلك ، هي : لا ، وإن ، النافيان ، وإذن ، وكي ، ومعنى هذا أن ظاهرة مجاراةِ القياس في لغة نجد ، والخروج عليه في لغة الحجاز ، ليست قاصرة على « ما » وإنما تلتمس في غير ما حرفٍ من حروف العربية ، وبهذا يكون بَحْثُ المفاضلة من هذا المنطلق لا يؤدي إلى نتيجة حاسمة .

٢ — « إنْ » النافية

الاستعمال الكثير لهذا الحرف أن يأتي منتقضاً نفيه بـ « إلا »، كقوله تعالى : « إن هذا إلا مَلَكٌ كريم » (يوسف ٣١)، وقوله : « إن أنتم إلا بشرٌ مثلُنا » (ابراهيم ١٠)، ولكن جاءت في تراكيبَ قليلة من دون ان ينتقض نفيها، فعملت عملَ « ليس »، لأنها تشبهها في نفي الحال على غرار ما وجدنا في « ما ».

ولا بد لها من أن تستوفيَ شرطين من الشروط الثلاثة التي مرت بنا في بحث « ما » حتى تقوي على العمل، هما :

١ — ألا يتقدم الاسم على الخبر.

٢ — ألا ينتقض نفيُها بـ « إلا ».

وكلاهما مستوفى في قول الشاعر :

إنِ المرءُ ميْتاً بانقضاءِ حياتِهِ
ولكن بأنْ يُبْغى عليه فيُخْذلا

وفي قول العرب : إن ذلك نافعَك ولا ضارَّك، وإن أحد خيراً من أحد إلا بالعافية. (١)

٣ — « لا » النافية

وهذا حرف ثالث يعمل عمل « ليس » ولكن بقلة وندرة بالنثين،

(١) نقلوا قراءة قرآنية نسبوها إلى سعيد بنِ جبير تحمل هذه الظاهرة، هي قوله تعالى : « إنِ الذين تدعون من دون اللهِ عباداً أمثالَكُمْ » (الأعراف ١٩٤)

ولم يسمع إلا في الشعر ، على حينَ سمع عمل الحرفين السابقين في الشعر والنثر ، وقد يرجع ذلك الى أن شبَهَ « لا » بـ « ليس » ضعيف ، لأنها للنفي مطلقاً ، وليست لنفي الحال فحسب ، ولم يسمع عملها في الخبر صراحةً إلا في بيت واحدٍ لشاعرٍ غيرِ معروف ، هو قوله :

تعزَّ فلا شيءٌ على الأرضِ باقيا
ولا وَزَرٌ مما قضى اللهُ واقيا

ولكنهم قدروا خبراً منصوباً في قول سعد بن مالك :

مَنْ صدَّ عن نيرانِها فأنا ابنُ قيسٍ لا براحُ

ولا بدَّ من استيفائها ثلاثةَ شروط حتى يصح عملها على قلته ، هي :

١ — ألا ينتقضَ نفيها بـ « إلا » .

٢ — ألا يختل ترتيب الاسم والخبر بعدها .

٣ — أن يكون اسمها وخبرها نكرتين ، وهذا لم يُشترط في عمل « ما » و « إن » ، كما رأيت . إلا أنهم سمعوا ما يخالف هذا الشرط ، كقول النابغة الجعدي :

وحلتْ سوادَ القلبِ لا أنا باغياً
سواها ، ولا عن حبها متراخيا

ولهذا نزعت طائفة من النحويين الى إلغاء شرط التنكير ، لأنهم رأوا تساويَ المسموع في تعريف الاسم وتنكيره ، اما القياس الذي عاذ به دعاة الشرط الثالث فلا يكفي وحده في بناء قواعد اللغة .

٣ – « لات » النافية

وهذا حرف رابع يختلف النحاة في طبيعته [1] ، ويشترط فيه ما لم يشترط في الأحرف السابقة ، إذ لا بد أن يكون اسمه وخبره من أسماء الأحيان ، نحو : حين ، وساعة ، وأوان ، كقوله تعالى : « كم أهلكنا من قبلهم من قرنٍ فنادَوْا ولاتَ حينَ مَناص » (ص ٣) ، وكقول محمد بن عيسى التميمي ، أو المهلهل بن مالك الكناني :

ندمَ البغاةُ ولاتَ ساعةَ مندمٍ
والبغيُ مرتــعُ مبتغيهِ وخيمُ

أي : وليس الحينُ حينَ مناص ، وليست الساعةُ ساعةَ مندم . ومن

---

(١) ذهب بعضهم إلى أنها مركبة من « لا » العاملة عمل « ليس » ، وتاء التأنيث ، إجراءً لها مُجرى « ليست » ، او لحقتها عند بعضهم التاء إجراء لها مجرى : ثمّة ، وقال الأخفش : هي النافية للجنس ، تعمل عمل « إن » ، وقال آخرون : لات ؛ فِعل ، وقال آخرون : التاء أصل ، وكتابتها ، لا تحين ، وقد قرئت الآية بنصب : حين ، ورفعها ، وتكلم النحاة عليها واختلفوا ، وقد يجر ما بعدها ، كقول أبي زبيد الطائي :

طلبوا صلحَنا ولاتَ أوانٍ
فأجبنا أن ليس حينَ بقاءِ

ذلك بيت يروى للأعشى :

لاتَ هَنّا ذكرى جبيرةَ أو مَنْ
جاء منها بطائفِ الأهوالِ (١)



(١) هنّا : حين ، والمعنى : ليس الوقت وقت ذكر جبيرة .

فعلا التعجب

التعجب هو أن يظهر المتكلم استعظامه لشيء فتن به وأعجبه ، ولا يعبّر عنه بكلمات لغوية فقط ، بل يرفقها بحركاته ، وتقاطيعه ، ونظراته ، وانخفاض صوته أو ارتفاعه ، وطريقة نبره للحروف حتى يفهم السامع ، وينقل اليه ما يحسّ به من استعظام .

وعلى هذا كانت عباراته كثيرة ومتنوعة ، فأحياناً تنتقل الصيغة الاستفهامية الى التعجب بلهجة المتكلم ، من ذلك قول الأعشى :

بانت لتحزُنَنا عفاره يا جارتا ، ما أنت جارَه !

ومثله قوله تعالى : «كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم» ، (البقرة ٢٨) . وأحياناً اخرى تنتقل الجملة الاخبارية إلى التعجب ، كقول العرب : لله دَرّه ! ولله أنت !

إلا أن العربية تحوي صيغتين قياسيتين تستعملان في التعجب ، الى جانب ما ذكرناه من عبارات سماعية ، دلّ على معنى التعجب فيها السياق ، وهما :

١ً ـ ما أفعله ، مثل : ما أعظمَ البحرَ ، وما أجمله .

٢ً ـ أفعل به ، مثل : أعظِمْ بالبحر واجمِلْ به .

١ً ـ شروط صياغتهما

ويصاغ هذان الفعلان من الأفعال على ان تجتمع فيها الشروط التالية :

١ ـ **أن تكون ثلاثية** : فمن الفعل «كَرُمَ» تقول : ما أكرمَ فلاناً ، أو اكرمْ به . ومن «عظُمَ» : ما أعظمه ، أو اعظم به . أما الفعل : دحرج ، فلا يصاغ منه فعلا التعجب ، لأنه ليس بثلاثي . ويستوي هنا الرباعي المجرد ، والثلاثي المزيد فيه ، فلا يصاغ التعجب من : اقشعرّ ، وانطلق ، واستغفر ، و ...

٢ ـ **أن تكون متصرفة** : كالفعل : كَرُمَ ، فهو في المضارع : يكرم ، وفي الأمر : اكرُمْ ، ومثله : عظم يعظم اعظم ، أما الفعل : ليس ، فلا يأتي منه التعجب ، لأنه جامد ، لا يأتي منه المضارع والأمر ، ومثله : نِعْمَ ، وبِئْسَ ، وعَسى .

٣ ـ **أن تكون تامة** : أي ليست من الأفعال الناقصة ، فلا يصاغ فعلا التعجب من : كان ، وأصبح ، وظل ، وكاد ، واوشك ، و ..

٤ ـ **أن تكون مثبتة** : فلا يبنيان من الأفعال المنفية ، مثل : ما كرم فلان . لأن النفي لا يبين في الصيغتين التعجبيتين ، اذا صيغتا من الفعل صياغة مباشرة .

٥ ـ **أن تكون مبنية المعلوم** : فالأفعال : ضُرب ، تُوفي ، عُلِمَ ، مبنية للمجهول ، ولذلك لا يصاغ منها فعلا التعجب .

٦ ـ **أن تكون معانيها قابلة للتفاوت** : فالفعل «مات» لا تفاوت فيه ، ومثله «فني» ، فلا يصاغ منهما فعلا التعجب . أما الفعل : كرم ، فقابل للتفاوت ، فهناك كريم ، ومن هو أكرم منه ، ومثله : عظم ، وحَسُنَ ، وعلم ، و ...

٧ ـ **ألا تكون الصفة منها على وزن أفْعَل** : فلا تجوز صياغتهما من الفعل «عرج» لأننا إذا اردنا أن نصف إنساناً بالعرج قلنا : أعرج ،

ومثله : عمي ، لأن الوصف منه : أعمى ، وحَوِر ، لأن الوصف : أحور. أما الفعل : كَرُمَ ، فالصفة منه : كريم ، ليست على وزن أفعل ، ولذلك جاز ان نقول : ما أكرمَه ، وأكرم به ، ولم يجز ان نقول : ما أعماه وأعمِ به ، وما أعرجه وأعرج به .

٢ ـ التعجب مما خالف الشروط

على ان اللغة العربية تستعمل للتوصل الى التعجب مما خالف الشروط اسلوباً آخر يؤدي المعنى المطلوب ، وذلك كما يلي :

١ ـ إذا كان الفعل غير ثلاثي ، او كان الوصف منه على وزن « أفعل » نأتي بمصدره ، وننصبه بعد صيغة تعجب نصوغها من فعل تمت له الشروط ، وغالباً ما تكون احدى هذه الصيغ : ما اشد ، ما اكثر ، ما اعظم . فالفعل دحرج ، مثلاً ، رباعي مجرد ، وللتعجب منه نقول : ما أكثر دحرجتَه . والفعل : عرج ، الوصف منه على « أعرج » نقول في التعجب منه : ما أشدَّ عَرَجَ فلانٍ . وهكذا نفعل في : انطلق ، عمي ، استغفر ، حَمِر ..

٢ ـ واذا كان الفعل منفياً ، او ناقصاً ، او مبنياً للمجهول ، تسلك معه الطريقة نفسها ، إلا ان المصدر هنا يجب ان يكون مؤولاً لا صريحاً ، مثل : ما أصعب الا يأتي فلان ، ما اجمل ان يكونَ سعيد بيننا ، وما اكثرَ ما يُضربُ المؤذي .

٣ ـ أما اذا كان الفعل جامداً ، او غير قابل للتفاوت ، فلا يتعجب منه البتة .

٣ ـ صيغة : ما أفْعَلَهُ

تتألف هذه الصيغة من ثلاث كلمات، هي :

١ ــ ما : وهي أداة التعجب، وتعرب : نكرة تامة بمعنى شيء، مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ .

٢ ــ أفْعَلَ : وهو فعل ماض جامد لانشاء التعجب، وفاعله يستتر فيه وجوباً، وتقديره « هو » على غير القياس المعروف، وجملته الفعلية في محل رفع، خبر المبتدأ « ما » .

وسمع تصغيره لأنه أشبه الأسماء بجموده، قال الشاعر :

يا ما أميلحَ غِزلاناً شدَنَّ لنا
من هؤليائِ بين الضالِ والسَّلمِ

٣ ــ الاسم المنصوب : وهو مفعول به لفعل التعجب، مثل : ما أكرم فلاناً . وقد يكون مصدراً مؤولاً مثل : ما أجمل أن نلتقي، وتأويله : ما أجمل التقاءنا، وقد يحذف للعلم به، كقول امرىء القيس :

أرى أم عمرٍو دمعها قد تحدَّرا
بكاءً على عمرٍو وما كان اصبرا

أي : ما اصبرها .

٤ ـ صيغة افْعِلْ بِهِ

تتألف هذه من :

١ ـ أفْعِلْ : وهي فعل ماض جامد جاء على صيغة فعل الأمر .

٢ - البـاء : وهي حرف جر زائد.

٣ - والمجرور بها : وهو اسم أو ضمير، ويكون جره لفظاً فقط، أما محله فالرفع، على أنه فاعل لفعل التعجب، كقول ذي الرمة:

سرت تخبط الظلماءَ من جانبيْ قَساً (١)

فأحبِبْ بهـا من خابط الليلِ زائرِ

ففعل التعجب فيه «أحبب»، و «بها» الباء زائدة، و «ها» في محل رفع، فاعل لفعل التعجب. وقد جاءت كما ترى ضميراً متصلاً من ضمائر النصب والجر، لأنها معمولة لحرف الجر الزائد، وقد نابت عن ضمـير من ضمائر الرفع. وإذا قلت: اكرم بفلان. أدى قولك معنى: ما أكرم فلاناً. على ان الفاعل المجرور بالباء الزائدة يجوز حذفه اذا عطف عامله على نظيرٍ له، كما في قوله تعالى: «أسمع بهم وأبْصر» (مريم ٣٨) اي: وأبصر بهم، وجاء محذوفاً في الشعر من غير ان يكون عامله معطوفاً على نظيره، فعدَّه النحاة شاذاً، كما في قول عروة بن الورد:

فذلك إن يلقَ المنيةَ يلقَـها

حميداً، وإن يستغنِ يوماً فأجْدِرِ

وتقديره: فأجدر به.

٥ - أحكام فعلي التعجب

١ - يشترط ان يكون المتعجب منه معرفة، او نكرة مختصة، نحو: ما أكرم سعيداً، واكرم بسعيدٍ، وما احسنَ رجلاً ينفعُ غيره. وأحسن برجل ينفع غيره. ولا يجوز ان تقول: ما أعظم رجلاً، واعظم برجلٍ.

(١) قساً: اسم موضع

٢ ـ لا يتقدم معمول فعل التعجب عليه ، فلا يقال : سعيداً ما أكرمَ ، وبسعيد اكرِمْ .

٣ ـ لا يجوز ان يفصل بين العامل والمعمول في صيغتي التعجب بغير شبه الجملة التي تتعلق بفعل التعجب نفسه ، كقولك : ما أقبح بالرجلِ ان يكذبَ ، ومنه قول أوس بن حجر :

أقيم بدار الحزمِ ما دام حَزْمُها
وأحْرِ إذا حالتْ بأنْ أتحوَّلا

٤ ـ لا يجوز تصرُّف فعليْ التعجب ، لأنهما جامدان ، وعلة الجمود تضمنهما معنى حرف التعجب .

شواهد التدريب

١ ـ « اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، والعذاب بالمغفرة ، فما أصبرهم على النار . » (البقرة ١٧٥)

٢ ـ قال عمرو بن معد يكرب :

« لله دَرُّ بني سُليم ، ما أحسن في الهيجاء لقاءها ، وأكرم في اللزبات عطاءها ، وأثبت في المكرمات بقاءها . »

٣ ـ قال شُقران مولى سلامان :

أولئك قومي بارك الله فيهمُ
على كل حال ما أعف واكرما

أفعال المدح والذم

هي أفعال جامدة لا تكون إلا بصيغة الماضي، يستعملها العربي اذا أراد ان يمدح شيئاً او يذمه، وهي: نِعْمَ، وبِئْسَ، وحَبَّ، من قولنا: حبذا. واذا دخلت «لا» النافية على الفعل الأخير كان الذم.

١ - نعم وبئس

تتألف جملة المدح أو الذم التي يدخل فيها هذان الفعلان من عناصر ثلاثة، هي: الفعل، والفاعل، والمخصوص بالمدح أو بالذم. نحو: بئس العملُ عملكَ. ونِعم الرجلُ أنت. فالعمل والرجل فاعلان، وعملك، مخصوص بالذم، وانت، مخصوص بالمدح. ولنتحدث الآن عن كل عنصر من هذه العناصر الثلاثة.

آ - الفعل:

اشتق الفعل: نعم، من النِعمة، وبئس، من البؤس، وكانا في الأصل: نَعِم يَنْعَمُ، وبَئِس يَبْأسُ. إلا انهما نُقلا من هذا المعنى الى مجرد المدح او الذم، فضارعا بذلك الحروف، فجمدا وتغير لفظهما، فسكنت العين والهمزة بعد كسر، فصارا: نِعْمَ، وبِئْس. ويُستعملان متصرفين، فلا يكونان للمدح أو الذم، فيقال: نَعِم فلان ينعم، وانعَمْ بما قسم لك. وبئس فلان يبأس. ويقال: ابأس.

والفعلان كلاهما لا يدلان على الزمان والحدث، اذ كانا لإنشاء المدح والذم، ولكنهما سُميا ماضيين لثلاثة أدلة، الأول: انهما على صيغة الماضي،

والثاني : انهما مبنيان على الفتح مثله ، والثالث : انهما يقبلان تاء التأنيث ، كما في الحديث : « من توضأ يومَ الجمعةِ فبها ونِعْمَتْ (١) » .

ب ـ الفاعل :

وفاعل هذين الفعلين له صفات خاصة لا تُشترط في فاعل الفعل الطبيعي ، وهذه الشروط هي :

١ ـ يجب أن يكون مُحلى بـ « أل » الجنسية ، مثل : نعم الرجلُ انت . فقولنا : الرجل ، ليس معرفة ، لأننا لم نقصد به رجلاً معيناً ، فكأننا قلنا : أنت ممدوح من جنس الرجال . وكذلك لو قلنا : نعم التلميذ خالدٌ . وتحدث النحاة عن إتباع هذا الفاعل ، أيجوز وصفه وتوكيده والبدل منه وعطف البيان ؟ فاتفقوا على منع توكيده توكيداً معنوياً ، وعلى جواز توكيده توكيداً لفظياً . فلا يقال : نعم الرجل نفسه زيد ، ويقال : نعم الرجل الرجل زيد . لأن « أل » الجنسية تفيد مجموع الجنس ، فإذا قلت ، نفسه ، خالفت معنى الجمع المقصود . وإذا قلت : أنفسهم او كلهم ، خالفت اللفظ الذي جاء بصيغة المفرد . أما البدل وعطف البيان فأجازهما بعضهم بشرط أن يكونا معرفين بأل او مضافين إلى ما عرف بها ، واختلفوا في الصفة ، فمنع بعضهم ان يوصف الفاعل ، وأجازه آخرون ، واحتجوا بقول يزيد بن قنانة العدوي :

---

(١) يدعي جمهور المتأخرين من النحاة ان الفراء يذهب الى ان : نعم وبئس ، اسمان ، لا فعلان ، وهذا وهَمٌ سرى اليهم من عدم قراءتهم كتبه ، ونقلهم بعضهم عن بعض ، فقد صرح غير مرة بأنهما فعلان في كتابه : معاني القرآن ، انظر اذا شئت : ١/٥٦ — ٥٧ ، و ٢ / ١٤١ — ١٤٢ .

لعمري ، وما عمري عليّ بهين
لبئس الفتى المدعوّ بالليل حاتمُ

وبقول زهير :

نعم الفتى المرّيّ أنت إذا همُ
حضروا لدى الحجرات نارَ الموقدِ

٢ ـ أو ان يكون مضافاً الى اسم محلى بأل الجنسية ، كقول تعالى : « ولنعم دارُ المتقين » (النحل ٣٠) « فلبئس مثوى المتكبرين » (النحل ٣٩).

٣ ـ أو ان يكون مضافاً إلى ما أضيف الى معرف بها كقول ابي طالب :

فنِعمَ ابنُ اختِ القومِ غير مكذَّبٍ
زهيرٌ ، حُساماً مفرداً من حمائلِ (١)

٤ ـ ويجوز ان يُضمر ويُفسّر بتمييز ، كقوله تعالى : « بئس للظالمين بدلاً » (الكهف ٥٠) ومنه قول زهير :

نعم امرأً هرِمٌ لم تعْرُ نائبةٌ
إلا وكان لمرتاعٍ لها وزَرَا

---

(١) وجاء في قصيدة لكثيّر بن عبدالله المعروف بابن الغريرة ، أو لغيره ممن يحتج به لقدم عهده ، في مقتل عثمان بن عفان :

فنعم صاحبُ قومٍ لا سلاحَ لهم
وصاحبُ الركب عثمانُ بنُ عفانا

فأضيف فاعل « نعم » إلى نكرة .

وقد يجتمع الفاعل والتمييز ، كما في قول جرير :

تزوّدْ مثلَ زادِ أبيك فينا
فنعم الزادُ زادُ أبيكَ زادا

وسُمع قولهم في النثر : نعم القتيلُ قتيلاً أصلح بين بكر وتغلب .

٥ - وقد يكون التفسير بـ « ما » ، وهي نكرة بمعنى شيء ، في موضع نصب لأنها تمييز ، كقوله تعالى : « إنْ تبدوا الصدقات فنِعِمَّا هي . » (البقرة ٢٧١) والتقدير : فنِعْمَ شيئاً هي [١] . وقد يحذف بعدها المخصوص ، كقوله : « نِعِمَّا يعظكم به » (النساء ٥٨) والتقدير : نِعْمَ شيئاً ما يعظكم به .

جـ - المخصوص بالمدح أو الذم :

وهو الممدوح أو المذموم ، كقولنا : نعم الرجلُ زهيرٌ ، فزهير هو الممدوح ، ومثل : بئس العمل هذا ، فاسم الاشارة هو المذموم .

ولك في إعرابه أحد وجهين ، الأول : مبتدأ ، وجملة المدح أو الذم خبره ، والثاني : خبر لمبتدأ محذوف وجوباً تقديره : الممدوح زهير ، او المذموم هذا . ورجح ابن الشجري في أماليه الوجه الأول ، لكثرة حذفه في الكلام ، وحذف المفرد أسهل من حذف الجملة ، والواقع أنه لم يرد في آيات القرآن كلها آية ذكر فيها المخصوص بالمدح او الذم .

٣ — ما يلحق بنعم وبئس

ويلحق بهذين الفعلين الفعل : ساءَ ، فيفيد الذم ، ويكون فاعله في

---

(١) يعربها بعضهم فاعلاً ، ويقدرها بالشيء .

هـذه الحال كفاعليهما ، والمخصوص فيه كمخصوصيهما ، تقول : ساء الرجلُ خالدٌ . وساء رجلاً خالدٌ .

وكذلك يمكن أن يُحوَّل كل فعل ثلاثي صالح للتعجب إلى صيغـة : فَعُلَ ، فيكون ملحقاً بهما ، وتطبق عليه أحكامهما ، مثل : عظُمَ الرجلُ زيدٌ ، وخَبُثَ الانسانُ خالدٌ . ونقول : عظُمَ رجلاً زيـد ، وخَبُث انساناً خالدٌ .

٣ — حبذا

وهذا فعل يستعمل المدح ، إلا اذا دخلت عليه « لا » النافية ، فحينئذٍ يتحول إلى معنى الذم ، قالت أم شملة المنقري :

ألا حبذا أهلُ المَلا ، غـــير أنه
إذ ذكِرَتْ مَيٌّ ، فلا حبذا هيا

في الشطر الأول مدحت أهلَ الملا ، وفي الشطر الثاني ذمت مَيّاً .

وتتألف جملة هذا الفعل من : الفعل « حَبَّ » ، والفاعل « ذا » ، والمخصوص بالمدح أو بالذم (١) . والمخصوص مبتدأ مؤخر ، خبره جملة المدح أو الذم قبله .

وذا فيه اسم إشارة ، يلازم الأفراد والتذكير مهما يكن المخصوص ، عدداً وجنساً ، تقول : حبذا هندٌ وحبذا الطالبات ، وحبذا الطـلاب ، وحبذا الطالبان .

---

(١) ذهب المبرد وتلميذه ابن السراج والسيرافي الى أن : حبذا ، كلها اسم واحد مرفوع على الابتداء وما بعده خبره .

وقد يأتي في جملة المدح او الذم اسم منصوب ، مثل : حبذا الصبرُ شيمةً ، فيعرب تمييزاً (١) .

شواهد للتدريب

١ — « والملائكةُ يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عُقبى الدار . » (الرعد ٢٣ — ٢٤) .

٢ — قال زهير بن أبي سلمى :

يميناً لنعمَ السيدان وُجِدْتُما
على كلِ حالٍ من سحيلٍ ومُبْرَمِ

٣ — قال زياد بن حمل أو غيره :

لا حبذا أنت يا صنعاءُ من بلدٍ
ولا شعوبُ هوىً مني ولا نُقُمُ (٢)

(١) يرى بعض النحويين أنه إذا كان مشتقاً أعرب حالاً .

(٢) شَعوب ونقم : موضعان في اليمن .

أسماء الأفعال

هي أسماء سميت بها الأفعال ، فدلت على معانيها ، وشابهت بعضها - كالأمر والماضي - في أنها تعمل في غيرها ، ولا يعمل غيرها فيها .

وهي مع ذلك أسماء ، لأنها تحمل بعض علامات الاسم ، فمنها ما ينون، كتنوين « أف » في قوله تعالى : « فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما » (الاسراء ٢٣) ، وتنوين « واهاً » في قول الراجز (١) :

واهاً لسلمى ثم واهاً واهـا
هي المـنى لو أننـا نلناها

ومنها ما يصغر ، كتصغير « رويد » في قول المعطل الهذلي :

رويدَ علياً ، جُدَّ ما ثديُ أمِّهِمْ
إلينـا ، ولكنْ ودُّهم متماينُ (٢)

ومنها ما تدخله « أل » ، كقولهم : النجاءَكَ ، أي : انجُ .

---

(١) ينسب هذا الرجز إلى رؤبة بن العجاج ، والى أبي النجم ، والى أبي الغول اليمني .

(٢) علي : هو ابن مسعود الأزدي ، ينسب اليه ولد عبد مناة ، وجُدَّ : قطِعَ . و « ما » زائدة ، وقوله : جُدَّ ثديُ أمهم الينا ، يعني : أن صلة الرحم بيننا وبينهم مقطوعة عندنا . وقوله : متماين ، مأخوذ من : المَيْن ، وهو الكذب .

١ - انواعها

١ - اسم الفعل المرتجل :

وهو الذي استعمل في اصل وضعه اسم فعل ، ولم ينقل عن شيء آخر ، مثل : آه ، وأف ، فهذان مثلاً لا يستعملان إلا اسمين لفعلين مضارعين هما : أتوجع ، وأتضجر ، أما قولهم : دونَكَ ، حين يكون بمعنى : خذ ، فمنقول - كما سيمر بنا - عن ظرف مكان .

وأسماء الأفعال المرتجلة ثلاثة أصناف ، هي :

آ - اسم فعل أمر :

مثل : صَهْ ، اسم للفعل : اسكت ، ومَهْ ، اسم : اكفف ، وهَلُمَّ ، اي ائتِ ، كقوله تعالى : « والقائلين لاخوانهم هلمَّ (١) إلينا » (الأحزاب ١٨) . وحيَّ ، بمعنى : أقبل ، ومنه قول المؤذن : حيَّ على الفلاح ، وقد تلحق بها « هَلَ » التي للحث والعجلة ، كقول لبيد :

يتمارى في الذي قلت له
ولقد يسمع قولي : حَيَّهلْ

ومن هذا الضرب : إيهٍ ، اي زد في حديثك . وبَسٍ ، اكتفِ ، وكذلك : قَدْكَ ، وقطْكَ ، وتَيْدِ ، اتئد . ووَيهاً ، أغْرِ .

---

(١) هذه لهجة الحجاز ، ولهجة تميم : هلم ، للمفرد والمذكر ، وهلما ، للمثنى ، وهلموا للجمع ، وهلمي للأنثى ، و ..

ب ـ اسم فعل مضارع :

مثل : آه ، أتوجع ، وأفٍ ، أتضجر ، وأخٍّ ، أتكرَّه ، وواهاً أتعجب ، ومثلها : وا ، كقول الراجز التميمي :

وا بأبي أنتِ وفوكِ الأشنبُ
كأنما ذُرَّ عليه الزَّرنَبُ (١)

ومنه : وَيْ ، بمعنى : أتعجب ، كقوله تعالى : « وَيْ (٢) ، كأنَّ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر . » (القصص ٨٢) ، وكقول زيد بن عمرو ابن نفيل القرشي :

وَيْ كأنْ مَنْ يكن له نَشَبٌ يُحْـ
ـبَبْ ، ومن يفتقِرْ يعِشْ عَيْشَ ضُرِّ

وقد تلحق بها كاف الخطاب ، كقول عنترة :

ولقد شفى نفسي وأبرأ سُقْمَهـا
قيلُ الفوارسِ ويْكَ عنترَ أقْدمِ

ومنه : بَجَلْ ، بمعنى يكفي .

ج ـ اسم فعل ماض :

مثل : هيهات ، اسم الفعل : بَعُدَ . كقول جرير :

---

(١) الفم الأشنب : الذي عذب ماؤه ، ورقت أسنانه . والزرنب : نبت في البادية طيب الرائحة .

(٢) رسمها في القرآن : وَيكأن . ورسمناها في المتن كما ترى لتوضيح موضع الشاهد ، على أن احد النحاة ، وهو ابو الحسن الأخفش ، يرى انها هنا مركبة من : وَيْكَ ، و « أن » .

فهيهات هيهات العقيقُ ومَنْ بـه
وهيهـاتَ خـلٌ بالعقيقِ نواصِلُهْ

وشتانِ ، بمعنى : افترق ، كقول الأعشى :

شتانَ ما يومي على كورِها
ويومُ حيانَ أخي جابرِ

وسرعان ، بمعنى : سَرُعَ ، فاذا قلت : سَرعانَ ما انفعلت . اي : ما أسرع ما انفعلت : قال بشر بن أبي خازم :

أتخطبُ فيهم بعـد قتل رجالهم
لسَرْعان هذا ، والدماء تَصَبَّبُ

ومن أمثلة العرب المشهورة : سَرْعان ذا إهالةً (١)

ومثله : وَشْكانَ ، فهو اسم للفعل : وشُكَ ، وبطـآنَ ، اسم للفعل : بَطُؤَ .

٢ — اسم الفعل المنقول :

وهناك أسماء افعال لم تكن في اصل وضعها أسماء أفعال ، ولكنها نُقلت عن :

آ ـ جار ومجرور : مثل : إليكَ عني ، أي : تنَحَّ ، وعليكَ الرجلَ ، أي : الزمه .

---

(١) ويروى : سَرعان ذي اهالة . والاهالة الدسم . و « ذا » اسم إشارة فاعل لاسم الفعل ، وإهالةً : تمييز . والمثل حكاية يمكن الرجوع اليها في جمهرة أمثال العرب للعسكري ١/٥١٩ ، رقم المثل /٩٤٢/ .

ب ـ أو ظرف : مثل : دونك الكتابَ ، أي خذه ، ومثله : عندك الكتابَ . ونحو : وراءك . أي : تنحَّ ، ومكانَكَ . أي اثبت ، قال عمرو بن الاطنابة :

وقولي كلما جشأت وجاشت
مكانَكِ تُحمدي أو تستريحي (١)

ومنه قوله تعالى : « مكانكم أنتم وشركاؤكم » (يونس ٢٨) .

جـ ـ أو عن مصدر : مثل : بَلْهَ ، بمعنى : دع . قال كعب بن مالك يصف ما تفعله سيوفهم في الحرب :

تَذَرُ الجماجمَ ضاحياً هاماتُها
بَلْهَ الأكفُّ ، كأنها لم تخلَقِ

وهو منقول عن مصدر لم يسمع فعله ، فاذا نونته كان مفعولاً مطلقاً ، وإذا لم تنونه ، فهو اسم فعل أمر منقول عن مصدر ، نحو : بَلْهاً الأمرَ . أي : دعه . فهو هنا مفعول مطلق أهمل فعله وناب عنه ، لأنه منون ، ولكنه في بيت كعب اسم فعل أمر ، لأنه لم ينون .

ومثله في هذا : رُوَيدَ ، فهو منقول عن مصدر للفعل : أرْوَدَ ، وكان يجب أن يكون : إرْواداً ، إلا أنه رُخم وصُغّر ، فصار : رويداً . فاذا نونته كان مفعولاً مطلقاً ، كما في قول ودّاك بن ثُميل المازني :

رويداً بني شيبانَ ، بعضَ وعيدِكُمْ
تلاقوا غداً خيلي على سَفَوانِ

د ـ أو عن حرف : كقولهم : هاكَ الليرةَ ، أي خذها ، فأصله هنا

---

(١) جشأت : ارتفعت من شدة الفزع . وفاعل : جشأت وجاشت ، نفسُه .

« ها » وهي حرف تنبيه . وتطابق المخاطب ، فتقول للمخاطب المذكّر : هاءَ أو هاكَ الليرة ، وللمخاطبة المؤنثة : هاءِ أو هاكِ الليرة ، وللاثنين : هاؤما، أو هاكما الليرة ، ولجماعة الذكور : هاؤم أو هاكم الليرة ، ومنه قوله تعالى : « هاؤم اقرأوا كتابيَهْ » (الحاقة ١٩) ، وتقول لجماعة الاناث : هاؤنَّ ، أو هاكنَّ الليرة .

وهذه المنقولات جميعاً لا تكون إلا أسماء أفعال الأمر : بخلاف المرتجلة التي تكون للأمر والمضارع والماضي .

٣ - اسم الفعل القياسي :

أسماء الأفعال كلها سماعية ، ما خلا نوعاً واحداً قياسياً يأتي على وزن « فَعالِ » من الفعل الثلاثي ، مثل : حَذارِ ، ونزالِ ، كقول ربيعة بن مقروم الضبي :

فدعوا : نزالِ ، فكنتُ أولَ نازلٍ
وعلامَ أركبُهُ إذا لم أنزلِ

وجاء شاذاً من غير الثلاثي قولهم : بدارِ ، من بادَرَ ، ودَراكِ ، من أدْرَكَ .

٢ - أحكام أسماء الأفعال

١ - بناؤها :

اسم الفعل مبني لأنه تضمن معنى حرف الأمر ، وهو اللام ، فقولنا: صَهْ ، يعني : لتسكت . ومَهْ ، يعني : لتكفف ، فلما كان معنى اللام سارياً فيها بنيت .

ثم لحقت بها أسماء الأفعال الماضية والمضارعة وحملت عليها ، وإنْ لم يكن فيها معنى لام الأمر (١) .

٢ ـ عملها :

آ ـ وتعمل هذه الأسماء عمل الأفعال ، فترفع الفاعل ، كقول جرير السابق : فهيهاتَ العقيقُ ، وقول الأعشى السابق : شتان ما يومي على كورها ويومُ حيانَ (٢) . وتنصب المفعول به كقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنـوا عليـكم أنفسكم . » (المائدة ١٠٥) . وكقول الـكميت بن زيد (٣) :

نَعاءِ جُذاماً غيرَ موتٍ ولا قتلِ
ولـكنْ فراقـاً للدعائمِ والأصلِ

ب ـ ويجزم المضارع إذا وقع جواباً لطلبها : كقولك : صَهْ تسلمْ ، ومَهْ تسترِحْ ، ومثله ما مرَّ بنا في قول عمرو بن الاطنابة وهو قوله : ... مكانكِ تحمدي .

جـ ـ على أن المضارع لا ينصب اذا وقع جواباً لطلبها معطوفـاً

(١) هذا رأي بعضهم ، أما غيره فيقول : انها بنيت لأنهـا وقعت موقع الأفعال المبنية . وهو خلاف لا قيمة له .

(٢) ينكر الأصمعي من القدماء أن يقال : شتان ما بين فلان وفلان . وهذا تحجر لا داعي له إلا قلة استقرائه لـكلام الفصحاء ، فقد جاء هـذا في كلام لحسان بن ثابت ، والأحوص ، وأبي الأسود ، والبعيث ، وجميل بثينة ، وغيرهم . انظر لسان العرب (شتت) .

(٣) نسب في الانصاف إلى جرير . المسألة ٧٢ ص ٢٧٩ .

بمصدره بفاء السببية ، فلا يقال : صَهْ فتَسْلَمَ ، ولا : مَهْ فتستريحَ . لأن هذه الفاء — كما علمت — تعطف مصدراً مؤولاً بعدهـا على مصدر منتزع من فعل قبلها ، وأسماء الأفعال ليست بذات مصادر ، ولذلك لا يجوز العطف ، ولا يجوز النصب .

د — وهي في عملها أضعف من الفعل ، ولذلك لا يجوز أن يتقدم عليها مفعولها ، فلا يقال : الكتابَ دونَك ، إلا في ضرورة الشعر : كقول الراجز الجاهلي ، وهو أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم :

يأيهـا المائحُ دلوي دونـكا
إني رأيتُ النـاس يَحْمَدونكا

فقوله : دلوي ، مفعول به مقدم لاسم فعل الأمر « دونك » وقد ذهب بعض النحاة في تأويل إعراب « دلوي » مذهباً بعيداً لا يوافق منطق اللغة ، ولا أساليب الشعر .

٣ — تنوينها :

ينون بعضها وجوباً لأنه نكرة ، مثل : واهاً ، ووَيْهاً . وبعضها لا ينون البتة ، كتلك التي تبنى قياساً على « فَعالِ » . ويجوز في بعضها الآخر التنوين وعدمه ، مثل : صه ، ومهٍ ، وأفٍ ، وايه .

٤ — مطابقتها :

وهي تلازم حالاً واحدة في الأفراد والجمع والتـذكير ، تقول : إيهِ يا فلان ، وإيهِ يا رجلان ، وإيهِ يا قومُ ، وإيهِ يا فلانةُ ، وهكذا . إلا « هاء » التي رأيناها قبل قليل تطابق المخاطب ، وما اتصلت به كاف الخطاب ، مثل : اليك عني ، واليكم عني .

شواهد التدريب

١ ـ قال البعيث المجاشعي :

وشتانَ ما بيني وبين ابنِ خالدٍ
أميةَ في الرزق الذي يتقسَّمُ

٢ ـ قال نُجَيْبَةُ بن جُنادة العذري :

وقد تراخت بنا عنها نوى قذفٌ
هيهاتَ مُصْبَحُها من بعد مُمْساها

٣ ـ قال ذو الرمة :

إذا قال حادينا لتشبيه نبـأةٍ
صَهٍ لم يكُنْ إلا دويُّ المسامعِ

٤ ـ قال ابن هَرْمة :

تمشي القطوفُ إذا غنى الحداةُ بها
مَشْيَ الجوادِ ، فبله الجِلَّةَ النُّجُبا (١)

---

(١) القطوف : البطيء من الدواب .

ما يعمل عمل الفعل من الأسماء

مر بنا في بحث العامل النحوي أن هناك أسماء تحمل على الفعل في العمل ، لأنها تشبهه في دلالته على الحدث ، أو في دلالته على الحدث والزمان معاً ، وهذه الأسماء هي :

١ ـ اسم الفعل : وقد مر بنا الكلام عليه .

٢ ـ المصدر .

٣ ـ المشتقات : وهي اسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، واسم التفضيل .

ودونك تفصيل الحديث عن المصدر والمشتقات .

١ ـ عمل المصدر واسمه

المصدر اسم يدل على حدث كالفعل ، ولكنه يختلف عنه في أنه لا يحدد زماناً معيناً في الدلالة ، فنحو : ضربٌ ، ونجاحٌ ، وكتابةٌ ، يدل على حدث واقع ، ولكن لا يعرف متى وقع .

وهو يعمل لأنه اصل الفعل وفيه حروفه ودلالته على الحدث ، إذ ينصب مفعولاً به ، كقول أبي الأسود الدؤلي :

نظرتُ إلى عنوانه فنبذتُهُ
كنبذِكَ نَعْلاً أخلقتْ من نِعالكا

فكأنه قال : كما تنبذُ نعلاً أخلقت . وينصب بعض الفضلات الأخرى ،

كالمفعول لأجله ، مثل : مجيئك رغبةً في العلم يعود عليك بجليل الفوائد . والمفعول المطلق ، مثل : تعليمك الأطفالَ تعليماً حسناً جهادٌ وبطولة . والحال ، مثل : خروجك من البيت مبكراً يدل على نشاطك . وقد يرفع الفاعل ، كما في قول الفرزدق :

تنفي يداها الحصى في كل هاجرةٍ
نَفْيَ الدراهمِ تَنْقادُ الصياريفِ[1]

أي : كما ينفي الدراهمَ تَنْقادُ الصيارفِ . ومثله قول الأقيشر الأسدي :

أفنى تِلادي وما جمعتُ من نَشَبِ
قرعُ القواقيزِ أفواهُ الأباريقِ[2]

أي : أفنى تلادي ونشبي أن تقرع القواقيزَ أفواهُ الأباريقِ .

والخلاصة ان المصدر يعمل عمل فعله ، ولكنه دونه في ذلك ، ولا بد له من أن يستوفيَ احد شرطين ، حتى يقوى على العمل :

١ — الأول : أن يكون بدلاً من اللفظ بفعله ، وذلك في الجملة الانشائية التي تكون للأمر او للدعاء ، كقول الشاعر :

على حينَ ألهى الناسَ جُلُّ أمورِهِمْ
فنَدْلاً زريقُ المالَ ندْلَ الثعالبِ[3]

---

(١) يداها : أي يدا الناقة . والهاجرة : وقت اشتداد الحر عند الظهيرة .
(٢) التلاد : المال القديم ، الموروث وغيره ، والنشب : المال الثابت ، كالدار والقواقيز : جمع مفرده قاقوزة ، وهي قدح الخمرة .
(٣) الندل : الاختلاس .

فبدلاً من أن يقول : اندل يا زريقُ المالَ ، قال : ندلاً يا زريقُ المالَ .

٢ — والثاني : أن يصح تقديره بفعله مع أحد الأحرف المصدرية الثلاثة : أنْ ، الناصبة المضارع ، وما ، المصدرية ، وأنْ ، المخففة من الثقيلة . كما توضح لك الأمثلة التالية :

ـ أعجبني فهمُكَ الدرسَ .

التقدير هنا : أعجبني أن تفهمَ الدرس .

ـ نبذت عنوانه كنبذك نعلاً أخلقت .

التقدير : نبذته كما تنبذ نعلاً أخلقت .

ـ علمت ضربك زيداً .

والتقدير : علمت أن قد ضربتَ زيداً . ومثله قول القطامي :

فلما بدا حِرمانُها الضيفَ لم يكن
علي مُناخُ السوءِ ضربةَ لازبِ

أي : فلما بدا أن ستحرمُ الضيفَ .

فإذا استوفى المصدر أحد هذين الشرطين عمل ، سواءٌ أكان مفرداً أم جمعاً ، معرفاً بأل أم مجرداً منها ، إلا أنه ـ كما بدا في الأمثلة والشواهد ـ يغلب عليه ان يكون مضافاً ، وهو الكثير الشائع ، وقد يكون منوناً ، كما في قوله تعالى : « أو إطعامٌ في يوم ذي مسغبة ، يتيماً ذا مَقْرَبَة » (البلد ١٤ ـ ١٥) ، وأقل منه ان يكون معرفاً بأل ، كقول المرار الأسدي :

لقد علمتْ أولى المغيرةِ أنني
ضربتُ فلم أنكُلْ عن الضربِ مِسْمعا

أي فلم أنكل عن أن اضربَ مسمعاً . او ان يكون جمعاً . كما في قول الشماخ :

وواعدتَني ما لا أحاولُ نفعَهُ
مواعيدَ عرقوبٍ أخاهُ بيثربِ

هذا هو عمل المصدر ، وهناك ما يسمى في مصطلح النحاة اسم المصدر ، وهو ما كانت له دلالة المصدر ، إلا أنه أقل احرفاً منه ، فقولك : تسليم ، مصدر للفعل : سلم ، أما قولك : سلام ، فهو اسم له .

والمصدر واسمه سواء في العمل ، وكذلك في استيفاء الشرطين السابقين ، وله من الشواهد الفصاح ما يشهد بذلك : كقول القطامي :

أكفراً بعد رد الموتِ عني
وبعد عطائِكَ المئةَ الرتاعا

فقوله : عطاء ، اسم المصدر : إعطاء ، وقد عمل عمل الفعل ، لانه يصح تقديره بالفعل مسبوقاً بحرف مصدري ، تقول : وبعد ان أعطيتني المئةَ الرتاعَ . ومثله قول ذي الرمة :

أطاعت بك الواشين حتى كأنما
كلامك إياها عليكَ حرامُ

فالكلام اسم للمصدر : تكليم . وقد عمل عمل الفعل .

* * * *

تنبيه :

يرى بعض النحويين أن الشرطين اللذين ذُكرا لعمل المصدر ، ليسا

بلازمين، ولكنهما غالبان على المصدر العامل، واستدل على ذلك بأنه يعمل أحياناً دون أن يستوفيَهما، نحو: ضربي زيداً قائماً. وأكلي الحلوى واقفاً. وإن تعظيمك غيرَكَ حسَنٌ. وكان إكرامك أخاك مبرة. ففي هذه المواضع لا تقع الأحرف المصدرية الثلاثة والفعل.

والحق أنه لا يقال: أنْ اضربَ زيداً قائماً، لأن ذلك غير مسموع ولكن الذي مُثِّلَ به في العبارتين الاخيرتين يحتاج إلى مزيد من التوضيح، فالأصل فيهما مبتدأ وخبر، إذ كانت الأولى قبل دخول: إنَّ، تعظيمُكَ غيرَكَ حسن. وكانت الثانية قبل: كان، إكرامُكَ أخاك مبرة.

وهذا الأصل يبيح لك أن تقيم مقامَهما مصدراً مؤولاً، فتقول: أن تعظم أخاك حسن، وان تكرمه مبرة، فلما دخلت «إن» و «كان» صار التقدير في الظاهر ممتنعاً.

٢ — عمل اسم الفاعل

اسم الفاعل أقوى على العمل من المصدر، لأنه يشبه الفعل المضارع في اللفظ، وفي المعنى، أما شبهه إياه في اللفظ فيتجلى في أنه يكون على وزن «فاعل» في الثلاثي، وهـــذه الصيغة تشبه «يفعل» في الحركات والإيقاع، ويصاغ من فوق الثلاثي على وزن مضارعه نفسه بإبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة، فقولك: مُخْرِج، يشبه في لفظه: يُخْرِجُ.

وأما الشبه المنوي فيظهر في دلالة اسم الفاعل على الحدث، والفاعل، والزمان الحاضر، أو المستقبل، أو الدائم.

هذا الشبه الكبير سبب في قدرة اسم الفاعل على العمل، فهو

يرفع الفاعل، وينصب المفعول به، وبعضَ الفضلات الاخرى، ويعمل في شبه الجملة.

ولكنه مع هذا كله لا يبلغ مرتبة الفعل في ذلك، لأنه - كما رأينا من قبل - فرع عليه، ولا بد له من شروط يستوفيها حتى يكون قادراً على العمل، فما هذه الشروط؟

آ - عمله موصولاً بأل :

ويرى النحاة أنه يعمل بلا شروط إذا وُصِلَ بأل، لأنه يؤول معها بالفعل صراحة، ولأنها تقوم مقام الاسم الموصول، كما ترى في قول ذي الرمة :

ألا أيهذا الباخِعُ الوجْدُ نفْسَهُ
لشيءٍ نَحَتْهُ عن يديْهِ المقادِرُ

فاسم الفاعل : باخع، رفع فاعلاً هو الوجد، ونصب مفعولاً به هو : نفسه، لأنه وصِلَ بأل، فكأنه قال : أيهذا الذي يبْخَعُ الوجْدُ نفْسَه. ومن ذلك قول القطامي :

الضاربون عُمَيْراً عن ديارِهِمُ
بالتل، يومَ عميرٌ ظالمٌ عادي

كأنه قال : الذين ضربوا عميراً. ومنه أيضاً قوله تعالى : « فويلٌ للقاسية قلوبُهُمْ عن ذكرِ الله » (الزمر ٢٢). فكأنه قال : ويل الذين قستْ قلوبهم.

ب - عمله مجرداً من « أل » :

وإذا لم يكن موصولاً بها وجب أن يستوفيَ أربعة شروط مجتمعةً، هي :

١ ـ أن يدل على الحال ، أو الاستقبال ، أو الاستمرار [١] :

وهي الأزمنة الثلاثـة التي يدل عليها الفعل المضارع ، فإذا قلت : مالك تمشي ساحباً ذيولَ الفخار . جاء اسم الفاعل : ساحباً ، دالاً على الزمن الحاضر ، ولذلك حق له ان ينصب مفعولاً به ، وهو ذيول ، وتأمل قوله تعالى : « فلعلك تاركٌ بعضَ ما يوحى إليك ، وضائقٌ به صـــدرُك » (هود ١٢) ، تجد اسم الفاعل : تارك ، يدل على الاستقبال ، فكأنه قال : ستترك ومثله : ضائق ، ولهذا نصب الأول مفعولاً به ، ورفع الثاني فاعلاً .

٢ ـ أن يكون معتمداً على استفهام أو نفي أو مبتدأ ، أو موصوف ، أو صاحب حال :

ويعني هذا أن يسبق اسم الفاعل باستفهـــام أو نفي ، أو يقع في الاعراب خبراً او صفة او حالاً ، كما في هذه الأمثلة :

ـ قال ذو الرمة :

أحادِرَةٌ دموعَكَ دارُ ميٍّ
وهـائِجَةٌ صبابَتَكَ الرسومُ

فقد نصب اسم الفاعل « حادرة » مفعولاً به ، هو دموعك ، ورفع فاعلاً هو : دار [٢] ، ومثله : هائجة ، في العمل ، لأنهما اعتمدا على الاستفهام .

ـ قال الأبيردُ الرياحي :

أحقاً عبادَ اللهِ أنْ لستُ لاقياً
بُرَيْداً طَوالَ الدهرِ ما لألأ العَفْرُ

(١) لا يشترط هذا إلا في نصب المفعول به ، عند بعض النحاة .

(٢) هو فاعل سد مسد خبر المبتدأ : حادرة .

فاسم الفاعل « لاقياً » نصب مفعولاً به هو : بريداً ، لأنه اعتمد على نفي .
ومثله ان تقول : ما ضائر أخاك رفعُ الحجابِ بيننا .

ـ وإذا عدت إلى قوله تعالى : « لعلك تاركٌ بعض ما يوحى إليك »
وجدت اسم الفاعل وقع خبراً ، وسبق بما يشبه المبتدأ ، وهو اسم : لعل .
ومثله قولك : إنه لحامل أعباءَ الآخرين .. أو : هو حامل أعباءَ الآخرين .

ـ قال سحيم عبد بني الحسحاس :

وجدتُهما يوماً ـ وللصيد غرة ـ
تدقان مسكاً مائلاً بُرْقُعاهُما

فاسم الفاعل « مائلا » رفع فاعلاً ، هو : برقعاها ، لأنه اعتمد على صاحب حال ، وهو الضمير في الفعل « تدقان » الذي يعود إلى الفتاتين اللتين يصفهما .

على أنه قد يحذف الموصوف ، ولكن حذفه لا يعدو اللفظ ، لأن معناه يظل قائماً في الكلام ، انظر إلى قوله تعالى : « والذين يدعون من دونه ، لا يستجيبون لهم بشيء ، إلا كباسطِ كفيه إلى الماء ليبلغَ فاه » (الرعد ١٤) ، فقوله : باسطِ كفيه ، اعتمد على موصوف محذوف ، هو : رجل ، والتقدير : إلا كرجل باسط كفيه ، ومثله قول الأعشى :

كناطحٍ صخرةً يوماً ليوهنَها
فلم يَضِرْها وأوهى قرنَهُ الوَعِلُ

والتقدير : كوعل ناطح صخرة .

والمعطوف على ما اعتمد شيئاً مما تقدم ينصب أو يرفع مثله ، كما ترى في قوله تعالى : « ثم إنكم أيها الضالون المكذبون ، لآكلون من شجر من

زقوم ، فمالئون منها البطون » (الواقعة ٥١ ـ ٥٢) فقوله « مالئون » معطوف على اسم الفاعل : آكلون ، وهو خبر (إن) ، أي اعتمد ما أصله المبتدأ ، ولذلك نصب المعطوف عليه مفعولاً به ، هو : البطون .

٣ ـ ألا يكون مصغراً :

لأنه إذا صغر فقد الصلة بينه وبين الفعل المضارع ، لأن التصغير ـ كما هو معروف ـ من خصائص الأسماء ، فلا يجوز أن تقول : أخوك كويتِبٌ وظيفتَه .

٤ ـ ألا يكون موصوفاً تحول الصفةُ بينه وبين معموله :

لأن الفصل بين اسم الفاعل ومعموله مما يضعفه عن العمل ، وعلى هذا لا يقال : أنت كاتب جيد وظيفتك . إلا أنهم نقلوا بيتاً لبشر بن أبي خازم يخالف هذا الأصل ، وهو قوله :

إذا فاقِدٌ خَطْباءُ فَرْخَيْنِ رَجَّعَتْ
ذكرتُ سليمى في الخليط المزايل (١)

فزعموا أن « فرخين » مفعول به لفعل محذوف ، تقديره : فقدت . وليس مفعولاً به لاسم الفاعل : (فاقد) ، لأنه وصف بـ : خَطْباء .

* * * *

واسم الفاعل كالمصدر يعمل جمعاً ومثنىً ومفرداً ، كقوله تعالى :

---

(١) الفاقد : المرأة التي فقدت ولدها . الخطباء : المصابة بالخطب . رجعت الحمامة : صدر عنها أصوات تدل على أسى وحزن ، أو قالت ـ إذا كانت امرأة ـ : إنا لله وانا اليه راجعون .

« والذاكرين الله كثيراً والذاكرات » (الأحزاب ٣٥)، ومثله قول عنترة :

الشاتِمَيْ عرضي ولم أشتمْهما
والناذرين إذا لم القَهُما دمي

ولاسم الفاعل صيغ تفيد المبالغة سنلم بها في قسم الصرف ، تعمل مثله ، لأنها تدل على الحدث ، وعلى الزمن المستمر ، كما يدل الفعل المضارع في بعض الأحيان ، انظر قول سعد بن ناشب :

فيا لَرزامٍ رشِّحوا بي مُقدَّماً
إلى الحرب خَواضاً اليها الكتائبا

فقوله : خواضاً ، صيغة مبالغة لاسم الفاعل : خائض ، وقد نصبت مفعولاً به « الكتائب » ، لأنها اعتمدت موصوفاً محذوفاً ، والتقدير : رشحوا بي رجلا مقدما خواضاً الكتائب . ومن هذا قول أبي طالب يرثي أبا أمية المخزومي :

ضروبٌ بنصلِ السيفِ سُوقَ سِمانِها
إذا عدموا زاداً فإنك عاقِرُ

تابع معمول اسم الفاعل :

يجوز أن يأتي المفعول به لاسم الفاعل مضافاً إليه ، تقول مثلاً : هذا قاتل أخيك . والأصل هذا قاتلٌ أخاكِ . فإذا أضيف جاز لنا في تابعه الجر على اللفظ ، والنصب على المعنى ، تقول : هذا قاتلُ أخيك البائسِ أو البائسَ . وهذا قاتل أخيك وأبيك أو وأباك . وعلى هذا قول الفرزدق :

قُعودٌ لدى الأبوابِ طُلاّبُ حاجةٍ
عَوانٍ من الحاجاتِ أو حاجةً بكرا

فقد عطف «حاجةٌ» على: حاجةٍ، ونصبها على المعنى.

٣ — عمل اسم المفعول

ويعمل اسم المفعول عمل المبني للمجهول، فيرفع نائب فاعل، وينصب مفعولاً به إذا كان فعله متعدياً لأكثر من مفعول واحد، كما ينصب الفضلات التي ينصبها اسم الفاعل، تقول: هذا رجلٌ محمودةٌ سيرتُه. فترفع «سيرته» على أنها نائبُ فاعل، عمل فيها اسم المفعول: محمودة. وتقول أيضاً: هذا فقير مكسوٌّ ثوباً. فتنصب «ثوباً» على أنه مفعول به لاسم المفعول: مكسو. وتقول: إنك لمقصودٌ رغبةً في نوالك. وهو مرغوب فيه رغبةً بالغة. وهكذا.. فاسم المفعول نصب مفعولاً لأجله في العبارة الأولى، ومفعولاً مطلقاً في الثانية.

ولا بد له من أن يستوفيَ الشروط التي عرفناها في اسم الفاعل(١)، كما توضح لك الشواهد التالية:

قال جرير:

أصبحتَ للمنبرِ المعمورِ مجلسُه
زيْناً، وزيْنَ قِباب المُلْكِ والحُجَرِ

اسم المفعول هنا هو قوله «المعمور» وقد وصل بأل، ولذلك رفع نائب فاعل هو: مجلسه، فكأنه قال: المنبر الذي عُمِرَ مجلسه.

وقال تعالى: «ذلك يومٌ مجموعٌ له الناسُ» (هود ١٠٣).

اما اسم المفعول هنا، وهو: مجموع، فلم يوصل بأل، ولكنه اعتمد على

(١) كذلك لا يشترط فيه ان يدل على الحال او الاستقبال في حال رفعه نائب فاعل

موصوف، هو قوله : يوم. ولذلك رفع نائب فاعل هو : الناس.

وقال النابغة الذبياني :

ألم أقسِمْ عليكَ لتُخْبِرَنّي
أمحمول على النعشِ الهُمامُ

وهنا اعتمد على : استفهام : أمحمول . ورفع نائب فاعل : الهمام.

وقد يتحول نائب الفاعل إلى تمييز، كما في قول الشاعر :

ولي جلساء ما أمَلُّ حديثَهُمْ
ألِبّاء مأمونون غيباً ومَشْهَدا

فقوله : غيباً، تمييز محول عن نائب فاعل، لأن الأصل : مأمونٌ غيبُهم. كما يمكن أن يتحول إلى مضاف إليه، كقولك : فلانٌ محمودُ السيرةِ، مأمونُ الجانبِ. والأصل : محمودةٌ سيرته، مأمون جانبُه. وهذا كثير جداً.

٤ — عمل الصفة المشبهة

تحمَلُ الصفة المشبهة في العمل على اسم الفاعل، لأنها تشبهه في الدلالة على الحدث وفاعله، أما صلتها بالفعل المضارع فغير بيّنة، لأن اوزانها تختلف لفظاً عن صيغه، ولكنها مع ذلك تشبهه في الدلالة على الاستمرار، ومن أجل ذلك اقتصر عملها على رفع الفاعل، وكثر انتقاله إلى التمييز، والمضاف إليه. تقول : فلان كريمٌ طبعُهُ، حَسنٌ خُلُقُهُ، طيبٌ قلبُهُ فكأنك قلت : فلان كَرُمَ خلقُه، وحَسُنَ طبعه، وطاب قلبه. وانظر إلى عملها في قول النابغة الذبياني :

وهبتِ الريحُ من تِلْقاء ذي أُرُلٍ
تُزجي سحاباً قليلاً ماؤه شَبِما (١)

فكأنه قال : قل ماؤه . وفي قول حسان :

بيض الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهُم
شم الأنوف من الطرازِ الأول

أي : كرمت أحسابهم .

وقد يتحول فاعلها - كما قلنا - إلى تمييز ، كما يتحول فاعل الفعل أحياناً ، تقول : فلان كريمٌ خلقاً ، حسن طبعاً ، طيب قلباً . فهذا يشبه قولك : كَرُم خلقا ، وحَسُنَ طبعاً ، وطاب قلبا .

وكثيراً ما يضاف معمولها إليها ، فيكون في الإعراب مضافاً إليه ، وفي المعنى فاعلاً ، تقول : فلان طيب القلب ، حسن الطبع ، كريم الخلق .

* * * *

وتحدث النحاة فأطالوا عن ظاهرة نادرة الوقوع ، وهي مجيء معمولها معرفاً بأل ، ومنصوباً ، كما في قول الحارث بن ظالم :

فما قومي بثعلبةَ بنِ سعدٍ
ولا بفُزارةَ الشُّعْرِ الرِقابا

فقوله : الشعر ، جمع مفرده : أشعر ، كأحمر ، وحُمْر ، وقوله : الرقاب ، منصوب في اللفظ بعد الصفة المشبهة ، وهو في المعنى فاعل ، لأنه يقدر بقولك : ولا بفُزارةَ الشعرِ رقابُهم . أي الذين كثر شعر رقابهم . فعلام نصب؟

---

(١) ذو أرل : موضع . تزجي : تسوق . شبم : بارد .

أنقول : إنه تمييز ؟ لا يصح هذا لأن التمييز يجب أن يكون نكرة لا معرفة ، أهو إذاً مفعول به ؟ لا يصح أيضاً لأن الصفـة المشبهة تعمل عمل الفعل اللازم الذي لا ينصب مفعولاً به .

ومن أجل هذا قال النحاة : إنه شبه المفعول به ، لأنهم قاسوه على عمل اسم الفاعل في مثل قولك : الضارب الرجل .

* * * *

ولا تعمل الصفة المشبهة إلا إذا اعتمـدت على ما ذكرناه في اسمي الفاعل والمفعول ، أو كانت محلاة بأل ، ولا يشترط فيها أن تدل على الحال أو الاستقبال ، لأنها تدل على ثبوت واستمرار ، وهـــذا من دلالة الفعل المضارع أحياناً ، إلا أنها يشترط فيها ما لم يشترط في اسم الفاعل ، فلا بد ان يكون فاعلها غير أجنبي ، على حين قد يكون اجنبياً في اسم الفاعل ، تأمل العبارتين التاليتين :

ــ سعيد ضاربٌ سميراً

ــ سعيد كريمٌ طبعُهُ

فطبع سعيد ليس أجنبياً منفصلاً عنه ، ولكن سميراً ليس سعيـداً نفسه ، وإنما هو أجنبي منفصل عنه .

٥ ــ عمل اسم التفضيل

واسم التفضيل يرفع فاعلاً ظاهراً بشروط :

١ ـ أن يسبق بنفي أو ما يشبه النفي .

٢ ـ أن يكون مرفوعه أجنبياً .

٣ ـ أن يكون مفضلاً على نفسه .

وقد اجتمعت هذه الشروط الثلاثة في قولك : لا ترى في النـاس رفيقاً أولى بـه الفضلُ من الصديق ... فقوله « الفضلُ » هو الفاعل ، والعامل فيه اسم التفضيل « أولى » والفضل الذي هو الفاعل مفضل على نفسه ، وهو أجنبي عن الصديق والرفيق ، ومثل هـذا قولهم : ما رأيت رجلاً أحسنَ في عينيه الكحلُ منه في عيني سعيد . ولا يجوز أن تقول : رأيتُ رجـلاً أكـرَم منه أبوه (1) ، لان اسم التفضيل هنا لم يستوف شروط العمل .

* * * *

ويرى النحويون أن اسم التفضيل ضعيف الشبه بالفعل ، ولهذا كان عمله ضعيفاً ، فهو لا يرفع الفاعل إلا بالشروط التي ألممنا بها قبل قليل ، وإذا اختل شرط واحد منها بطل عمله ، ثم إنهم متفقون جميعـاً على أنه لا ينصب مفعولاً به .

ولكنهم رأوا في كلام العرب الفصيح ما يخالف هذا الأصل الذي وجدوا عليه الكثير الشائع من نصوص اللغة ، كقول العباس بن مرداس :

فلم أرَ مِثْلَ الحيِّ حيـاً مُصَبَّحاً
ولا مثلَنـا يومَ التقينا فوارسا
أكرَّ وأحمى للحقيقـةِ منهمُ
وأضْرَبَ منـا بالسيوفِ القَوانسا

فالظاهر من البيتين أن : القوانس ، مفعول بـه لاسم التفضيل : اضرب منا ، ومثل ذلك قوله تعالى : « إن ربك هو أعلم مَنْ يضل عن سبيله »

---

(1) إلا إذا جعلنا : ابوه ، مبتدأ مؤخراً ، وأكرمُ : بالرفع ، خبراً له .

(الأنعام ١١٧) ، فقوله « من » يبدو مفعولاً به لاسم التفضيل : أعلم .

ولكن النحاة ينكرون هذا تمسكاً بالقاعدة التي وصلوا إليها ، ويذهبون إلى أن كلاً من « القوانس » في قول الشاعر ، و « مَنْ » في الآية ، مفعول به لفعل محذوف تقديره في الأول : نضرب ، وفي الثاني : يعلم .

ولم تكن بهم حاجة إلى مثل هذا ، لأن المعنى يشير بصراحة إلى أن اسم التفضيل هو الذي يعمل فيما قدروا له فعلاً غير مستعمل .

والذي يدل على تعسفهم أنهم يجيزون أن تلحق لام التقوية معمول اسم التفضيل ، ويمثلون لذلك بقولهم : أنا اضرب منك لزيد . ويبيحون ان تلحق الباء الزائدة بعده بمعمول يكون مفعولاً به للفعل منه ، مثل : أنا اعلم به منك . كما يقولون : فلان يعلم بالنبأ .

والمعروف ان لام التقوية تدخل على معمول اسم الفاعل والمصدر ، تقول هذا ضارب لأخيه ، وتقول : ضربي لأخيك شديد . وذلك يدل على أن عمل اسم التفضيل في المفعول به يشبه عمل اسم الفاعل والمصدر ، إلا أنه اقل منهما في ذلك ، لأن النصوص الفصيحة المستقراة توضح ذلك وتبينه .

أما الشروط التي يسوقونها في رفع اسم التفضيل للفاعل ، فيبدو أنها غير صارمة ، إذ أن احد شيوخ سيبويه (١) ، نقل عن بعض العرب أنهم يقولون : رأيت رجلاً أفضلَ منه أبوه . فيرفعون به فاعلاً غير أجنبي ، ولا يسبق بنفي ، ولا يفضل على نفسه في حالين ، ويؤيد هذا قول الشاعر : منصور النمري ، يصف قطيع الابل :

---

(١) هو يونس بن حبيب .

فجــال قليــــلاً واتقــاني بخَيْـرِه

سنــاماً وأملاه من النَّيِّ كاهِلُهْ

فقوله : كاهله ، فاعل لاسم التفضيل : أملاه ، المعطوف على : خـيره .
ولكن النحاة يقدرون له فعلاً محذوفاً هو : امتلأ .

شواهد للتدريب

١ ـ قال النابغة الذبياني :

واهجُرْهُمُ هَجْرَ الصديقِ صديقَهُ

حتى تلاقِيَهُمْ عليكَ شِحاحا

٢ ـ قال قيس بن ذَريح :

وإنك لو أبلغتَها قيلَك : اسلمي

طوتْ حزناً وارفَضَّ منها المدامعُ

٣ ـ قال الحارث بن خالد المخزومي :

أظلومُ إنَّ مصابَكم رجلاً

أهــدى السلامَ تحيةً ظُلْمُ

٤ ـ قال أحد الشعراء :

السالكُ الثغرَ مَخْشِياً مواردُهُ

في كل إنْيٍ قضاه اللهُ ينتعلُ

٥ ـ قال لقيط بن يعمر :

بل أيها الراكبُ المُزجي مطيتَه
إلى الجزيرةِ مُرتاداً ومنتجِعا

٦ ـ قال كثير عزة :

وكنت إذا لاقيتُهنَّ كأنني
مخالطةٌ عقلي سُلافُ شَمولِ

٧ ـ قال كعب بن سعد الغنوى :

جَموعُ خِلالَ الخيرِ من كل جانبٍ
إذا جاءَ جَيَّاءٌ بهن ذَهوبُ

٨ ـ قال امرؤ القيس :

وأنازِلُ البطلَ الكريهَ نزالُـهُ
وإذا أناضِلُ لا تطيش سِهامي

٩ ـ قال كثير عزة :

فلو كان ما بي من جِبالٍ لهدها
وإن كان في الدنيا شديداً هدُودُها

١٠ ـ « ولا تكتموا الشهادة ، ومن يكتمها فإنه آثمٌ قلبُهُ » (البقرة ٢٨٣)

إعراب الأسماء

الاسم المرفوع

الفاعل

هو اسم أسند إليه فعل مبني للمعلوم متقدم عليه ، نحو : ذهب الصيف ، وجاء الخريف . وقد يكون مصدراً مؤولاً مثل : راقني أن تنجح ، أي : نجاحك ، او ضميراً بارزاً ، مثل : كتبنَ ، كتبتُ ، كتبتَ ، كتبتِ ، كتبا ، اكتبي . او ضميراً مستتراً ، مثل : اكتب ، ومثل : خالد ذهب .

والضمير المستتر يعود إلى اسم مذكور قبله ، على أنه قد يدل على هذا الاسم من غير ان يكون مذكوراً ، كقول حاتم الطائي :

أماويَّ ما يغني الثراءُ عن الفتى
إذا حشرجتْ يوماً وضاق بها الصدرُ

فالفاعل ، وهو الضمير المستتر في الفعل « حشرجت » لا يعود إلى اسم مذكور ، لأن المقام العام يدل على أنه يريد : حشرجت النفس . وهذا كثير في النصوص الفصيحة المنقولة ، كقوله تعالى : « فلولا إذا بلغتِ الحلقومَ ، وأنتم حينئذ تنظرون » (الواقعة ٨٣ ، ٨٤) أي النفس . ومثله قوله أيضاً : « كلا إذا بلغت التراقيَ » (القيامة ٢٦) . ومن ذلك قوله :

« حتى توارت في الحجاب » (ص ٣٢) أي الشمس .

وقد يكون العامل فيه ما يشبه الفعل ، كالمصدر ، من ذلك قول الأقيشر الأسدي :

أفنى تلادي وما جمعتُ من نشب
قرعُ القواقيزِ أفواهُ الأباريقِ

أي : أن تقرع القواقيزَ أفواهُ الأباريقِ . وقد يكون اسم الفاعل ، نحو قوله تعالى : « ومن الناس والدواب والأنعام مختلفٌ ألوانُه » (فاطر ٢٨) أو الصفة المشبهة باسم الفاعل نحو : هذا شاعر جيد شعره ، طيعة قوافيه . أو اسم التفضيل مثل : ما رأيت رجلاً أبغضَ إليه الشرُّ منه إلى أخيك . أو اسم الفعل ، نحو : هيهاتَ المكانُ ، وشتان ما فلانٌ وفلان .

وقد يحذف العامل إذا دل عليه دليل ، كقولك : خالدٌ . ان سألك : مَن جاء ؟ أي جاء خالد . على أنه قد يحذف وجوباً بعد أداة الشرط إذا فسره عامل بعده ، ولا سيما بعد : إذا ، وإن ، ولو ، كقول تأبط شراً :

إذا المرء لم يحتل وقد جد جده
أضاع وقاسى أمره وهو مدبر

فالمرء ، فاعل لفعل محذوف وجوباً ، يفسره ما بعده ، وكذلك قول السموءل :

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها
فليس إلى حسن الثناء سبيل (١)

(١) هو ، نفسها الفاعل ، فلما حذف الفعل وحده برز الضمير المستتر . ومثله إذا قلت : إذا انت جئت اكرمتك . فأنت هو الفاعل ، وليس توكيداً =

فقوله : هو ، فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور بعده ، وهو : يحمل ، وقد حذف العامل وجوباً بعد « إن » الشرطية . ومن ذلك قول المتلمس :

ولو غـــيرُ أخوالي أرادوا نقيصتي
جعلتُ لهم فوقَ العرانينِ ميسما (١)

ومنه أيضاً قولُ حاتم الطائي في المثل المشهور : لو ذاتُ سِوار لطمتْني (٢).

١ - إعراب الفاعل

الفاعل في الأصل مرفوع ، كما هو في الأمثلة المتقدمة ، والشواهد

= للفاعل المستتر ، لأنه لما حذف الفعل بقي الضمير وحده ، ولا يمكن النطق به متصلاً ، ففصل ، وهذا واضح .

(١) وجاء بعد « من » الشرطية ، كما في قول الشاعر :

فمَنْ نحنُ نؤمنْهُ يبيتْ وهو آمن
ومن لا نجره يمسِ منا مُفزَّعا

وبعد « متى » كقول عدي بن زيد :

فـتى واغِلٌ يَنُبْهم يحـيـــ
ـوهُ وتعطِفْ عليهِ كأسُ الساقي

وبعد « أينما » كقول احدهم :

صَعْدةٌ نابتــةٌ في حائرٍ
أيـنما الريـــح تُميّلْها تَمِلْ

(٢) ذاتُ سوار : أي امرأة حرة ، لأن العرب لا تلبس إماءها السوار ، ويروى المثل رواية اخرى ، انظر فيه : مجمع الأمثال ٢/١٧٤ برقم ٣٢٢٨، وجمهرة الأمثال للعسكري ٢/١٩٣ ، برقم ١٥١٦ ، وكتاب الفاضل للمبرد ٤٢.

التي مرت بك ، إلا أن له حالات يجر فيها لفظه ، ويبقى محله الرفع ، وذلك إذا تقدم عليه عامل جر زائد ، كما انه في بعض التراكيب يقع في صورة المضاف إليه ، وفي هـذه الحال لا يكون مرفوع المحل ، ودونك بيـان ذلك وتفصيله :

١ ـ جره بـ « مِن » الزائدة :

قد يجر الفاعل بحرف الجر « من » ، حين يكون زائـداً ، كما ترى في قول جرير :

وقد زعموا أنَّ الفرزدقَ حيـةٌ
وما قتلَ الحياتِ من أحد قبـلي

على أنه لا بد لذلك من شرطين اثنين ، الأول : ان تكون الجملة مبدوءة بنفي أو نهي او استفهام أداته « هل » والثاني : أن يكون الفاعل المجرور نكرة لا معرفة ، كما رأيت في بيت جرير السابق ، وكما ترى في قولهم : هل جاء من أحد ، او قولهم : لا يذهب من أحد . أما قولك : ما شربت من المـاء . فإن « مِن » فيه ليست زائـدة ، لأن مجرورها معرفة لا نكرة .

٢ ـ الباء الزائدة :

تجره جوازاً إذا كان فعله « كفى » اللازم ، وهو الذي يكون بمعنى: حَسْبُ ، أو يكفي . كما في قوله تعالى : « كفى بالله بيني وبينكم شهيداً » (العنكبوت ٥٢) « كفى بالله وكيلا » (النساء ٨١) .
وكما في قول بشر بن ابي خازم :

ثوى في مُلحَدٍ لا بد منه
كفى بالموتِ نأيـاً واغترابا

أما إذا كان « كفى » متعدياً إلى مفعولين فلا تُزاد الباء في فاعلـه ، كقوله تعـالى : « وكفى اللهُ المؤمنينَ القتالَ » (الأحزاب ٢٥) و « إنا كفيناك المستهزئين » (الحجر ٩٥) .

وزيادة الباء هنـا جائزة لا واجبة ، يدل على ذلك قول سحيم عبد بني الحسحاس :

عمـيرةَ وَدِّعْ إنْ تجهزتَ غازيا
كفى الشيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهيا

فلم يزد الباء في قوله : الشيب ، الذي هو فاعل للفعل « كفى » ومثله قول عدي بن زيد :

كفى زاجراً للمرء أيامُ دهره
تروحُ لـه بالواعظات وتغتدي

وتجره وجوباً إذا كان العامل فيه فعلَ التعجب الذي يكون على صورة الأمر ، مثل : أكرم بخالدٍ . وقد مرَّ بنا هذا .

٣ ـ اللام الزائدة :

كما في قوله تعالى : « هيهات هيهات لما توعدون » (المؤمنون ٢٣) ، أي: بَعُدَ ما توعدون .

٤ ـ الاضافة :

وقد يأتي الفاعل مجروراً بالاضافة ، كقولك : كتابتُك الوظيفة حسنة. فالـكاف في : كتابتك ، ضمير متصل ، أضيف اليه المصدر ، وهو في المعنى فاعل ، ومثله قولك : ضربكَ المذنبَ قد يُجْديه .

٣ ـ موضعه في الجملة

يقع الفاعل بعد الفعل ، وقبل المفعول ، هذا هو الأصل العام في نظم الجملة العربية ، ويجوز تقديم المفعول عليه في اختيار الكلام ، نثره وشعره ، كقول الشاعر :

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة
قصيدةٌ قالها عمرو بن كلثوم

إلا أنه احياناً يتقدم على المفعول وجوباً ، واحياناً يتأخر عنه وجوباً .

١ ـ متى يجب تقديمه على مفعوله :

ـ إذا لم تظهر على أواخرها علامات الاعراب ، مثل : أعان أخي أبي ، وأكرم مصطفى موسى . فالمتقدم هنا فاعل ، والمتأخر مفعول .

ـ أن يكونا ضميرين ولا حصر في احدهما ، مثل : قابلته وحدثته .

ـ أن يكون الفاعل ضميراً والمفعول به اسماً ظاهراً ، مثل : قابلتُ أخاك .

ـ أن يحصر الفعل في المفعول به ، نحو : ما لقي زيدٌ إلا خالداً ، وإنما لقي زيدٌ خالداً .

٢ ـ متى يجب تأخيره عن مفعوله :

ـ إذا اتصل به ضمير يعود على المفعول ، نحو : أخذَ القوسَ باريها ، ولهذا أخطأ سليط بن سعد في قوله :

جزى بنوه أبا الغيلانِ عن كِبَرٍ
وحسنِ فعلٍ كما يُجزى سِنِمَّارُ

لأنـه أعاد الضمير إلى متأخر في اللفظ والرتبة ، وكان يجب أن يقول ـ لولا قيود الشعر ـ : جزى أبا الغيلان بنوه ...

ـ إذا كان اسماً ظاهراً والمفعول به ضميراً ، نحو : راعـه تلاطم الأمواج .

ـ أن يحصر الفعل في الفاعل ، مثل : ما أكرمَ خالداً إلا سعيدٌ وكقول ذي الرمة :

ألا طرقتنـا مية بنةُ منذرِ
فمـا أرّقَ النُوّامَ إلاسلامُها (١)

ومثله قوله تعالى : « وما يعلم تأويله إلا اللهُ » (آل عمران ٧)

٣ – مطابقة الفعل للفاعل جنساً

يطابق الفعل فاعله في التذكير والتأنيث عادة ، تقول : ذهب سميرٌ ، وجاءت فاطمةُ ، ولكن هذه المطابقة ليست واجبة في العربية دومـاً ، فيجوز مثلاً أن تقول : طلع الشمسُ ، واجتمعت العرب . فقـد ذكرتَ الفعل في المثال الأول وفاعله مؤنث ، وانثته في الثاني وفاعله مذكر .

ولهذه المطابقة ثلاث حالات ، هي :

١ ـ وجوب تذكير الفعل :

ـ يجب تذكيره إذا كان الفاعل مذكراً ، ويستوي هنا أن يكون مفرداً ، مثل : درس التلميذ . وأن يكون مثنى ، مثل : سهر التلميذان ، وأن يكون جمع مذكرٍ سالماً ، مثل : نام المرهـَقون .

(١) وينشد البيت : فما أرّق النيامَ . انظر : التصريف الملوكي ٨٧ – ٨٨

ـ ويجب تذكيره إذا كان الفاعل مؤنثاً، حقيقةً أو مجازاً، وفصل بينهما أداة الحصر « إلا »، تقول : ما جاء إلا أمُّك، ولا ذهب إلا أختُك، أما في الشعر فقد جاء الفعل مؤنثـــاً مع المؤنث، فحُمل على الضرورة، قال ذو الرمة :

كأنَّهُ جَمَلٌ هِمٌّ وما بقيتْ
إلا النحيزةُ والألواحُ والعَصَبُ (١)

ويدور في كتب النحو القديـــة رجز يحمل على الضرورة أيضاً، هو قول الشاعر :

ما برِئَتْ من ريبةٍ وذَمِّ
في حربِنـا إلاَّ بناتُ العَمِّ

وكان على الأول أن يقول : وما بقي إلا النحيزة، وكان على الثاني أن يقول : ما برىء إلا بنات العم (٢).

٢ ـ وجوب تأنيثه :

ـ ويؤنث وجوباً إذا كان فاعله مؤنثاً حقيقةً، وظاهراً متصلاً به، سواء أكان مفرداً مثل : ذهبت دعدُ، أم مثنى، مثل : ذهبت الطالبتان. أم جمعَ مؤنثٍ سالماً، مثل : ذهبت الطالبات.

---

(١) النحيزة : الطبيعة. والهِمُّ من الجمال وغيرها : الكبير الفاني.
(٢) قرأ الحسن البصري : « فأصبحوا لا تُرى إلا مساكنُهم » (الأحقاف ٢٥) أما القراء الآخرون فقرأوا : « لا يُرى إلا مساكنُهم »، وفي القراءة الأولى ما يخالف الفصيح من كلام العرب.

ـ ويجب تأنيثه إذا كان الفاعل ضميراً مستتراً يرجع إلى مؤنث حقيقة أو مجازاً ، نحو : دعدٌ ذهبت ، والشمس طلعت .

ـ ويجب تأنيثه كذلك إذا كان الفاعل ضميراً مستتراً أو متصلاً يرجع إلى جمع مؤنث سالم ، أو جمع تكسير لمؤنث ، أو جمع مذكر لغير العقلاء ، مثل : الطالبات جاءت ، أو جئن ، والجمال سارت أو سِرْنَ .

٣ ـ جواز المطابقة وغيرها :

وهناك حالات يجوز لنا فيها أن نجعل الفعل والفاعل متطابقين في الجنس ، كما يجوز ان نخالف بينهما فيه ، وذلك كما يلي :

ـ إذا كان الفاعل مؤنثاً تأنيثاً غير حقيقي ، نحو : طلع الشمسُ . فالشمسُ ، مؤنث مجازي ، ولذلك جاز أن يكون فعلها مذكراً ، وان يكون مؤنثاً مثلها ، فنقول : طلعت الشمس . ومن هذا قوله تعالى : « فمن جاءه موعظة من ربه » (البقرة ٢٧٥)

ويجوز أن نقول : جاءت الطلحات ، وجاء الطلحات . لأن « الطلحات » مؤنث لفظي لا حقيقي ، وعلى هذا جاز ان يطابق الفعل فاعله جنساً ، وأن يخالفه .

ـ إذا كان بين الفعل والفاعل المؤنث فاصل ما ، نحو : جاء عند الماءِ الطالباتُ . ومنه : « وأخذ الذين ظلموا الصيحةُ » (هود ٦٧) « إذا جاءك المؤمنات يبايعنك » (الممتحنة ١٢)

ـ إذا كان الفاعل جمع تكسير ، مثل : حضرتِ الرجالُ ، وجاءتِ الطلابُ . ويجوز أن يقال ايضاً : حضر الرجال ، وجاء الطلابُ .

ـ ويجوز تذكير فعل المدح أو الذم وتأنيثه إذا كان فاعله مؤنثاً حقيقةً أو مجازاً، نحو، نعم المرأة هندٌ . ونعمَ الدارُ دارُك ، ونعمتِ الدار دارُك .

ـ وكذلك إذا كان الفاعل ملحقاً بأحد الجمعين السالمين : المذكر والمؤنث ، تقول : جاء البنون ، وجاءت البنون. وجاء البنات ، وجاءت البنات ، وعليه قول النابغة الذبياني :

قالتْ بنو عامرٍ خالوا بني أسدٍ
يا بؤسَ للجهلِ ضراراً لأقوامِ

وقول عبدة بن الطبيب :

فبكى بناتي شجوَهُنَّ وزوجتي
والظاعنون إليَّ ثم تصدَّعوا

ـ إذا كان الفاعل اسم جمع ، أو اسم جنس جمعي ، كقوله تعالى : « كذَّبتْ قومُ نوحٍ . » (الشعراء ١٠٥) وقوله : « كذَّب به قومك وهو الحق . » (الأنعام ٦٦) ، فقوله : قوم ، اسم جمع . أما مثال اسم الجنس الجمعي ، فكقولهم : تأبي العرب الضيم ، ويأبى العرب الضيم.

٤ ـ مطابقة الفعل للفاعل عدداً

اللغة الشائعة أن يكون الفعل مفرداً مهما يكن الفاعل من حيث العدد ، تقول : جاء الطالبُ ، وجاء الطالبان ، وجاء الطلابُ .

على أن بعض القبائل اليمنية القديمة ، كالحارث بن كعب ، وأزد شنوءة ، كانت تطابق بين الفعل وفاعله في العدد ، تقول مثلاً : جاء الفارسُ ، وجاءا

الفارسان ، وجاؤوا الفرسانُ ، ولهذه اللغة شواهد فصيحة يُحتج بها ، من ذلك قول أحيحة بن الجلاح الأنصاري :

يلومونني في اشتراء النخيـ
ـلِ قومي ، فكلهم يَعذِلُ

وقول الفرزدق التميمي :

ولكنْ دِيافيٌّ أبوه وأمُّه
بحَوْرانَ يَعْصِرْنَ السليطَ أقاربُهْ(١)

وقول عبيد الله بن قيس الرُّقيات القرشي :

تولى قتالَ المارقينَ بنفسه
وقد أسلماه مُبْعَدٌ وحميمُ

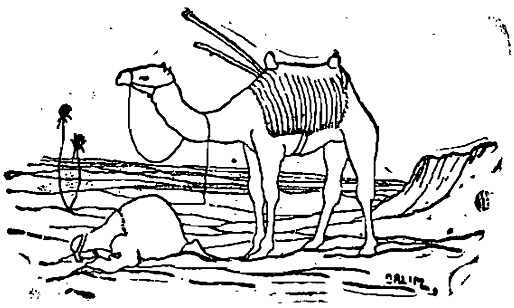
وليست هذه اللغة مقصورة على الشعر حتى يقال إنها ضرورة ، فقد سُمع بعض الأعراب يقول : أكلوني البراغيث . كما جاء منها في القرآن قوله تعالى : « وأسروا النجوى الذين ظلموا . » (الأنبياء ٣) وقوله : « ثم عموا وصموا كثير منهم . » (المائدة ٧١) .

على أن نحاة كثيرين قد خاضوا في تأويل الآيتين، ولهم في ذلك آراء وتخريجات لا تخرج عن إطار الآراء الظنية ، يفرون بها من وقوع هذه اللغة في القرآن الكريم(٢) .

(١) ديافي : نسبة الى « دِياف » وهي قرية شآمية . والسليط : الزيت . هجا رجلاً فجعله ممن يعملون ليكسبوا قوتهم ، ونفى أن يكون كالعرب الذين يعيشون على الانتجاع والغزو .

(٢) انظر آراءهم في الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ٢٦٨/١١ ، والبحر المحيط ، لأبي حيان ٢٩٦/٦ .

ونقل حديث شريف اكتسب بين النحاة شهرة واسعة ، وهو : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار . » ، فقد رواه على هذه اللغة مالك ، ومسلم ، والبخاري ، والنسائي (١) . وسمى ابن مالك اللغة كلها باسم : لغة يتعاقبون فيكم ، بدل قولهم : لغة أكلوني البراغيث . ولعلها أعم من أن تكون لغة يمنية خاصة . على أنها انقرضت ، ولا يجوز استعمالها في الفصحى المعاصرة .



(٣) انظر : الموطأ ١٢٣ ، السفر ٨٥ ، وصحيح مسلم ٥/١٣٣ ؛ والتجريد الصريح ١/٥٥ ، وسنن النسائي ١/٢٤٠ .

نائب الفاعل

هو ما أسند اليه فعل مبني للمجهول أو شبهه متقدم عليه. مثل: كُسر الزجاجُ ، عُلم اخوك نائماً . وشبه الفعل المبني للمجهول إما اسم مفعول، وإما اسم منسوب ، فمثال الأول قوله تعالى : « ذلك يومٌ مجموعٌ له الناسُ » (هود ١٠٣) ، ومثال الثاني قولك : هذا رجل دمشقيٌّ ابوه . أي ينسب ابوه إلى دمشق .

والغرض من هذا الاسلوب أن يُعلم ما وقع به الفعل ، ولا يهم ذكرُ من أوقعه ، على أنه لا يلزم منه إخفاء الفاعل عن السامع ، او ان المتكلم يجهله ، فهذا منقوض بقوله تعالى : « خلق الانسان من عجل » (الأنبياء ٣٧) وقوله : « خلق الانسان ضعيفاً » (النساء ٢٨) ، لأن الفاعل هنا معلوم للسامع العربي ، وهو الله .

ما ينوب عن الفاعل

١ - المفعول به :

هو أولى ما في الجملة أن ينوب عن الفاعل ، فاذا كان فيها فلا ينوب غيره ، مثل : أكل سميرٌ تفاحةً صباحاً = أُكلت تفاحةٌ صباحاً . ضربتُ المذنبَ بالعصا = ضُرب المذنبُ بالعصا . ناضلنا العدوَّ مناضلةً شديدةً = نوضل العدوُّ مناضلةً شديدةً . ففي كل من هذه الجمل مفعول به ، وظرف ، او جار ومجرور ، أو مصدر ، ولم ينب عن الفاعل فيها غير المفعول به .

وإذا كان في الجملة أكثر من مفعول به ، ناب الأول عن الفاعل، لأنه في معناه ، وبقي الثاني ، والثالث ، كما كانا ، مثل : ظُنَّ الثعابُ أسداً ، نُبِّيءَ الناسُ الثعلبَ أسداً . والأصل : ظننتُ الثعاب اسداً . ونبأتُ الناسَ الثعلبَ أسداً ، ومنه قول عنترة في معلقته :

نُبئتُ عَمراً غيرَ شاكرِ نِعمتي
والكفرُ مَخْبَأةٌ لنفسِ المُنعِمِ

ويباح للشاعر في الضرورة أنْ ينيب عن الفاعل غير المفعول به مع وجوده ، كقول أحدهم :

أُتيحَ لي من العِدا نذيرا
بِهِ وُقيتُ الشرَّ مستطيرا

فقد أناب الشاعر الجار والمجرور « من العدا » عن الفاعل، مع وجود المفعول به « نذيرا » ، وهذا لا يجوز إلا في الضرورة (١) .

---

(١) يثبت بعض النحاة بيتاً لجرير هو :

ولو ولدت قُفَيرةُ جَرْوَ كلبٍ
لسُبَّ بذلك الجَرْوِ الكِلابا

ويزعمون أن الشاعر اناب الجار والمجرور « بذلك » عن الفاعل ، وأبقى المفعول به « الكلاب » على ما هو عليه ، وهذا مخالف لأصولهم ، لأن الجار في البيت للتعليل ، وما كان كذلك لا ينوب مع مجروره عن الفاعل أصلاً ، فكيف اذا كان في الكلام مفعول به . وقد تأول الزجاج وغيره هذا البيت فلم يأتوا بمقنع ، لأنهم ارادوا ان يدفعوا اللحن عن جرير ، وهو واقع .

وفي القراءات ما يؤيد هذا : إذا جاز أن نحتج بها جميعاً [1] ، فمن ذلك قراءة أبي جعفر وشيبة : « ليُجْزى قوْماً بما كانوا يكسبون [2] » (الجاثية ١٤) .

٢ ـ الجار والمجرور :

وإذا كان الفاعل لازماً ينوب الجار والمجرور او غيره ـ كما سنرى ـ عن الفاعل ، ويُشترط في حرف الجر ألا يكون للتعليل ، نحو قولك : قُعِدَ على الأرض . أما اذا كان للتعليل كقولك : فُرِحَ لقدومك . فيكون نائب الفاعل ضميراً مستتراً يعود على مصدر الفعل ، والتقدير هنا : فُرِحَ الفَرَحُ لقدومك . ومثله هذا البيت الذي ينسب إلى الفرزدق :

يُغضي حياءً ، ويُغضى من مَهابته
فما يُكلَّمُ إلا حينَ يبتسم

وتقديره : يغضى الاغضاء .

ومما استوفى شرط النيابة عن الفاعل قوله تعالى : « ولما سُقِطَ في أيديهم ورأوا انهم قد ضلّوا ، قالوا : لئن لم يرحمنا ربنا ويغفرْ لنا لنكوننَّ من الخاسرين » (الأعراف ١٤٩) ، ومنه قول الفرزدق ، وقد جاء عامل الرفع فيه اسم مفعول لا فعلاً مبنياً للمجهول :

---

(١) يرى بعض المتأخرين كالسيوطي أن القراءات القرآنية كلها حجة ، سواء أكانت متواترة أم احادية ام شاذة . (انظر الاقتراح ١٥) وعلى مذهبهم يجوز نصب نائب الفاعل ، وفي هذا كثير من التطرف .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن . للقرطبي ١٦/١٦٢ ، و ١١/٣٣٤

غلاماً أبوه المستجارُ بقبرِهِ
وصَعْصَعَةُ الفكّاكُ من كان عانيا

فالمستجارُ ، اسم مفعول ، مشتق من مصدر الفعل اللازم : استجار . وشبه الجملة « بقبره » في محل رفع نائب الفاعل .

٣ ـ الظرف :

ويشترط فيه أن يكون متصرفاً مختصاً ، مثل : جيءَ يومُ السبتِ ، ووُقِفَ امامُ الجمهورِ . ومعنى كونه متصرفاً ، ان يستعمل ظرفاً وغير ظرف ، فكلمة « يوم » تكون ظرفاً في مثل : جئتَ يوم السبت . وتكون غير ذلك مثل : كان يومُ السبت غائماً ، وهذا يومٌ أفضلُ من يوم السبت . أما كونه مختصاً فأن يَدُل على مُعيَّن ، كما في المثال ، ولا يجوز أن يقال : جيء يومٌ ، لأنه غير معين .

٤ ـ المصدر :

ويشترط فيه ما اشترط في الظرف ، اي يجب ان يكون متصرفاً مختصاً ، مثل : قُعِد القُعودُ الطويلُ . ونيم نومُ الهادئين . وتصرف المصدر ان يستعمل مفعولاً مطلقاً وغيره ، وما لم يكن كذلك لا ينوب عن الفاعل ، كالمصادر : سبحانَ الله ، معاذ الله ، حنانيك ... أما اختصاصه فانْ يكون مقيداً بصفة ونحوها . كما في المثالين السابقين (١) .

شواهد التدريب

١ ـ « ولئن سألتهم : من خلقهم ؟ ليقولُنَّ : اللهُ ، فأنّى يؤفكون . »
(الزخرف ٨٧)

---

(١) لم نذكر هنا مطابقة الفعل ونائب الفاعل لأنها لا تختلف عما تقدم في بحث الفاعل .

٢ ـ « قل : لو أنتم تملكون خزائنَ رحمةِ ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق.»
(الإسراء ١٠٠)

٣ ـ قال زياد الأعجم :

إنَّ السماحة والمروءة ضمّنا
قبراً بمَرْوَ على الطريقِ الواضحِ

٤ ـ قال كثير عزة :

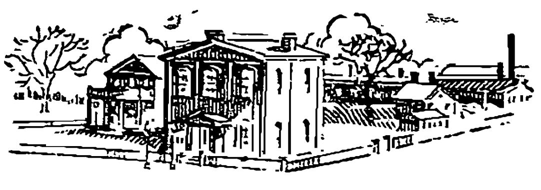
كفى حزناً للعين أن رَدَّ طرْفَها
لعزةَ عِيرٌ آذانتْ برحيلِ

٥ ـ وقال كثيّر ايضاً :

وما مرَّ من يومٍ عليَّ كيومها
وإن عظمتْ أيامُ أخرى وَجلَّتِ

٦ ـ قال مساور بن هند :

أولئك أومنوا جوعاً وخوفاً
وقد جاعت بنو أسد وخافوا



المبتدأ والخبر

١ – المبتدأ

هو اسم أسند اليه خبر يقع بعده لفظاً او تقديراً، مثل : البحر هائج . وانت ذاهب وأخوك . فخبر « اخوك » مقدر ، وهو : ذاهب .

والمبتدأ اسم ظاهر كما تقدم ، ولكنه قد يكون ضميراً منفصلاً نحو : أنت كريم . وهو عزيز ، او مصدراً مؤولاً مثل : « وأن تصبروا خيرٌ لكم . » (النساء ٢٥) . « وأن تعفوا أقرب للتقوى » (البقرة ٢٣٧) أي : صبركم خير لكم ، وعفوكم أقرب للتقوى . وقد تحذف « أن » المصدرية لفظاً ، وتُلْمحُ تقديراً ، كالمثل العربي المشهور : تسمعُ بالمعيدي خير من أن تراه . وتقديره : سماعُك .

وقد يكون المبتدأ جملة محكية ، كقول العرب : زعموا مطية الكذب. أي قولهم : زعموا ، مطية الكذب .

اعراب المبتدأ

المبتدأ في الأصل مرفوع ، كما تبين في الأمثلة ، ورافعه كونه في ابتداء الكلام ، لم يسبقه عامل لفظي يؤثر فيه ، غير أنه يأتي أحياناً مجروراً لفظُهُ بحرف جر زائد او شبيه بالزائد ، وذلك كما يلي :

١ - جره بـ « من » الزائدة :

وذلك إذا سبقت « من » بنفي مثل : ما في الدار من أحد . اي : ما فيها احد ، او سبقت باستفهام أداته « هل » كقوله « هل من خالق غيرُ الله يرزقكم . » (فاطر ٣) ، ويشترط هنا ان يكون نكرة .

٢ - جره بالباء الزائدة :

وذلك إذا كان كلمة « حَسْبُ » كقول الأشعر الأسدي :

بِحَسْبِكَ في القومِ أن يعلموا
بأنَّك فيهم غنيٌّ مُضِرّْ

وقد تزاد الباء في الكلمة التي بعد « حَسْبُ » ، فتكون هي المبتدأ ، و « حسبُ » خبره ، كقول عمران بن حِطَّان :

فاعملْ فانك مَنْعِيٌّ بواحدةٍ
حَسْبُ اللبيبِ بهذا الشيب من ناعِ

٣ - جرُّهُ بـ « رب » :

و « رب » حرف جر شبيهٌ بالزائد ، يجر المبتدأ لفظاً ، كما في الحديث : « يا رُبَّ كاسيةٍ في الدنيا عاريةٌ يومَ القيامة . » . وقد تحذف « رُبَّ » بعد الواو غالباً ، كقول امرىء القيس :

وليلٍ كموجِ البحرِ أرْخى سدولَهُ
عليَّ بأنواعِ الهمومِ ليبتـلي

موضعه في الجملة

تتميز الجملة العربية بالمرانة ، إذ يجوز فيها تأخير ما حقه التقديم ،

وتقديم ما حقه التأخير ، لغرض معنوي بلاغي ، فالمبتـدأ في أصل الوضع مقدم على خبره ، ولكن يجوز تأخيره عنه ، نحو : تَعَبٌ كلُّها الحياةُ ، وساميةٌ رسالتك . والأصل : الحياة كلها تعب ، ورسالتك سامية .

وهناك مواضع لا يجوز فيها تأخيره البتة وهي :

١ ـ أن يكون من اسماء الصدارة : كالشرط ، والاستفهام ، وما التعجبية ، وكم الخـبرية . مثل : مَنْ يعملْ يَلْقَ جزاء عمـله . وما في يمينـك ؟ وما أطيب الرُّبا !! وكم شهيدٍ هوى على الأرض ميتاً .

٢ ـ ان يكون مقترناً بلام الابتداء ، نحو : لعبدٌ مؤمنٌ خـيرٌ من مشرك .

٣ ـ إذا احدث تأخيره لَبْساً بينه وبـــين خبره ، فيقدم ليزول اللبس ، كقولك : أخوك عليٌ . او : عليٌ اخوك .

٤ ـ ان يكون محصوراً في الخبر ، مثل : « وما محمد إلا رسولٌ » (آل عمران ١٤٤) « إنما أنت نذير . » (الرعد ٧) .

تعريفه وتنكيره

المبتدأ في الأصل معرفة ، لأن الاخبار يكون عن معروف ، وثمة حالات يصح فيها أن يكون نكرة ، وهي كثيرة نكتفي منها بالمواضع الآتية :

١ ـ إذا كان نكرة مضافـة إلى نكرة لفظـاً أو تقديراً : رجلُ عِلْمٍ زارني ، « كلٌ يعملُ على شاكلتـه » (الاسراء ٨٤) أي : كل مخـلوقٍ .

٢ ـ إذا وصفت النكرة لفظاً أو تقديراً مثل : لعبدٌ مؤمن خيرٌ من مشرك ، الحليبُ ليترٌ بليرة . أي : ليتر منه . ومثـــله قوله تعالى : « وطائفةٌ قد أهمتهم أنفسهم » (آل عمران ١٥٤) . أي : وطائفـة من غـيركم .

٣ ـ إذا كان الخبر شبه جملة متقدمةً على النكرة ، مثل : « وفوق كل ذي عِلمٍ عليمٌ » (يوسف ٨٦) « ولـكل أجل كتابٌ » (الرعد ٣٨).

٤ ـ إذا وقعت النكرة بعد نفي ، او استفهام ، أو بعد : لولا ولوما ، او إذا الفجائية ، نحو : ما أحد في الدار . و « أإله مع الله » (النمل ٦٠ ـ ٦٤) وقول الشاعر :

لولا اصطبارٌ لأودى كل ذي مِقَةٍ
لمّـا استقلّتْ مطـاياهُنَّ للظَّعَنِ

ومثل : خرجت فاذا أسدٌ رابضٌ .

٥ ـ إذا كانت النكرة من الأسماء المبهمة التي مر ذكرها ، كأسماء الشرط ، والاستفهام ، وما التعجبية ، وكم الخبرية . وقد سبقت الأمثلة لها .

٦ ـ إذا كانت النكرة مفيدة الدعاء مثل : سلامٌ عليكم ، ويلٌ لـكم .

٧ ـ إذا كانت مجرورة لفظاً بـ : من ، أو رُبَّ ، كما مرَّ من قبل.

حذف المبتدأ

يحذف المبتدأ جوازاً ، ووجوباً .

آ ـ حذفه جوازاً :

يجوز حذف المبتدأ إذا دل عليه دليل ، كما هي الحال في المواضع الآتية :

١ ـ في جواب السؤال : وذلك أن يذكر في جملة السؤال ، فيحذف جوازاً في جوابه ، كقول القطامي :

فلما تنازعنا الحديثَ سألتُها
مَن الحيُّ ؟ قالتْ : مَعْشرٌ من محاربِ

أي : الحي معشرٌ من محارب .

ومثله قول تميم بن أبي مقبل :

إذا الناس قالوا : كيف أنت ؟ وقد بدا
ضمير الذي بي ، قلت للناسِ : صالحُ

أي : انا صالحُ .

٢ ـ ويجوز حذفه في غير جواب السؤال إذا كان لفظه مذكوراً في كلام سابق ، كما في قول أعشى طرود :

يا دارَ أسماءَ بين السفح فالرُّحُبِ
أقوتْ وعفّى عليها ذاهبُ الحِقَبِ

دارٌ لأسماءَ إذ قلبي بها كَلِفٌ
وإذ أقرّبُ منها غيرَ مقتربِ

فقوله : دارٌ ، خبر لمبتدأ محذوف ، تقديره : هي دارٌ . أو : هذه دارٌ . وإنما ساغ حذف المبتدأ جوازاً لوجود الدليل عليه ، وهو ذكره في البيت السابق .

٣ ـ ويجوز حذف المبتدأ ايضاً ، وإن لم يكن له ذكر سابق في الكلام ، إن كان للمخاطب أو المتكلم ، ولا يجوز حذفه إن كان للغائب ،

من ذلك قول العرب في مَثَلٍ لهم: محسنةٌ فهيلي (١). أي: أنتِ محسنةٌ فهيلي. ومثله ما جاء في الحديث النبوي للراجع من السفر: «تائبون آئبون لربنا حامدون» أي: نحن تائبون، ومثله قول الشاعر:

تقولُ ابنةُ الكَعْبِيِّ يومَ لقيتُها
أمنطلقٌ في الجيشِ أم متثاقِلُ

والتقدير: أأنت منطلق.

٤ ـ ومن أساليب حذف المبتدأ في اللغة العربية قولهم: ما منهم مات حتفَ أنفه، وقولهم: منا يفعل كذا، ومنا لا يفعله. أي: ما منهم أحدٌ مات حتف انفه، ومنا مَنْ يفعل، ومنا مَنْ لا يفعل ... ومن ذلك قول ذي الرمة:

فظلوا ومنهم دَمْعُهُ سابِقٌ له
وآخرُ يَثْني دَمْعَةَ العَيْنِ بالهَمْلِ

وقول حكيم بن معية:

لو قلتَ: ما في قومها لم تِيثَمِ
يَفْضُلُها في حَسَبٍ ومِيسَمِ

فتقدير الأول: ومنهم مَنْ دمْعُهُ.. والثاني: ما في قومها أحد يَفْضُلُها..

ب ـ حذفه وجوباً:

ويحذف المبتدأ وجوباً في المواضع التالية:

١ ـ إذا كان خبره مشعراً بالقسم نحو: في ذِمَّتي لأفعَلَنَّ كذا. أي في ذمتي عَهْدٌ.

---

(١) انظر المثل في جمهرة امثال العرب للعسكري ٢/٢٥٥

٢ ـ إذا كان خبره مصدراً نائباً عن فعله كقول الشاعر منذر بن درهم.

فقالت : حنانٌ ، ما أتى بك ههنا
أذو نسبٍ أم انت بالحي عارف

أي : أمري حنانٌ .

٣ ـ إذا كان الخبر مخصوصاً بالمدح او بالذم نحو : نعم الشاعر زهير (١) . اي : الممدوح زهير .

٤ ـ إذا كان الخبر نعتاً مقطوعاً للمدح او الذم او الترحم . نحو : الحمدُ للهِ الحميدُ . انظرِ العدوَّ اللعينُ . مررتُ بخادميكَ المسكينُ .

٢ ــ الخبر

وهو الذي يُسند إلى المبتدأ ، ويخبر عنه ، ويكون اسماً ظاهراً مشتقاً نحو : أنت نبيلٌ ، واخلاقك محمودة . وقد يكون اسماً جامداً مؤولاً بمشتق مثل : اخوك أسد . اي : شجاع ، وقد يكون مصدراً مؤولاً ، مثل : موعدنا ان تظهر النجوم . وتأويله : ظهور النجوم .

وكثيراً ما يكون الخبر جملة فعلية مثل : الرئيسُ سيزور المدينة . او اسمية مثل « الذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة . » (النور ٣٩) ، وفي هذه الحال تحتاج الجملة الخبرية إلى رابط ، وقد يكون :

١ ـ ضميراً ظاهراً مثل : سعيدٌ يحمل كتابه . والذين كفروا أعمالهم كسراب .

---

(١) هذا إذا جُعل المخصوص خبراً لمبتدأ محذوف ، أما إذا جعل مبتدأ مؤخراً والجملة قبله خبراً له ، فلا شيء فيه .

٢ ـ أو ضميراً مستتراً مثل : الكتاب يقدم فوائد كثيرة .

٣ ـ ضميراً مقدراً مثل : الحليبُ الليتر بليرة . اي : الليتر منه.

٤ ـ او إشارة إلى المبتدأ مثل : « ولباس التقوى ذلك خـير » (الأعراف ٢٦) .

٥ ـ او اعادة المبتدأ بلفظه : الحاقة ما الحاقة . القارعة ما القارعة. او بلفظ أعم منه مثل : سعيد نعم الرجل .

وإذا كانت الجملة هي المبتدأ نفسه مثل : هو الله أحد ، ومثل : علمي انت في الدار . فانها لا تحتاج إلى رابط (١) .

* * * *

وكما يكون اسماً ظاهراً او جملة يكون شبه جمـلة ، والصحيح ان الخبر هنا مقدر ، وشبه الجملة تتعلق به ، كقولك : انت في الدار ، واخوك عندَ الباب .

وحين تكون شبه الجملة ظرف زمان يكون المبتدأ اسماً من اسمـاء المعاني ، مثل : العملُ هذا اليومَ . والجدُّ وقتَ الدراسة . وظرف المـكان يخبر به ـ كما يقول النحاة ـ عن الجثث ، اي عن الذوات التي تشغل مكاناً ، نحو : الكتابُ فوقَ الطاولة ، وانت امامَ ابيك . ويخبر به احياناً

---

(١) بين النحاة خلاف في جواز وقوع الجملة الانشائية خبراً للمبتدأ ، او لما اصله مبتدأ ، كأسماء الأفعال الناقصة والأحرف المشبهة بالأفعال ، وثمة شواهد ترجـح ـ على قلتها ـ ذلك ، كقول الجُميـح :

ولو اصابت لقالت وهي صـادقة
إن الرياضـة لا تُنْصِبْكَ للشيبِ

عن أسماء المعاني ، نحو : العملُ عندك .

اعرابه

الرفع اصل في خبر المبتدأ ، إلا انه قد يجر بباء زائدة إذا كان في سياق النفي ، نحو : ما أنت ببخيل .

موضعه في الجملة

يأتي عادة بعد المبتدأ ، ويجوز تقديمه ، هذا هو الأصل العام فيه ، إلا انه احياناً يقدم على المبتدأ وجوباً ، وذلك فيما يلي :

١ ـ إذا كان من اسماء الصدارة ، نحو : كيفَ انتَ ؟

٢ ـ إذا كان في المبتدأ ضمير يعود اليه ، لئلا يعود الضمير على متأخرٍ لفظاً ورتبة ، نحو : « أم على قلوبٍ اقفالُها » (محمد ٢٤) ونحو قول نصيب او المجنون :

أهابُك إجلالاً وما بك قدرةٌ
عليَّ ، ولكن ملءُ عينٍ حبيبُها

٣ ـ إذا حصر الخبر في المبتدأ : ما شاعر إلا اخوك .

٤ ـ إذا كان نكرة غير مفيدة مخبراً عنه بظرف او جار ومجرور مثل : في يدي كتاب ، وعندي مالٌ .

ذكره وحذفه

يجوز حذف الخبر إذا دل عليه دليل نحو : انت عالم وابوك . اي :

وابوك عالم. إلا انه لم يحذف وجوباً في بعض المواضع، وهي:

١ - إذا كان المبتدأ لفظاً من ألفاظ القسم الصريحة مثل: لعمرك لأزورنك. اي: لعمرك قسمي.

٢ - إذا كان الخبر كوناً عاماً مثل: لولا انت لم ابلغ ما أتمنى. أما إذا كان كوناً خاصاً فيذكر، فقد ورد في الحديث: لولا قومُك حديثو عهدٍ بكفرٍ لبنيتُ الكعبة على قواعد ابراهيم(١).

٣ - ان يقع بعد اسم مسبوقٍ بواو بمعنى «مع» مثل: أنت وشأنُك. اي: متروكان.

٤ - ان تغني عنه حال لا تصلح ان تكون خبراً، مثل: أكلي الحلوى واقفاً، واخطبُ ما يكون الأمير واقفاً. والمبتدأ هنا يكون إما مصدراً مضافاً الى معموله، كما في المثال الأول، وإما اسم تفضيل مضافاً الى مصدر صريح او مؤول كما في المثال الثاني.

الفاعل او نائب الفاعل الساد مسد الخبر

وقد يغني عن الخبر غير الحال، وهو الفاعل او نائبه، إذا كان المبتدأ وصفاً معتمداً على نفي او استفهام، تقول: أقائم اخواك؟ فـ: قائم مبتدأ، وهو وصف، لأنه مشتق، وقد سبق بهمزة الاستفهام، و«اخواك» فاعل له، سد مسد الخبر، ومثله قولك: ما قائم اخواك. ومن الشواهد

---

(١) جعل منه ابن الشجري في أماليه (٢/٢١١) قوله تعالى: ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان. وقوله: ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك.

الفصيحة قول عمر بن ابي ربيعة :

أباكرةٌ في الظاعنين رميمُ
ولم يُشفَ متبولُ الفؤادِ سقيمُ

ف : رميم ، فاعل سد مسد الخبر . ومن ذلك ايضاً قول الشاعر :

أقاطن قوم سلمى أم نووا ظعنا
إن يظعنوا فعجيب عيش من قطنا

ف : قوم : فاعل سد مسد الخبر .

أما ما جاء فيه نائب الفاعل ساداً مسد الخبر فمنه قول النابغة الذبياني :

ألم أقسم عليك لتخبرنّي
أمحمولٌ على النعشِ الهُمامُ

ف : الهمام : نائب عن الفاعل ساد مسد الخبر .

على انه إذا كان المبتدأ مفرداً وفاعله او نائبه الذي يسد مسد خبره مفرداً ايضاً ، جاز وجه آخر من الاعراب ، هو ان يكون المبتدأ خبراً مقدماً ، وفاعله أو نائبه مبتدأً مؤخراً ، كما في قول عمر وقول النابغة السابقين ، اما إذا كان المبتدأ مفرداً وخبره غير مطابق له في العدد فليس إلا الاعراب الذي ذكرنا .

شواهد التدريب

١ - « من عمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد . » (فصلت ٤٦)

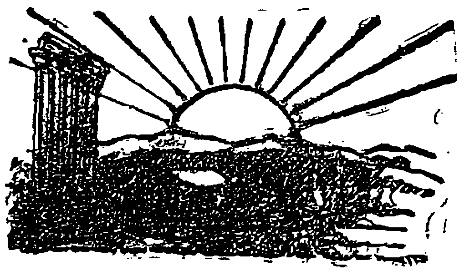
٢ ـ « ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه ، إنما انت منذر ، ولكل قوم هادٍ » (الرعد ٧)

٣ ـ قال عروة بن حزام :

يقولُ ليَ الأصحابُ إذْ يعذلونني
أشوقٌ عراقيٌّ وانت يماني ؟

٤ ـ وقال عروة ايضاً :

أناسيةٌ عفراءُ ذكري وإنما
تركتُ لها ذكراً بكل مكانِ ؟



الأحرف المشبهة بالفعل

في العربية ادوات تدخل على الجملة الاسمية المؤلفة من مبتدأ وخبر ، فتنصب اولهما ، وترفع الثاني ، هي : إنَّ ، أنَّ ، كأنَّ ، لكنَّ ، ليت ، لعلَّ ، لا .

وقد شبهها النحاة بالفعل ، للأسباب الآتية :

١ ـ **عملها** : فكما ان الفعل المتعدي الى مفعول واحد يرفع فاعلاً وينصب مفعولاً ، كذلك تنصب هذه الأحرف وترفع ، فكل أداة منها تعمل في الاسم عملين : النصب والرفع ، وكذلك الفعل .

٢ ـ **بناؤها** : وتبنى هذه الأدوات ـ ما عدا « لا » ـ على الفتح ، كما يبنى الفعل الماضي تماماً .

٣ ـ **أصولها** : ويتألف كل منها من ثلاثة احرف ـ ما عدا « لا » ايضاً ـ كالفعل الثلاثي .

٤ ـ **معانيها** : وتؤدي خمسة معانٍ يؤديها في العربية الفعل عادةً ، وهي: التوكيد ، الذي تؤديه « إنَّ ، وأنَّ » ، والتشبيه في « كأنَّ » والاستدراك في « لكنَّ » ، والتمني في « ليت » والترجي في « لعَلَّ » .

٥ ـ **دخول نون الوقاية عليها** : وتدخل عليها نون الوقاية كما تدخل على الأفعال : إنني ، أنني ، كأنني ، لكنني ، ليتني ، لعلني ، ويكثر في الأخيرة ان تأتي بغيرها ، كقول الشاعر :

وإني لمهــد نظرةً قِبَلَ الـتي
لعلي وإن شطت نواهـا أزورُها

ومثلها : إنّ ، وأنّ ، وكأنّ ، ولكنّ .

١ — عملها

١ ـ عملها العام :

قلنا : إن هذه الأحرف تنصب المبتدأ ، وترفع الخبر (١) ، كقولك : إن خالداً سيفُ الله . والمعطوفات على اسمائها تذهب مثلها ، مثل : ليت اخاك واباك يلتقيان في دمشق ،

على انه يجوز رفع المعطوف على اسم : إنّ ، او أنّ ، او لكنّ ، بعد مجيء الخبر ، تقول : إن سعيداً هنا واخوه . اي : واخوه هنـــا . وتكون الواو عاطفة جملة على جملة . ومن ذلك قوله تعالى : « .. أن الله بريءٌ من المشركين ورسولُه . » (براءة ٣) اي : ورسولُه بريء ايضاً .

وكذلك يجوز النصب والرفع في المعطوف على اسم إحدى هذه الأدوات الثلاث قبل مجيء الخبر ، تقول : إن اخاك وابوك هنا . ومنه قوله تعالى : « إن الذين آمنوا والذين هادوا ، والصابئون ، والنصارى ، مَنْ آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . » (المائدة ٦٩)

---

(١) يرى بعض النحاة ان عملها مقتصر على نصب المبتدأ ، اما الخبر فيبقى مرفوعاً بما كان مرفوعاً به قبل ان تدخل في الكلام ، والخلاف هنا صناعي نظري .

فقوله : الصابئون ، معطوف على محل اسم « إن » وهو الرفع (١) .

ومن هذا قول ضابئ البرجمي في إحدى روايتيه :

فمن يكُ أمسى في المدينة رحله
فإني وقيارٌ بها لغريبُ

ويروى : وقياراً .

٢ - تخفيفها وعملها :

وإذا خففت : إن ، وأن ، وكأنْ ، ولكنْ ، يكون عملها على الشكل التالي :

آ - عمل « إن » المخففة :

إذا خففت فالأكثر إهمالها ، وتلحق بخبرها اللام الفارقة (٢) ، نحو : إنْ سعيدٌ لكريم . ويجوز إعمالها فلا تلزمها اللام ، مثل : إنْ سعيداً كريمٌ .

ويكثر دخول « إن » المهملة على النواسخ من الأفعال : كان ، كاد ، ظن ، وأخواتها ، وتلحق اللام الفارقة المعمول الثاني لهذه الأفعال ، مثل : « وإن كانت لكبيرةً إلا على الذين هدى الله . » (البقرة ١٤٣) « وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونكَ بأبصارهم . » (القلم ٥١) « إن وجدنا

---

(١) وللنحاة رأي آخر ، وهو ان تكون الواو اعتراضية ، وما بعدها مبتدأ ، وخبره مقدر ، والجملة معترضة .

(٢) سميت هذه اللام فارقة لأنها تفرُقُ بين « إن » النافية التي تعمل عمل « ليس » ، و « إنْ » المخففة .

أكثرهم لفاسقين .» (الأعراف ١٠٢) « ما انت إلا بشر مثلنا ، وإن نظنك لمن الكاذبين .» (الشعراء ١٨٦) .

ويقل دخولها على غير النواسخ ، كقول العرب : إنْ يَزِينُكَ لنفسُكَ ، وإن يشينُكَ لهيَهْ . وكقول عاتكة بنت زيد ، زوج الزبير ، لقاتل زوجها :

شلت يمينُـــك إنْ قتلتَ لمسلماً
حلتْ عليـك عقوبةُ المتعمـدِ

وقد تحذف اللام الفارقة في الشعر ، إن كان الكلام يدل على أنَّ « إنْ » فيه مخففة لا نافية ، كقول الطرماح بن حكيم :

أنا ابنُ أباةُ الضيم من آل مالكٍ
وإنْ مالكٌ كانت كرامَ المعـادنِ

ب - عمل « إنْ » المخففة :

إذا خففت « أن » بقي عملها ، إلا ان اسمها يكون ضمير شأن ، او ضميراً ليس للشأن ، وخبرها جملة ، نحو قولك : علمتُ أنْ سعيـدٌ كريمٌ . والتقدير : علمت انه سعيد كريم . اي ان الشأن او الحقيقة ، سعيد كريم ، ومثل قوله تعالى : « ونعلمْ أن قد صَدَقْتَنا .» (المائدة ١١٣) أي انك قد صدقتنا . ومثله : « فلما خرَّ تبينت الجنُّ أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين .» (سبأ ١٤) اي انهم لو كانوا .. ففي المثال الأول جاء اسمها ضمير شأن ، وفي الآيتين جاء ضميراً لغير الشأن .

وقد ورد في كلام العرب شواهد ظهر فيها اسم « أن » المخففة ضميراً بارزاً ، كقول جنوب بنت العجلان ترثي اخاها :

لقد علم الضيفُ والمرملون
إذا اغبرَّ أفقٌ وهبتْ شمالا
بأنكَ ربيعٌ وغيثٌ مريعٌ
وأنكَ هناك تكون الثمالا

وتسبق « أن » المخففة بفعل من أفعال اليقين ، كما ترى في قول جنوب السابق وفي قول الأعشى الآتي :

في فتيةٍ كسيوفِ الهندِ قد علموا
أنْ هالكٌ كلُّ مَنْ يحفى وينتعلُ

ومثله قول تميم بن ابي بن مقبل :

ألم تعلمي ان لا يذمُّ فجاءتي
دخيلي إذا اغبرَّ العضاهُ المُجَلَّحُ (١)

أما الجملة التي تكون خبراً لـ « أنْ » فلا تخلو أن تكون اسمية او فعلية ، فان كانت اسمية لم تحتج الى كلام وتفصيل ، أما إن كانت فعلية فمن الواجب ان يكون بينها وبين « أن » فاصلٌ من إحدى هذه الادوات : قد ، التسويف ، النفي ، لو . إلا اذا كان الفعل جامداً او الدعاء ، فانه لا يحتاج إلى فاصل . انظر الى هذه الشواهد : « ونعلم أنْ قد صدقتنا » (المائدة ١١٣) « علم أنْ سيكون منكم مرضى » (المزمل ٢٠) ، وقال جرير :

---

(١) الدخيل : هنا خاصة الرجل وصحبه . والعضاه : شجر ذو شوك . والمُجَلَّحُ : الذي أكل حتى لم يترك منه شيء ، واغبراره وأكله كناية عن القحط . يمدح نفسه بأنَّ صديقه اذا فاجأه وقت القحط يجد عنده ما يريد .

زعم الفرزدقُ أنْ سيقتُل مِربَعاً
أبشرْ بطولِ سلامةٍ يا مِرْبَعُ (١)

« أيحسبُ الانسانُ انْ لن نجمعَ عظامه . » (القيامة ٣) . « أيحسب أنْ لم يَرَهُ أحد . » (البلد ٧) . « أوَ لمْ يهدِ للذين يرثون الأرضَ من بعد اهلها أنْ لو نشاء أصبناهمْ بذنوبهم . » (الأعراف ١٠٠) ففي هذه الشواهد جاءت الفواصل بين « أن » والجملة الفعلية ، لأن افعالها متصرفة ، وليست للدعاء ، أما قوله تعالى : « وأنْ ليس للانسان إلا ما سعى » (النجم ٣٩) فلم يقم فاصل بينها وبين الجملة الفعلية ، لأن « ليس » فعل جامد . ومثل ذلك قول زهير بن ابي سُلمى :

تالله قد علمت سَراةُ بني
ذبيانَ عامَ الحبس والأصْرِ
أن نعم معترك الجياع إذا
خبَّ السفيرُ وسابِئ الخمرِ (٢)

جـ ـ عمل « كأن » المخففة :

وهذه الأداة في تخفيفها تشبه « أنَّ » من حيث بقاء عملها ، ويكون اسمها ضميراً ، للشأن او لغيره ، فإن كان للشأن وجب ان يكون خبرها جملة ، لأن ضمير الشأن لا يفسر ـ على الأكثر ـ إلا بجملة ، مثل : كأنْ اخوك يثق بك . أي : كأن الشأن ..

---

(١) مِرْبع ، لقب لراوي جرير ، واسمه وعوعة بن سعيد .

(٢) السفير : الورق تطيره الريح . وخب : أسرع في المشي . وسابئ الخمر : مشتريها .

وإن لم يكن ضمير شأن جاز ان يكون الخبر جملة ، وجاز أن يكون مفرداً ، فمن الأول قوله تعالى : « فجعلناها حصيداً كأنْ لم تَغْنَ بالأمس » (يونس ٢٤) ، والتقدير : كأنها لم تَغْنَ . ومن الثاني قول باغت بن صريم اليشكري (١) :

ويوماً توافينا بوجه مُقَسَّمٍ
كأنْ ظبيةٌ تعطو إلى وارقِ السَّلَمْ (٢)

أي : كأنها ظبية (٣) .

د ـ عمل « لكن » المخففة :

اذا خففت بطل عملها ، ودخلت على الجملتين : الاسمية والفعلية ، مثل : الحديقةُ جميلةٌ لكنْ اشجارها صغيرة . وذهبوا لكنْ بقي سعيدٌ . ومنه قول زهير :

---

(١) نسبه صاحب الانصاف إلى زيد بن ارقم اليشكري ، ونسبه صاحب الدرر اللوامع إلى علباء بن ارقم اليشكري . انظر الانصاف المسألة ٢٤ ، والدر اللوامع ١/١٢١

(٢) تعطو : تتطاول . والسلم : شجر معروف بالبادية .

(٣) وبعض العرب يظهر اسم «كأن» المخففة ، كقول الشاعر :

ووجه مشرق النحر كأنْ ثدييهِ حُقَّانِ

فقد روى سيبويه البيت على وجهين ، مرة : كأن ثدياه حقان (الكتاب ١ / ٢٨١) ، ومرة : كأن ثدييه حقان ، (نفسه ١/٢٧٣) وقاس عليه كلاماً نقل اليه عن العرب في إعمال « إنّ » حين تخفف .

إنَّ ابنَ وَرْقاءَ لا تُخشى بوادِرُهُ
لكنْ وقائِعُهُ في الحرب تُنْتَظَرُ

٣ ـ اتصال « ما » بها وعملها :

ومما يتعلق بعمل الأحرف المشبهة اتصال « ما » غير الموصولة بها ، فاذا اتصلت كفَّتْها عن العمل ، وأزالت اختصاصها بالأسماء ، إلا « ليت »، فانها يجوز فيها الاعمال والاهمال ، مثل : « إنما المؤمنون إخوة » (الحجرات ١٠) « إنما يخشى اللهَ من عبادِه العلماءُ . » (فاطر ٢٨) « كأنما يساقون الى الموت . » (الأنفال ٦) . « يوحي إليَّ انما إلهُكم إلهٌ واحد . » (الكهف ١١٠) ، وقال امرؤ القيس :

ولكنما أسعى لمجدٍ مؤثَّلٍ
وقد يدرك المجدَ المؤثَّلَ أمثالي

فهذه الأدوات دخلت في الشواهد على الجمل الاسمية والجمل الفعلية ، وبطل عملها ، لاتصال « ما » بها . اما « ليت » فيجوز إعمالها إذا اتصلت بها « ما »، ويجوز إهمالها ، كقول النابغة :

قالت ألا ليتما هذا الحمامَ لنا
إلى حمامتنا او نصفه فقَدِ

وقد ذكر سيبويه أن رؤبة بن العجاج ـ وهو احد من يحتج بهم من الفصحاء ـ كان ينشد هذا البيت رفعاً ، ولذلك َعدَّ إهمال « ليت » حسناً .

٢ — اخبارها

الكلام على أخبار هذه الأدوات لا يختلف كثيراً عما مرَّ بنا في خبر المبتدأ واليك بيانه :

١ - نوع الخبر :

قد يكون مفرداً ، مثل : إن سعيداً كريمٌ ، او جملة نحو : ليت سعيداً يزورنا ، وكقول زهير :

إن الخليطَ أجدَّ البينَ فانفرقا
وعُلِّقَ القلبُ من اسماءَ ما عَلِقا

وقد يكون محذوفاً تتعلق به شبه جملة مثل : إن سعيداً في الدار ، وإن القمر بين الغيوم . وقد يكون مصدراً مؤولاً ، مثل : إن الرجولةَ ان تقوم بالواجب ، والتقدير : إن الرجولة قيامُك بالواجب .

٢ - حذف الخبر جوازاً :

ويحذف جوازاً اذا دل عليه دليل ، ولا سيما في جواب السؤال ، مثل : أتذهب معنا ؟ ليتني ، او لعلي . ومنه قول الأعشى :

إنَّ محلاً وان مُرْتَحلا
وإن في السَّفْرِ إذ مضوا مَهَلا

والتقدير : إن لنا محلاً ، وإن لنا مرتحلا . ومثله قول الأخطل :

خلا أن حياً من قريشٍ تفضلوا
على الناسِ ، أو ان الأكارمَ نهشلا

أي : ان الأكارم نهشلاً تفضلوا كذلك .

وكثيراً ما يحذف خبر « لا » النافية للجنس كقولهم : لا بأسَ ، لا ضَيْرَ ، لا بُدَّ منه . لا إله إلا اللهُ (١) .

---

(١) والتقدير : لا إله موجود إلا الله . ولفظ الجلالة بدل من محل « لا » واسمها ، او من الضمير المستتر في الخبر المقدر .

٣ ـ حذف الخبر وجوباً :

ويحذف الخبر وجوباً إذا كان كوناً عاماً ، كما رأينا في خبر المبتدأ، نحو : إن الأرضَ في الفضاء . وإن السعادة في القناعة . ويحذف وجوباً ايضاً في العبارة المسموعة : ليت شعري ، كقول مالك بن الريب :

ألا ليت شعري هل أبيتَنَّ ليلةً
بجنب الغضى أزجي القِلاصَ النواجيا

وتقديره : ليت علمي بمبيتي حاصل .

٤ ـ تأخير الخبر :

ولا يجوز ان يتقدم الخبر على الاسم ، إلا إذا كان كوناً عاماً تتعلق به شبه جملة ، نحو : إن في القناعة كنزاً ، وإن في البيان سحراً .

٣ ـ كسر همزة إنَّ وفتحها

تستعمل « إن » مكسورة الهمزة حيناً ، ومفتوحة حيناً آخر ، ولذلك ثلاث حالات : ففي مواضع من الكلام لا تكون إلا مكسورة ، وفي أخرى لا تكون إلا مفتوحة ، وفي غيرها يجوز الكسر والفتح ، وذلك على الشكل التالي :

آ ـ متى يجب كسر همزة « إن » :

تكسر همزة « إن » وجوباً في المواضع الآتية :

١ ـ إذا وقعت في اول الكلام ، مبتدأ بها اصلاً او مستأنفاً بها كلام جديد ، مثل : إن اخاك قادم . « ألا إنهم هم السفهاء . » (البقرة ١٤)

مرض حتى إنهم لا يرجونه . جاء سعيدٌ بل إنه لم يجيء . وقال الحطيئة :

دعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغيتها
واقعُدْ فانك انت الطاعمُ الكاسي

ففي الجملة الأولى وقعت في ابتداء الكلام ، وكذلك في الآية ، حيث وقعت بعد أداة تنبيه ، وفي المثال الثالث وقعت بعد « حتى » ، وهي هنا حرف ابتداء ، ومعنى هذا ان الكلام بعدها مستأنف ، وكذلك وقوعها في المثال الرابع بعد « بل » التي هي هنا حرف ابتداء يفيد الاضراب الابطالي ، أما في بيت الحطيئة فقد وقعت بعد الفاء التعليلية المستأنفة .

٢ ـ إذا تصدرت جملة محكية بعد القول ، نحو : « قال : إنه يقول : إنها بقرة صفراء فاقعٌ لونُها . » (البقرة ٦٦)

٣ ـ إذا تصدرت جملة جواب القسم ، مثل : والله إني لذاهب ، ومثل : « لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذاً لخاسرون . » (يوسف ١٤)

٤ ـ إذا تصدرت جملة صلة الموصول ، كقوله تعالى : « وآتيناه من الكنوز ما إنَّ مفاتحه لتنوءُ بالعُصبة أولي القوة . » (القصص ٧٦).

٥ ـ إذا وقعت بعد واو الحال مباشرة اياها ، كقوله : « كما أخرجك ربُّك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون . » (الأنفال ٥)

٦ ـ إذا وقعت في خبرها اللام المؤكدة ، وهي التي تسمى اللام المزحلقة ، نحو : « والله يعلم إنك لرسول الله ، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون . » (المنافقون ١) .

٧ ـ بعد « حيث » كقولك : قعدت حيث إن أخاك قاعدٌ .

ب ـ متى يجب فتح همزتها :

ويجب فتح الهمزة إذا سُبك منها ومما يليها مصدر ، وقد يكون هذا المصدر رفعاً ، أو نصباً ، أو جراً .

١ ــ يكون رفعاً إذا كان فاعلاً مثل : « أولم يكفهم أنا أنزلناه .» (العنكبوت ٥) ، أي : أولم يكفهم إنزالنا إياه . أو كان نائباً عن الفاعل : مثل : « قل أوحيَ إلي أنه استمع نَفَرٌ من الجن . » (الجن ١) أي : أوحي إلي استماعُ نفرٍ من الجن . أو مبتدأ ، مثل : « ومن آياته أنك ترى الأرض ... » (فصلت) ، وتقديره : ومن آياته رؤيتك الأرض . أو خبراً عن اسم معنى ، مثل : ظني أنك مسافرٌ .

٢ ــ ويكون نصباً إذا وقع مفعولاً به ، مثل : عرفتُ أنك مسافر ، أي : عرفت سفرَك . أو خبراً لفعل ناقص إذا كان اسمه اسمَ معنى ، مثل : كان ظني أنك مسافر . او اذا عطف المصدر المسبوك على اسم منصوب ، مثل : « اذكروا نعمتيَ التي أنعمتُ عليكم ، وأني فضلتكم على العالمين . » (البقرة ٤٧) ، أي : اذكروا نعمتي وتفضيلي إياكم . أو كان بدلاً من اسم منصوب مثل : « وإذ يعدُكمُ الله إحدى الطائفتين أنها لكم.» (الأنفال ٧) وتقديره : يعدكم إحدى الطائفتين كونها لكم .

٣ ـ ويكون جراً اذا سُبق بحرف جر ، مثل : « ذلك بأن الله هو الحق . » (الحج ٦٢) أو وقع مضافاً اليه مثل : « إنه لحقٌ مثل ما أنكم تنطقون . » (الذاريات ٢٣) ، اي : مثل نطقكم .

جـ ـ متى يجوز الكسر والفتح :

وهناك مواضع يجوز فيها كسر الهمزة وفتحها ، وهي :

١ ـ إذا وقعت بعد الفاء الرابطة لجواب الشرط ، مثل : من يعملْ يجد فانه يصل إلى ما يريد . فالكسر على معنى : فهو يصل . والفتح على تقدير : فوصوله حاصل ، ومما جاءت فيه مفتوحة الهمزة قوله تعالى : « ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأنَّ له نار جهنم خالداً فيها . » (التوبة ٦٣)

٢ ـ بعد « إذا » الفجائية كهذا البيت الذي سمعه سيبويه من بعض الأعراب :

وكنت أرى زيداً ـ كما قيل ـ سيداً
إذا إنه عبدُ القفا واللهازمِ

فقد أنشده الاعرابي بكسر همزة « إنَّ » ، وتقديره على هذا : إذا هو عبد القفا . ويجوز فتح الهمزة ، ويكون التقدير : اذا عبوديته ظاهرة .

٣ ـ أن تقع في صدر جملة للتعليل غير مسبوقة بفاء ، كقوله : « إنا كنا من قبل ندعوه ، أنه هو البر الرحيم . » (١) (الطور ٢٨) ، فالفتح على تقدير : لبره ورحمته . والكسر على تقدير : فهو البر الرحيم .

٤ ـ ان تقع في صدر جواب القسم ، على أن يكون لفظ القسم : حلفت ، أو اقسمت ، أو ما شابهها وليس في خبرها اللام المزحلقة ، مثل : حلفتُ أني آتٍ . فالكسر على أن الجملة جواب القسم (٢) ، والفتح على تقدير حرف الجر « على » .

٤ ـ وقوع اللام في خبر « ان » أو اسمها

يجوز أن تدخل لام الابتداء على خبر « إنَّ » المكسورة الهمزة ،

---

(١) قراءة الجمهور بالكسر ، وقرأ نافع والكسائي بالفتح .
(٢) لا يرى بعض النحاة غير هذا المذهب ويمنع غيره .

كقولك : إن البحر لهائجٌ . والأصل في هذه اللام أن تدخل على المبتدأ ، فلما دخلته « إنَّ » التي مؤكدان ، فبقيت فيه « إن » وزحلقت اللام الى الخبر ، ولذلك سميت المزحلقة .

ويشترط لدخولها عليه أن يكون الخبر مؤخراً ، ومثبتاً ، وغير ماضٍ . مثل : إنَّ ربي لسميع الدعاء . » (ابراهيم ٣٩) . « إن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة . » (النحل ١٢٤) « إنك لعلى خلقٍ عظيم . » (القلم ٤) (١)

وقد تدخل هذه اللام على اسم « إنَّ » إذا تأخر عن الخبر ، مثل : إنَّ من البيانِ لسحراً . « إن في ذلك لعبرةً . » (النازعات ٢٦) ، وتدخل على ضمير الفصل مثل : « إن هذا لهو القصص الحق .) (٢) (آل عمران ٦٢) .

---

(١) أجاز بعضهم دخول اللام على الخبر إذا كان ماضياً جامداً ، مثل : إن زيداً لنعم الرجل . وأجاز آخرون دخولها على الماضي المقرون بـ (قد) مثل : إن زيداً لقد قام .

(٢) أجاز بعض النحاة دخول اللام على اخبار بعض أخوات « إن » ، ولديهم شواهد قليلة ، منها قراءةُ سعيد بن جبير : « إلا أنهم ليأكلون الطعام . » (الفرقان ٢٠) والقراءة اليوم بكسر همزة « إن » ، ومنها قول الراجز أبي حزام العكلي :

ألم تكنْ حلفْتَ بالله العلي
أنَّ مطاياكَ لمن خيرِ المطي

وقول الشاعر : ولكنني من حبها لعميدُ

٥ — الكلام على « لا » النافية للجنس

١ — معناها :

إذا قلت : لا رجلَ في الدار . دلت « لا » على استغراقِ نفي جنس الرجال ، أي ليس في الدار احد يتصف بأنه رجل ، ولكن قد يوجد فيها أولاد ونساء و .. وإذا قلت : لا كتابَ على الطاولة . دلَّ ذلك على أنه لا يوجد شيءٌ من جنس الكتب على الطاولة ، وقد يكون عليها دفاتر أو اقلام .

« لا » إذاً تنفي الجنس ، وتفيد استغراق نفيه ، ولذلك لا يقال : لا كتابَ على الطاولة بل كتابان ، ولا رجلَ في الدار بل رجلان ، أو رجال كثيرون .

٢ ـ عملها وشروطه :

وهي محمولةٌ في العمل على « إنَّ » كما يحمل الضد على ضده ، فتنصب المبتدأ ، وترفع الخبر ، ولكن على وفق شروط خاصة ، هي :

آ ـ ان يكون اسمها وخبرها نكرتين ، مثل قول الفرزدق :

فلا قومَ شَرٌّ منهمُ غيرَ أنهم
تظنهمُ أمثالَ تُركٍ وكابلِ

وقد يكون خبرها في ظاهره مضافاً إلى معرفة ، ولكنه نكرة على الرغم من ذلك ، كأن يكون اسماً مغرقاً في التنكير ، فلا تكسبه الاضافة حينئذٍ تعريفاً ، كقول الفرزدق :

شآميةٌ غبراءُ لا غولَ غيرُها
إليها من الدنيا الغَرورِ انصرامُها

فقوله : غيرُها خبر « لا » ، وهو كما ترى مضاف إلى الضمير ، ومع ذلك لم يكتسب منه التعريف ، لأن « غير » اسم مغرقٌ في التنكير .

وكذلك قد يكون اسمها من هذا الضرب ، قال ذو الرمة :

هي الدارُ إذ ميٌّ لأهلك جيرةٌ
ليالِيَ لا أمثالهنَّ لياليا

فقوله : أمثالهن . اسم « لا » ، وهو نكرة على الرغم من إضافتـــه إلى الضمير ، لأن « مثل » وجمعها ، مغرقان في التنكير .

ب ـ أن يكون اسمها معرفة مؤولة بنكرة : وذلك أن يكون اسم علم ، لم يُرَد منه مسمى معين محدد ، بل يقصد منه كلُّ مَنْ يشبه المسمى به في الصفات ، وذلك كقول الرسول (ص) : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصرَ بعده . » فالعلمان : كسرى ، وقيصر ، الواردان بعد « لا » لا يعينان واحداً ، وانما أريد منهما الشيوع ، فكأنه قال : فلا ملكَ بعدهما يسمى قيصر أو كسرى .

وقد ورد اسم « لا » في بعض النصوص كالمعرفة في الظاهر ، من ذلك ما قاله الخليفة عمر (ر) : قضيةٌ ولا أبا حسنٍ لها . وقال ابو سفيان : « لا قريشَ بعد اليوم . وقيل : لا بصرةَ لكم . وقال الفرزدق :

لتمنعه قيسٌ ولا قيسَ عنده
إذا ما دعا أو يرتقي في السلالمِ

وقال عبدالله بن الزَّبير :

أرى الحاجات عند أبي خبيبٍ
نكِدْنَ ولا أميةَ في البلادِ

في هذه النصوص نجد الأعلام كأنها معارف ، لأنها توهم الإشارة إلى معيَّنٍ مُحدَّد ، إلا أن اسماء العلم في بعض الأحيان تخرج عن هذا الى الشيوع ، فإذا قلتَ : مررتُ بعدنانَ وعدنانٍ آخر ، فثاني العلمين هنا ليس معرفة، لأنك أردت : مررت بعدنان وبرجلٍ يشبهه . وكذلك في النصوص السابقة، فقول عمر السابق لا يعني أنه يريد الإمام علياً نفسه ، ولكنه نفى أن يكون لهذه القضية رجل يقدر على حلها ، وإن كانت له صفات علي ، فكأنه قال : قضية لا يحلها علي ولا غيره من المتفقهين الأفذاذ . وكذلك يمكن أن يؤول قول أبي سفيان : لا مثلَ قريش بعد اليوم . وهكذا الأمثلة الاخرى .

ج - والشرط الثالث لعمل « لا » ألا يفصل بينها وبين اسمها بفاصل ، فهناك أحرف تلازم ما تعمل فيه ، ولا تنفصل عنه ، منها « لا » النافية للجنس ، و « من » الزائدة ، و « رُبَّ » ، وهي جميعاً تلازم النكرات ، فلا يقال : لا فيها رجلَ . ولا : ما من فيها رجلٍ ، ولا : رب فيها رجلٍ . وإذا فصل بين « لا » واسمها رفع على الابتداء ، وكررتْ في الجملة بعد العطف ، كقول تعالى : « لا فيها غَوْلٌ ولا هم عنها يُنْزَفون . » (الصافات ٤٧) .

- وآخر هذه الشروط ألا يدخلَ عليها حرف الجر ، فاذا دخل أبطل عملها ، وجر اسمها الذي كان مبنياً على الفتح ، أو منصوباً ، كما في قول ابن ميادة :

وارتَشْنَ حين أردْنَ أن يرميننا
نبلاً بلا ريشٍ ولا بقِداحِ (١)

---

(١) ارتاش السهم : ركب عليه الريش . ويقصد بالنبل أعينهن .

فالأصل : نبلاً لا ريشَ لها . فلما دخلت الباء بطل عمل « لا » وبقي العمل للباء . وكذلك تقول : غضب فلانٌ من لا شيءٍ .

هـ ـ إذا تكررت « لا » جاز إعمالها وإهمالها ، وجاز إعمالُ الأولى وإهمالُ الثانية ، والعكس ، قال مجنون ليلى :

أظنُّ هواها تاركي بِمَضَلَّةٍ
من الأرضِ لا مالٌ لديَّ ولا أهْلُ

فقد أُهمِلَ « لا » فرُفِع ما بعدها على الابتداء . وقال أنس بن العباس ابن مرداس :

لا نسبَ اليومَ ولا خُلةً
إتسعَ الخرْقُ على الراقع

فقد أعمل الأولى وأهمل الثانية ، و « خلةً » معطوف على اسم « لا » ، فانتصب بالعطف عليه ، لأن محله النصب . وقال همام بن مرة :

هذا لعَمْرُكم الصَّغارُ بعينِه
لا أمَّ لي إن كان ذاك ولا أبُ

أعمل الأولى واهمل الثانية كذلك ، وأبُ : مرفوع لأنه مبتدأ ، وخبره مضمر وجوباً لأنه كون عام ، والتقدير : ولا أبٌ كائنٌ لي (١) . وقال أمية بن أبي الصلت :

فلا لغوٌ ولا تأثيمَ فيها
ولا حَيْنٌ ، ولا فيها مُليمُ

---

(١) وذلك أن تعرب « أب » اسماً معطوفاً على محل « لا » واسمها : ومحلهما الرفع على الابتداء كما مرَّ من قبل .

أهمل الأولى وأعمل الثانية ، وعلى هذا يكون « لغو » مبتدأ خبره محذوف يدل عليه خبر « الثانية ».

٣ - أحوال اسمها وخبرها :

- إعراب اسمها وبناؤه : يكون اسمها معرباً منصوباً إذا كان مضافاً أو شبيهاً بالمضاف ، مثل : لا غلامَ رجلٍ حاضرٌ . ويكون مبنياً على ما تكون علامة النصب فيه اذا كان غير مضاف أو شبيهٍ بالمضاف ، تأمل هذه العبارة : لا كتابَ على الطاولة . تجدْ كلمة : كتاب ، مبنية على الفتح، لأنها اسم معرب علامة النصب فيه الفتحة . وانظر إلى ما قال جرير :

بأي بلاء يا نُمَيرُ بنَ عامرٍ
وأنتم ذُنابى ، لا يَدَيْنِ ولا صَدْرُ

فقد بنيت فيه الكلمة « يدين » على الياء ، لأنها مثنى ، علامة النصب فيها الياء . وانظر ايضاً الى قولِ الشاعر :

يُحْشَرُ النـاس لا بنينَ ولا آ
باءَ إلا وقد عَنَتْهمْ شؤونُ

فقوله : بنين ، ملحق بجمع المذكر السالم ، وعلامة النصب فيه الياء ، ولذلك تراه هنا مبنياً عليها بعد « لا ».

أما جمع المؤنث السالم فعلامة النصب فيه كسرة تنوب عن الفتحة ، فإذا وقع اسماً لِـ « لا » النافية للجنس ، كان لك فيه وجهان : أولهما ان تبنيه على الكسر ، والثاني أن تبنيه على الفتح . وقد سُمع بيتٌ للشاعرِ سلامة ابن جندلٍ بالوجهين كليهما ، وهو قوله :

أودى الشبابُ الذي مجدٌ عواقبُهُ
فيهِ نَلَذُّ ، ولا لذّاتِ للشيبِ (١)

ـ **تابع اسمها** : إذا نعت اسمها المبني أو عطف عليه جاز في التابع النصب على اللفظ ، والرفع على محل « لا » واسمها ، لأن محلهما الرفع على الابتداء ، نحو : لا رجلَ في الدارِ وامرأةً ، ولا رجلَ سفيهاً عندنا ، أو لا رجلَ في الدارِ وامرأةٌ ، ولا رجلَ سفيهٌ عندنا ، وعلى الوجه الأول قول الشاعر :

فلا أبَ وابناً مثلَ مروانَ وابنِهِ
إذا هو بالمجدِ ارتدى وتأزّرا

ويجوز فيه وجه ثالث وهو البناء على الفتح اذا كان متصلاً به غير منفصلٍ عنه بفاصل ، نحو : لا رجلَ سفيهَ عندنا .

أما إذا كان معرباً فليس فيه الا الوجهان : الأول والثاني ، نحو : لا طالبَ علمٍ كسولاً عندنا . ويجوز : كسولٌ . ولا طالباً علماً كسولاً أو كسولٌ عندنا .

على أن نصب النعت بعد اسمها المعرب أقوى ، وأصح قياساً .

ـ **حذف خبرها** : وكثيراً ما يحذف خبرها اذا دل عليه دليل ، وقد مر بنا هذا قبل قليل ، أما اذا لم يدل عليه دليل فلا بد من ذكره ،

---

(١) يرى المبرد أن المثنى والجمع السالم لا يبنيان مع « لا » ، بل هما معربان ، لأنهما لا يكونان مع ما قبلهما اسماً واحداً . وهناك من يرى أن اسم « لا » معرب ، مفرداً كان أو غير مفرد . انظر المقتضب ٤/٣٦٦ ، وابن يعيش ٢/١٠٦ .

كالحديث : لا أحدَ أغيرُ من الله ، والحديث : لا فقرَ أشدُّ من الجهل، ولا مالَ أعزُّ من العقل ، ولا وحشةَ أشدُّ من العجب .

ـ **حذف اسمها** : أما اسمها فحذفه نادر ، كقولهم ، لا عليك . أي : لا بأسَ عليك .

ملاحظة :

من مشكلات تراكيبها قولهم : لا أبالك ، ولا أخا لك ، كقول الشاعر:

وتترك أخرى فردةً لا أخالها

فقد جرى هذا في كلامهم مجرى المثل لكثرته ، ولم يتفق النحاة على رأي في تعليل هذا التركيب ، فقال بعضهم :

١ ـ أبَ : اسم (لا) مبني على الفتح في محل نصب ، والألف بعدها زائدة لاشباع الحركة . ولك : معلقان بخبر محذوف ، وهو ارجح الآراء .

٢ ـ وقال آخرون : أبا : اسم « لا » منصوب معرب ، وعلامة نصبه الألف لأنه من الأسماء الخمسة . واللام في (لك) زائدة . والكاف ، مضاف اليه . واستدل هذا الفريق بقول العرب أحياناً : لا أباك ، كقول أبي حية النميري :

أبالموت الذي لا بُدَّ أني
ملاقٍ لا أباكِ تخوفيني

٣ ـ وذهب فريق ثالث الى أن (أبا) اسم (لا) مبني على فتح مقدر على الألف ، وعومل هنا معاملة الاسم المقصور ، وهو لهجة بعض القبائل ، وعليه قول الشاعر:

إن أباها وأبا أباها
قد بلغا في المجد غايتاها

ولك : معلقان بالخبر :

شواهد للتدريب

١ ـ قال النمر بن تولب :

وأعلمُ أنْ ستدركني المنايا فإلاّ أتْبَعْها تتبعني

٢ ـ قال الأبيرِد يرثي أخاه بُرَيْداً :

كأنْ لم يصاحِبْنا بُرَيْدٌ بغبطةٍ
ولم تأتنا يوماً بأخبارِه البُشْرُ

٣ ـ قال عروة بن حزام :

ويا ليت أنا الدهرَ في غيرِ ريبةٍ
خليّانِ نَرْعى القَفْرَ مُؤْتَلِفانِ

٤ ـ وقال :

فيا ليت محيانا جميعاً وليتنا
إذا نحن متنا ضمنا كفنانِ

٥ ـ قال عمر بن أبي ربيعة :

وفي الصبر عمن لا يؤاتيك راحةٌ
ولكنه لا صَبْرَ عندي ولا لُبُّ

الاسم المنصوب

المفعول المطلق

هو مصدر منصوب ، يعمل فيه فعل أو شبهه ، على أن يذكر معه ويكون من لفظه ، مثل : سمعت الخبر سماعاً صحيحاً ، وجاء أخوك راكضاً ركضاً مرهقاً ، وجاؤوا به محمولاً على الأيدي حملاً ، وإن الاعجاب بالنفس إعجاباً زائداً يمنع الانسان من رؤية عيوبه .

ففي المثال الأول نُصِب المفعول المطلق « سماعاً » بالفعل « سمع » ، وفي الثاني نصب باسم الفاعل « راكضاً » ، وفي الثالث باسم المفعول « محمولاً »، وفي الرابع بالمصدر « الاعجاب » .

على أنه قد يكون غير مصدر صريح للعامل فيه ، فهناك ألفاظ تنوب مناب المصدر - كما سترى - وتنصب على أنها مفعولات مطلقة .

ويتنوع المفعول المطلق ، فيكون نكرة كالأمثلة الأربعة المتقدمة ، ويكون معرفاً بـ « أل » نحو : « فيعذبه الله العذابَ الأكبر . » (الغاشية ٢٤) ، ويكون معرفاً بالاضافة كقوله تعالى : « وقد مكروا مكرَهم ، وعند الله مكرُهم » (ابراهيم ٤٦) وقوله : « ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيَها ... » (الاسراء ١٩) .

١ — أغراضه

ويستعمل المفعول المطلق لمعنى يؤديه في سياق الكلام ، ولا يخرج هذا المعنى عن أحد ثلاثة أغراض ، هي :

آ — بيان النوع :

ويعني هذا أن يكون المصدر مختصاً بالوصف ، كقولك : عمل أخوك عملاً جيداً . فالصفة « جيداً » خصصت المصدر « عملاً » ، وجعلته يؤدي المعنى المطلوب ، وهو بيان نوع الفعل الذي نصبه .

وقد يكون مضافاً نحو : مشى أخوك مَشْيَ الأميرِ . ويرجع هذا في أصله الى الموصوف ، لأن تقديره : مشى أخوك مشياً مثلَ مشي الأميرِ . ومن هذا النوع قولهم : رجع القهقرى ، وقعد القُرْفصاءَ ، ونجح في عمله أيَّ نَجاحٍ . فالقهقرى ، والقرفصاء ، وأي : ليست مصادر ، ولكنها نابت عن المصدر ، فصار كل منها مفعولاً مطلقاً لبيان النوع .

ب ـ بيان العدد :

وهذا مصدر مختص أيضاً ، إلا أن وظيفته هنا أن يبيّن عدد الفعل ، كقولك : ضربتُه ضربتين ، فالمصدر « ضربتين » مفعول مطلق بين عدد وقوع فعل الضرب . ومن ذلك قولك : زرتك مرةً ، وجئت الى بيتك ثلاثاً . فـ « مرة ، وثلاثاً » نابا مناب المصدر ، فكان كل منهما مفعولاً مطلقاً لبيان العدد .

جـ ـ توكيد حصول الفعل :

وأحياناً يخلو المصدر من معنى خاص يؤديه ، فيكون مبهماً لا يعني

غير توكيد وقوع الفعل مثل : ضحك أخوك ضحكاً ، وكقوله تعالى : « ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً . » (نوح ١٨) فالمصدران : ضحكاً ، وإخراجاً ، لم يبينا نوعاً ولا عدداً ، بل أكدا حدوث الفعل ليس غيرُ ، وهذا الضرب من المصادر لا يثنى ولا يجمع .

٢ — ما ينوب عن المصدر

الأصل في المفعول المطلق أن يكون مصدراً من لفظ العامل فيه ، إلاّ أن هناك حالاتٍ لا يكون فيها مصدراً ، وينوب عنه فيها ما يلي :

١ — اسم المصدر : وهو ما دلّ على معنى المصدر الأصيل ، وكان أقلَّ احرفاً منه مثل : سلَّمتَ سلاماً . فـ « سلاماً » ليس مصدراً للفعل « سلَّم » لأن مصدره « تسليم » ومثل : أرضيته رضاً . إذ ناب « رضاً » وهو اسم مصدر ، عن « إرضاء » وهو المصدر الأصيل للفعل « أرضى » . ومنه قوله تعالى : « واللهُ أنبتكُمْ من الأرض نباتاً . » (نوح ١٧) ، فقد حلّ فيه اسمُ المصدر « نباتاً » محلّ المصدر « إنباتاً » ، ومنه أيضاً قول شقران مولى سلامان يمدح قومه :

ثِقالُ الجِفانِ والحلومِ ، رحاهمُ
رحى الماءِ يكتالون كيلاً غَذَمْذَما

أي يكتالون اكتيالاً كثيراً بلا حساب .

٢ — مرادفه أو مقاربه : وذلك كقولك : ضحكت ابتساماً . فالابتسامُ مرادفٌ للضحك ، وقد حلّ محلّ المصدر « ضحكاً » ، ومنه : إني لأكرهه بغضاً ، وكقوله تعالى : « « فمهلّ الكافرين أمهلهم رويداً . » (الطارق ١٧) . أما قولك : قعدتُ جلوساً ، فالجلوس فيه مقاربٌ للقعود

لا مرادف له ، لأن القعود يكون من قيام ، أما الجلوس فيكون من اتكاء ، ومن المقارب للمصدر قول الراجز :

يعجبـــه السُّخونُ والبَرودُ
والتمْرُ حبّاً ما له مَزيـــدُ

٣ — ملاقيه في الاشتقاق : وهذا يختلف عن اسم المصدر ، لأنه قد يكون أكثر احرفاً من المصدر الأصيل ، فالفعل « تبتَّلَ » مصدره « تبتُّل » ، ولذلك كان « تبتيلاً » في قوله تعالى : « وتبتَّلْ إليه تبتيلاً .» (المزمل ٨) ملاقياً المصدر بالاشتقاق . ومثله قول امرىء القيس :

فصِرنا إلى الحسنى ورقَّ كلامُنا
ورُضْتُ فذلتْ صعبةً أيَّ إذلالِ

فقد ناب « إذلال » مناب « ذُل » (١) .

٤ — صفته : مثل أكلتُ كثيراً ، والأصل أكلتُ أكلاً كثيراً ، فلمَّا حذف المصدر نابت عنه صفته ، ومن هذا قولُ ذي الرمة :

تبسَّمَ إيمـاضَ الغمامةِ ، جَنَّهـا
رواقٌ من الظلماءِ في منطقٍ نَزْرِ

والأصل : تبسَّمَ تبسُّماً مثل إيماضِ الغمامة . فحذف المصدر «تبسُّماً» ، فصارت صفته مفعولاً مطلقاً نيابـةً عنه ، وصار الـكلام : تبسَّمَ مثلَ إيماضِ الغمامة ، ثم حذف المضاف « مثلَ » وحلَّ محلَّه المضافُ اليه ، وهـذا كثيرٌ في العربية ، كقولك : اسألِ الجامعةَ . أي طلابَ الجامعةِ ،

---

(١) يري بعض النحاة أنّ « تبتيـلاً » وأشباهه منصوب بفعل محـذوف من لفظه .

وسيمرُّ بك هذا في بحث المضاف اليه .

٥ — كلّ ، وبعض ، وأي ، وحقّ : إذا أضيفت إلى مصدر الفعل المذكور أو شبهه ، كقول المجنون :

وقَدْ يجمعُ اللهُ الشتيتينِ بعدما
يَظُنَّانِ كل الظنّ أن لا تلاقيا

وكبيت امرىء القيس السابق ... أيّ إذلالٍ . وكقوله تعالى : « والذين آتيناهم الكتابَ يتلونَهُ حقّ تلاوته . » (البقرة ١٢١) .

٦ — نوعه : كقولك : رجعَ القهقرى ، وقعدَ القرفصاءَ ، فالقهقرى، ليست مصدر الفعل رجع ، ولكنها نابت عنه ، وبيّنت نوعه ، وكذلك القرفصاءَ ، ومثل ذلك كلمة « الهوينى » في قول الأعشى :

غرّاءُ فرعاءُ مصقولٌ عوارضُها
تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوحِلُ

٧ — عدده : مثل : « إنْ تستغفرْ لهم سبعينَ مرّةً فلن يُغْفَرَ لهم . » (التوبة ٨٠) . وجئت إلى بيتك ثلاثاً .

٨ — آلته : وهي التي يستعان بها على الحدث ، كقولك : رميتُهُ سهماً ، وضربته سوطاً ، وأصله : رميته رمياً بالسهمِ ، وضربته ضرباً بالسوط .

٩ — ضميرُه : وذلك أنْ يعودَ الضمير إلى مصدرٍ أو اسم مصدرٍ متقدم عليه ، قدْ يكون مفعولاً مطلقاً في إعرابه ، كقوله تعالى : « فمن يكفرْ بعدُ منكم ، فإني اعذّبُه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين . » (المائدة ١١٥) فالضمير في « لا أعذبه » يعود إلى اسم المصدر « عذاباً » .

وهو من حيث الموقعُ الإعرابيُّ مفعولٌ مطلق ، ولكن انظر إلى قول مجنون ليلى :

وكم قائلٍ قد قالَ تُبْ ، فعصيتُهُ
وتلك لعَمري توبةٌ لا أتوبها

فالضمير في « لا أتوبها » يعود إلى « توبةٌ » ، وهي مصدرٌ وقع خبراً لاسم الإشارة ، ومع هذا يعربُ الضميرُ « ها » مفعولاً مطلقاً ، وكأنه قال : لا أتوبُ توبةً مثلها .

١٠ — الإشارة إليه : مثل : أترفضُ هذا الرفضَ ؟ ، وتأبى ذاكَ الإباءَ ؟ . فاسما الإشارة « هذا » و « ذاك » يشيران إلى مصدرين بعدهما ، والأصل : أترفضُ الرفضَ هذا ؟ وتأبى الإباءَ ذاك ؟

١١ — بعض أسماءِ الشرطِ والاستفهام : فمن أسماء الشرط : ما ، مهما ، أي ، ومِنْ أسماءِ الاستفهام : ما ، أي . وذلك إذا دلَّت هذه الأسماء على حدث ، مثل : أيَّ عملٍ تعملْ تربحْ . ما تعملْ تربحْ . مهما تعملْ تربحْ . « ما » و « مهما » هنا معناهما كمعنى « أي » . وتقول مستفهماً : أيَّ ضربٍ ضربتَهُ ؟ أو ما ضربتَهُ ؟ وكلاهما بمعنىً واحد .

٣ — حذف عامله

النحاة متفقون على أنه يجوز حذف عامل المفعول المطلق غير المؤكد إذا دلَّ عليه دليلٌ ، فاذا قيل لك : أما نمتَ ؟ تقول : بلى ، نوماً هادئاً . أي : نمت نوماً هادئاً . كما تقول للقادم من الحج : حجاً مبروراً . أي حججت حجاً مبروراً .

ولكنهم مختلفون في جواز حذف عامله حين يكون مؤكداً ، فالذين منعوا الحذف قالوا : لا يجوز حذفه لأن المفعول المطلق انما ذكر لتوكيده وتقرير معناه ، والحذف لا يجتمع مع التوكيد ، وهذه حجة ذهنية لا لغوية، فقد جاء المجيزون بأمثلة مسموعة مثل : إنما انت سيراً ، وأنت رحيلاً رحيلاً ، وسقياً ورعياً .

على أن هناك مواضع يجب فيها حذف العامل ، وذلك كما يلي :

١ ـ في الطلب :

إذا ناب المصدر عن فعله ، وكان إنشائياً طلبياً وجب حذف عامله، كأن يكون الأمر ، مثل : صبراً على الشدائد . وإقداماً في سبيل النجاح . أي : اصبر على الشدائد . وأقدم في سبيل النجاح . أو ان يكون نهياً كقولك : لا توانياً ولا تقاعساً . أو دعاءً مثل : سَقْياً لك .

ومن انواع الانشاء الطلبي الاستفهام ، ويشترط فيه هنا أن يدل على توبيخ أو تعجب أو توجع . مثال الأول : أكسلاً وقد جَدَّ الناس ؟ ومثال الثاني : أبُؤساً وضعفَ جسد . ومثال الثالث قول سحيم عبد بني الحسحاس :

أشوقا ولما يمضِ لي غيرُ ليلةٍ
فكيف إذا خبَّ المطيُّ بنا عَشْرا ؟

٢ ـ في المصادر السماعية :

وهناك مصادر كثيرة سمعت من العرب ، ولم تُسمع أفعالها التي عملت فيها ، وهي كثيرة : مثل : معاذَ الله ، سبحانَ الله ، لبيك ، سعديك ، حنانيك ، دواليك ، وسُمع منهم مثل هذه العبارات : سمعاً وطاعةً ، أفعله

وكرامةً ومسرةً ، لا أفعلُهُ ولا كيداً ولا هما . أي : لا أفعله ولا أكاد أفعله ، ولا أهم بفعله . وسمع : اغتديتُ ولا اغتداءَ الغراب ، واهتديتُ ولا اهتداءَ القطا . وإنما حذف الفعل هنا ـ أي في المعطوفات ـ لدلالة الحال على الفعل المقدر ، وإغنائها عنه .

٣ ـ في التفصيل :

وإذا جاء المصدر مفصلاً لمجمل قبله حذف مصدره وجوبا ، كقوله تعالى : « ... فشدوا الوثاقَ فاما مناً بَعْدُ وإما فداء . » (محمـــد ٤) . فقوله : مَنّاً . تفصيل لقوله : شدوا الوثاق .

٤ ـ في توكيد مضمون جملة :

من مصادر التوكيد قولهم : حقاً ، عرفاً ، البتّةَ . مثل : هـذا عمل عظيمٌ حقاً . وكقوله تعالى : « ذلك عيسى بن مريمَ قولَ الحقِّ . » (مريم ٣٤) . ومثل : لا أراهُ البتّةَ ولا ألتقي به .

وتستعمل هذه المصادر لتأكيد مدلول الجملة إذا كان المتكلم يشك في تصديق المخاطب ، أو كان يعرف أن المخاطب ينكر عليه ما يقول ، فيزيل شكه أو إنـكاره بالمصدر المؤكد .

٥ ـ إذا كان المصدر مكرراً ، أو محصوراً ، أو مستفهماً عنه ، وعامله خبر عن اسم عين : مثل : أنت سيراً سيراً . ما أنت إلا سيراً . إنما أنت سيراً . أأنت سيراً .

وإنما نصبت هذه المصادر لأنها لا تصلح أن تكون أخباراً لما قبلها ، الا على سبيل المجاز ، فلا يقال على وجه الحقيقة : انت سيرٌ سيرٌ ، أو ما

أنت إلا سيرٌ. لأن المخاطب ليس «السير» نفسه، بل هو صاحبه. ولكن اذا أريدت المبالغة في الاخبار قيل: أنت سيرٌ، كقول الخنساء:

ترتع ما رتعت حتى إذا ادّكرتْ
فإنما هي إقبالٌ وإدبارُ

٦ - إذا كان المصدر فعلاً علاجياً تشبيهياً بعد جملة مشتملة عليه وعلى صاحبه:

وهذه تحتاج الى شرح وتوضيح لغموضها في كتب النحو:

معنى: فعل علاجي. أن يكون الحدَثُ عملاً حسياً ظاهراً، وأن يكون طارئاً غيرَ ثابت، كالضرب، والصياح، والشتم، الخ.. ويقابله المعنوي الذي ليس بعمل ظاهر.

والمثل الذي يدور في كتب النحو على هذه الظاهرة هو: مررتُ به فاذا له بكاءٌ بكاءَ ثكلى. فالمصدر العلاجي: بكاءَ، وهو تشبيهي لأنه اضيف الى الثكلى، والجملة التي سبقته هي: له بكاءٌ، وقد اشتملت على لفظ المصدر ومعناه، كما اشتملت على صاحبه، أي على الذي أوقع الحدث، وهو الضمير المستتر في المصدر الذي وقع مبتدأ: بكاءٌ، وهو يعود الى ضمير الغائب في قوله: له. وتقدير الجملة: مررت به فاذا هو يبكي بكاءَ ثكلى.

فاذا قلت: بكاؤه بكاءُ ثكلى. لا تنصب المصدرَ على أنه مفعول مطلق، لأنه يفتقر الى جملة تسبقه وتشتمل على لفظه ومعناه. واذا قلت: في الدار بكاءٌ بكاءُ ثكلى. لا تنصبه أيضاً، لأن الجملة التي قبله لا تشتمل على صاحبه، اذ لا يُعرف مَن الباكي. وإذا قلت: ألممتُ به فاذا له ذكاءٌ

ذكاءُ الفلاسفة. فانك لا تنصب « ذكاء » على أنه مفعول مطلق، لأنه معنوي لا علاجي.

وهذا التركيب عربي فصيح، قال النابغة الذبياني:

مقذوفةٍ بدَخيس النحض بازِلُها
له صريفٌ صريفَ القَعْو بالمَسَدِ (١)

ومن الطبيعي أن يحذف عامل المفعول المطلق في مثل هذا التركيب، لأن الجملة التي سبقته تدل عليه دلالة كاملة، فهي تغني عنه، وتوجب حذفه، لأنها بمعناه (٢).

شواهد التدريب

١ ـ « قال: اذهب، فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاءً موفوراً. » (الإسراء ٦٢)

٢ ـ قال شقيق بن جَزْء:

---

(١) يصف ناقة. النحض: اللحم. ودخيسه: ما تداخل منه وتراكب. والبازل: سن تخرج في العام التاسع من عمر الناقة. والصريف: صوت أنيابها إذا حكت بعضها ببعض، نشاطاً أو اعياء. والقَعْو: ما تدور فيه البكرة اذا كان من خشب. والمسد: حبل من ليف أو جلد. وصفها بالقوة والنشاط، حتى كأنها قذفت باللحم قذفاً لتراكمه عليها.

(٢) ويجوز فيما تمت شروط نصبه الرفع على البدل.

بما لم تشكروا المعروف عندي
ولو شئنا تعاودْنا عوادا

٣ ـ قال جرير :

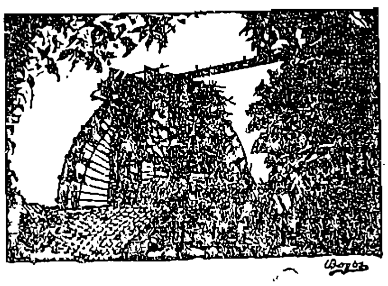
أعبداً حلَّ في شُعَبى غريباً
ألؤماً لا أبالك واغترابا

٤ ـ قال سحيم عبد بني الحسحاس :

إذا شق برد شق بالبرد برقع
دواليكَ حتى كلُّنا غيرُ لابسِ

٥ ـ قال كثير عزة :

لقد أكثر الواشونَ فينا وفيكمُ
ومالَ بنا الواشون كل مَميلِ



المفعول به

هو اسم يدل على ما يقع عليه الحدث، مثل: أكل سمير تفاحةً، وأغلق الرجلُ عينيه، وقد يكون اسماً ظاهراً كالتفاحة، والعينين، في المثالين السابقين، وقد يكون ضميراً متصلاً، مثل: هذا هو الطفلُ الذي أحببتُه. أو يكون ضميراً منفصلاً مثل: إياك نعبدُ. أو مصدراً مؤولاً كقولك: أحببتُ أن اراك، وأردتُ أن تنجح، أي: أحببت رؤيتك، وأردتُ نجاحك. وقد يكون جملةً فعلية أو اسمية، مثل: قال الحكماء: ليس كل ما يلمع ذهباً. وقال علي: إن اخاك قادم. وظننتُ سميراً يحضُرُ.

١ — إعرابه

آ ـ يعمل في المفعول به الفعل وبعض ما يشبهه، كاسم الفعل، واسم الفاعل، والمصدر. والأمثلة المتقدمة كلها تبين عمل الفعل فيه، أما ما عمِلَ فيه اسم الفعل فكقولك: دونك الكتابَ، وكقول كعب بن مالك:

بَلْهَ الأكفَّ كأنها لم تُخلقِ

في أحد توجيهاته:

أما عمل اسم الفاعل ومبالغاته فيه فله أمثلة كثيرة من فصيح كلام العرب: شعره ونثره، مرت بك في بحث خاص، من ذلك قول القطامي:

الضاربونَ عميراً عن ديارِهمُ

بالتّلِّ يومَ عميرٌ ظالمٌ عادي

وكذلك المصدر في كثرته وشيوعه في الفصيح ، كقول الحارث ابن خالد المخزومي :

أظلومُ إن مصابكم رجلاً

أهدى السلامَ تحيةً ظُلْمُ

ب - والمفعول به منصوب في الأصل ، إلا أنه قد يجر بحرف جر زائد ، كقولك : ما رأيت من أحدٍ ، ولا تضرب من احدٍ ، وهل رأيت من احدٍ . وسمعتُ بالنبأ ، وعلمتُ بالخبرِ ، وكقول عروة بن حزام :

فما تركا من رُقْيةٍ يعلمانها

ولا سلوةٍ إلا وقد سقياني

أي : ما تركا رقيةً ولا سلوةً .

٢ — تعدده

آ - بعض الأفعال ينصب مفعولاً واحداً ، كما في الأمثلة المتقدمة .

ب - وبعضها ينصب مفعولين ، وهذا ضربان :

- ضرب يكون مفعولاه في الأصل مبتدأ وخبراً ، وهي أفعال القلوب ، وأفعال التصيير ، مثل : ظننت أخاك كريماً ، وعلمت (١) النبأ

(١) قد يأتي الفعل « علم » بمعنى « عرف » ، وحينئذٍ يتعدى إلى مفعول به واحد ، كقوله تعالى : « وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم . » (الأنفال ٦٢) أي : لا تعرفونهم ، الله يعرفهم .

مرهقاً ، ونحو قول خداش بن زهير :

رأيت (١) اللهَ أكبر كل شيءٍ
محاولةً وأكثرهم جنودا

وكقولك : جعلت الورقة سوداء ، فاذا حذفت الأفعال من هذه الأمثلة صار المفعولان مبتدأ وخبراً : أخوك كريم ، النبأ مرهق ، الله اكبر كل شيء ، الورقة سوداء .

ـ وضرب آخر ينصب مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر كقولك : أعطيتُ المحتاجَ مالاً ، وكسوتُ الفقير ثوباً .

ج ـ ومن الأفعال ما ينصب مفعولات ثلاثةً ، مثل : أنبأ ، وأعلم ، وأرى .... مثل : أعلمتُ أخاك زيداً فاضلاً ، أي صيرته يعلم زيداً فاضلاً . ومثل : « كذلك يريهم الله أعمالَهم حسراتٍ عليهم » (البقرة ١٦٧)

د ـ ويجوز تنوع المفعولات المتعددة ، وذلك أن يكون احدها جملة ، والآخر مفرداً ، مثل : ظننتك تحب أخاك . فالمفعول الأول هو الضمير ، والثاني جملة « تحب أخاك » .

---

(١) يستعمل الفعل (رأى) على ثلاثة أوجه :

آ ـ رأى : البصرية ، مثل : رأيت أخاك يلعب .

ب ـ رأى : القلبية ، وهي التي تكون بمعنى « علم » او « زعم » كما في بيت خداش ولها مفعولان .

ج ـ رأى : بمعنى « اعتقد » ، وهي مشتقة من الرأي ، كقولك : فلان يرى رأي الخوارج . وهذه تنصب مفعولاً واحداً .

هـ ـ قد يأتي المفعولان مغنيـاً عنهما مصدر مؤول مثل : ظننتُ أنك مسافر .

٣ ـ موقعه في الجملة

يقع المفعول به بعد الفاعل في الجملة ، ولكن يجوز تقديمه عليه وعلى فعله مثل : كسر الولدُ الزجاجَ ، وكسر الزجاجَ الولدُ ، والزجاجَ كسر الولدُ . وهناك حالات يجب فيها تقديمه على فعله وفاعله ، وحالات أخر يجب فيها تقديمه على الفاعل وحده ، وفي مواضع غيرها يجب تأخيره عنه ، وذلك على الشكل الآتي :

آ ـ وجوب تقديمه على الفعل والفاعل :

يجب تقديمه على فعله إذا كان :

ـ من أسماء الصدارة ، كأسماء الاستفهام ، واسماء الشرط ، و « كم » الخبرية ، مثل : مَنْ رأيتَ ؟ وماذا فعلتَ ؟ وما تأكلْ يفدْكَ . وكم قتيلٍ قتلْنا من العدو في المعركة !!

ـ أو كان معمولاً لجواب « أما » ، ولا يفصل بينها وبين الجواب فاصل غيره كقوله تعالى : فأما اليتيمَ فلا تَقْهر . وكقولك : اما اخاك فأكرم ، ومثله قول كثير عزة :

فما أنصفتْ أما النساءَ فبغّضتْ
إليَّ ، وأما بالنوال فضنَّتِ

ب ـ وجوب تقديمه على الفاعل وتأخيره عنه :

مر ذلك في بحث الفاعل ، فلا حاجة بنا إلى اعادته هنا .

ج ـ تقديم المفعولات بعضها على بعض :

رأينا قبل قليل أن المفعولين إما ان يكون اصلهما مبتدأ وخبراً ، وإما ألا يكونا كذلك ، وفي اصل الجملة العربية يتقدم المفعول الذي أصله المبتدأ على الذي اصله الخبر ، مثل : ظننتُ خالداً ذا مالٍ . وعلمتُ الدرس سهلاً .

وإذا لم يكونا في الأصل مبتدأ وخبراً قُدم المفعول الذي يكون في المعنى فاعلاً ، مثل : كسوتُ الفقيرَ ثوباً ، وأعطيتُ المحتاج مالاً . فالفقير والمحتاج فاعلان في المعنى ، لأن الأول اكتسى الثوب ، ولأن الثاني أخذ المال .

هذا هو الأصل ، ومن الجائز تقديم أحدهما على الآخر ، كأن تقول : ظننت كريماً أخاك . وكسوتُ ثوباً الفقيرَ . إلا إذا :

ـ كان احدهما ضميراً والآخر اسماً ظاهراً ، مثل : ظننتُه اخاك . فيجب تقديم الضمير على الاسم الظاهر .

ـ أو كان احدهما يحمل ضميراً يعود إلى الآخر ، فيجب تقديمه لئلا يعود الضمير الى متأخر ، مثل : منحتُ الجائزةَ صاحبها .

ـ أو إذا حدث لَبْس فيهما ، فاذا قلت : ظننتُ الأميرَ أباك . وجب تقديم « الأمير » لأنه هو المظنون ، أما إذا كان الأب هو المظنون فالوجه أن تقول : ظننتُ أباك الأميرَ .

ـ أو إذا حصر الفعل في أحدهما ، وحينئذٍ يجب تقديم الآخر مثل : ما ظننتُ الأميرَ إلا أباك . ما أعطيت المالَ إلا خالداً .

٤ — حذف من الكلام

كثيراً ما يحذف المفعول به لفظاً ، ويبقى في النية والتقدير ، وذلك إذا دل عليه دليل ، مثل : ما رأيتُ شيئاً ولا سمعت . أي ولا سمعت شيئاً. وكقوله تعالى : ما ودعك ربك وما قلى . أي : وما قلاك .

ويحذف ايضاً بلا تقدير إذا لم يكن لذكره غرضٌ معنوي ، فاذا سألكَ طالب عن علاجٍ يقوي به اسلوبه التعبيري ، وقلت له : يجب ان تقرأ وتطالع بكثرة . فأنت لم تذكر المفعول به ، لأن ذكره غير مهم ، ولا يؤدي معنى مطلوباً ، لأنك تريد منه ان يكثر من القراءة والمطالعة ، مهما كان الكتاب المقروء ، وبهذا نزل الفعل المتعدي منزلة الفعل اللازم . وانظر إلى قوله تعالى : « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (الزمر ٩) ففيه حُذِف المفعول به للفعل « يعلمون » المكرر ، — وقد جاء بمعنى يعرفون — وعلة حذفه أنه لا يؤدي معنى ذا شأن ، لأن المعنى في الآية : هل يتساوى ذوو المعرفة وذوو الجهل .

وفي حذف المفعول به مبالغة معنوية ، لأنها تحمل الذهن على الاستيحاء ، ويصير الفعل المتعدي غير محصور في مفعول محدد ، مما يتيح التخيل ، ويثير في النفس معاني كثيرة ، وهذا واضح جلي في قوله تعالى : « والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون . » (البقرة ٢٤٥) ، وقوله : « والله يعلم وانتم لا تعلمون » (النور ١٩) .

والفعل المتعدي إلى مفعولين ، كالمتعدي إلى واحد في هذا ، اذ يجوز أن يحذف المفعول الثاني ، او المفعول الأول ، إذا دل عليه دليل ، كقول عنترة :

ولقد نَزَلْتِ فلا تظني غيرَهُ
مني بمنزلةِ المُحبِّ المُكْرَمِ

أي : فلا تظني غيرَهُ حاصلاً .

٥ ـ الإلغاء والتعليق

هناك مصطلحان في الدرس النحوي ، أولهما الإلغاء ، والثاني التعليق . ففي بعض المواضع يُفَرَّغ الفعل من القدرة على العمل ، فيلغى عمله ، وأحياناً يصادِفُ من الكلمات ما يحول بينه وبين التأثير في لفظ ما بعده ، فلا يعمل في لفظه ، ولكنه لا يَبْطل عمله بطلاناً تاماً ، بل يَنْصَبّ على المحل . فيقال للظاهرة آنذاك : تعليق .

وعلى هذا يكون التعليق وقف عمل الفعل في ظاهر اللفظ وبقاءه في المحل ، ولا يعلق إلا أفعال القلوب ، اما الإلغاء فهو ابطال العمل في اللفظ وفي المحل . واليك مواضع كل منهما :

آ ـ الالغاء :

ـ يلغى عمل الفعل القلبي إذا توسط معموليه مثل: زيدٌ ـ ظننتُ ـ كريم . ويجوز بل يرجح الاعمال ، فيقال : زيداً ظننتُ كريماً .

ـ ويلغى ايضاً إذا تأخر عنهما مثل : زيدٌ كريمٌ ظننتُ . والرفع هنا أرجح ، ويجوز النصب .

ب ـ التعليق :

ـ ويعلق الفعل القلبي عن العمل في اللفظ إذا وليه ماله الصدارة

كأسماء الاستفهام ، واللام المشعرة بالقسم ، ولام الابتداء . نحو : علمتُ كيف تكتب . علمتُ لتنجحَنَّ في مسعاك . علمتُ لطالبٌ جادٌ خير من طالب مهمل (١) ، ومنه قول عنترة :

لو كان يَدْري ما المحاورةُ اشتكي
ولكان لو علم الكلامَ مكلمي

- ويعلق ايضاً إذا وليه أدوات النفي مثل : إنْ ، ما ، لا . نحو قوله تعالى : « لقد علمتَ ما هؤلاء ينطقون » (الأنبياء ٦٥) .

ولما كان التعليق لا يمنع الفعل القلبي من العمل في المحل جاز أن أن يعطف بالنصب على المحل الذي عمل فيه ، كقول كُثَيِّر عزة :

وما كنت أدري قبل عَزَّةَ ما البكا
ولا مُوجعاتِ القلبِ حتى تولَّتِ

فقد عطف : موجعاتِ ، على موضع الجملة : ما البكا .

شواهد التدريب

١ - قال لبيد بن ربيعة :

ولقد علمتُ لتأتيَنَّ منيتي
إنَّ المنايا لا تطيشُ سهامُها

---

(١) حملوا « لعل » على الاستفهام في تعليق الفعل ، كقوله تعالى : « وما يدريك لعله يزَّكى » (عبس ٣) وقوله : لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً . » (الطلاق ١) .

٢ ــ قال عمرو بن معد يكرب :

عــلامَ تقولُ الرمحَ يثقل عاتقي
إذا أنا لمْ أطْعُنْ إذا الخيلُ كرَّتِ

٣ ــ قال زهير بن أبي سلمى :

وما أدري وسوفَ إخالُ ادري
أقومْ آلُ حِصنٍ أم نِساءُ

٤ ــ قال كثيّر عزة :

يودُّ بأن يمسي سقيماً لعلها
إذا سمعتْ عنه بشكوى تراسِلُهْ

٥ ــ قال كعب بن سعد الغنوي :

وعلمتُ ما أنا صانعٌ ثم انتهى
عمري ، وذلك غايةُ الفتيانِ

٦ ــ قال قيس بن ذريح :

وإنك لو أبلغتَها قيلَك اسْلمي
طوتْ حَزَناً وارفضْ منها المدامعُ

من أساليب المفعول به

المفعول به ركن مهم من أركان الكلام، ووظيفته في الجملة العربية - من حيث أداء المعنى - لا تقل اهمية عن وظائف الفاعل والمبتدأ والخبر، وقد أدت كثرة استعماله على ألسنة العرب الى التخفف من لفظ عامله احياناً، لانحصار المعنى في المفعول نفسه، فاذا قلت: الحفرةَ. كان اهتمامك منحصراً في إنقاذ المخاطب أو تنبيهه من الوقوع في الحفرة، وتقديره: احذر الحفرة. والفعل «احذر» يعرف من السياق العام، وإن لم يذكر.

وهذه الأساليب التي يحذف فيها عامل المفعول به نوعان: سماعي، وقياسي، والقياسي ينحصر في أبواب الاغراء والتحذير، والاختصاص، والاشتغال.

١ – حذف عامل المفعول به سماعاً

هناك اقوال أُثرت عن العرب، وسمعت منهم، لا تستعمل الآن، ولكنها تفيد اللغويين والأدباء في القياس عليها، واستحداث أساليب جديدة على غرارها. وهي إما مثل شاعَ بين العرب، وإما قول لم يجر مجرى المثل، ويحذف العامل وجوباً فيها جميعاً.

فمن أمثالهم: الكلابَ على البقر (١)، أي ارسل الكلابَ على البقر

(١) انظر جمهرة الأمثال للعسكري ٢/١٦٩، والميداني ٢/١٤٣ برقم ٣٠٣٧

ومنها : كلُّ شيءٍ ولا شتيمةَ حر . أي : ائت كلَّ شيء ولا تأتِ شتيمةَ حر . ومنها : كليهما وتمراً ، أي : أريد كليهما واريد تمراً (١) . ومنها : أمرَ مبكياتِك لا أمرَ مضحكاتك . أي إلزمي . وأهلَكَ والليلَ ، أي اذكر اهلك وبُعدهم عنك ، واحذر الليلَ وظلمتَه ، وهـذا ولا زَعماتِكَ . اي هذا هو الحق ، ولا أتوهمُ زعماتِك . وقد يستعمل الشعراء هذه الأمثال ، كما قد تكون هي نفسها قطعاً من بيت شعر ، قال ذو الرمة :

لقد خطَّ روميٌّ ولا زعمـاتِهِ
لعُتْبَةَ خطاً لم تُطَبَّقْ مفاصِلُهْ

ومن أقوالهم في غير الأمثال : أهلاً وسهلاً . أي لقيت اهلاً ونزلت سهلاً . ويكثر في الشعر العربي قولهم : عذيرَكَ من فلان . وهي مفعول به لفعل مضمر تقديره : هات من يعذرك ، كقول عمرو بن معد يكرب الزبيدي :

أريد حبـاءَهُ ويريدُ قتلي
عذيرَكَ من خليلِك من مُرادِ

٢ ـ أساليب الاغراء والتحذير

وهذا اسلوب عربي فصيح يراد منه الاغراء حيناً ، والتحذير طوراً ، فاذا قلت : المطالعةَ المطالعةَ . اردت من المخاطب أن يلزم المطالعة ويعنى بها ، فأنت هنا تغريه بشيء وتحببه اليـه ، وإذا قلت : الحفرةَ الحفرةَ . أردت منه أن يحذر الحفرة وان يتجنبها .

---

(١) الميداني ٢/١٥١ برقم ٣٠٨٠

والمغرى به والمحذَّر منه كلاهما مفعول به لفعل مضمر، تقديره: الزم، او احذر. إلا ان هذا الفعل يضمر وجوباً في ثلاثة وجوه:

١ - إذا تكرر المفعول به، مثل: العملَ العملَ، أو: الكسلَ الكسلَ.

٢ - إذا عطف عليه، مثل: العملَ والنجاحَ، أو الكسلَ والرسوبَ.

٣ - إذا كان ضميراً مثل: إياك من الكسل.

وفي غير هذه الوجوه يجوز إظهاره، مثل: احذر الحفرةَ، والزم العملَ. الخ..

٣ - اسلوب الاختصاص

وسمي بالاختصاص لتقدير الفعل «أخص»، ويقدر احياناً الفعل: أعني. وذلك بعد إسناد شيء الى ضمير المتكلم: انا، نحن. مثل: نحن - أبناءَ يعربٍ - أنصرُ الناسِ عوداً. وقد يكون بعد ضمير المخاطب، وهو قليل. اما ضمير الغائب فلا يجوز استعماله في هذا الاسلوب.

فالضمير «نحن» ينصرف معناه الى غير محدد، ولذلك كان قولك: أبناءَ يعرب. محدداً له وموضحاً. فكأنك قلت: نحن - أعني ابناءَ يعربٍ - أنصر الناس عوداً. إلا ان الفعل لا يظهر ولا يستعمل، لعلم المخاطب به.

ويشترط في المفعول به هنا أن يكون معرفاً بأل او مضافاً الى معرف بها، أو علماً أو مضافاً الى علم، مثل: نحن - الموقعين - نطالب إنصافنا. ونحن - اصحاب التواقيع - نطلب إنصافنا. وكقول الراجز:

بنا تميماً يكشفُ الضبابُ

وكقول الآخر :

نحن بني ضَبَّةَ اصحابُ الجمل

والشكلان الأخيران قليلان في هذا الاسلوب .

وقد يكون لفظ : أيّها ، أيّتُها ، مثل : إننا فعلنا ذلك أيّتُها الجماعة . وتقدير الكلام ، اننا فعلنا ذلك ، واعني ايتها الجماعة . فـ « آيةُ » مفعول به لفعل محذوف وجوباً تقديره أعني ، مبني على الضم في محل نصب . و « ها » أداة تنبيه ، و « الجماعة » صفة لـ « أي » مرفوعة على اللفظ .

وجملة الاختصاص معترضة إذا وقعت بين متلازمين ، واستئنافية إذا وقعت في آخر الكلام . وكونها استئنافية قليل جداً .

٤ — الاشتغال

وسمي هذا الباب بالاشتغال لانشغال العامل المتعدي بالعمل في ضمير المفعول ، او بما يلابس ضميره ، كقولنا : نَفْسَكَ اكرمْها . وثوبَكَ نظّفه. فالفعل (أكرمْ) شغل بـ « ها » ، وهي ضمير مبني على السكون في محل نصب مفعول به ، يعود على « نفسك » ، ونفسك في المعنى مفعول بـه ، وكذلك شغل الفعل « نظف » بضمير الثوب ، ولهذا لا يمكن لكل من الفعلين : اكرم ، ونظف ، أن يعمل في الاسم المتقدم عليه ، فقُدر فعل آخر قبلهما يجب إضماره ، ولو ظهر لقلنا : اكرم نفسك أكرمها . ونظف ثوبك نظفه . والاشتغال في كلام العرب شواهد فصيحة ، كقوله تعالى : « والظالمين أعدَّ لهم عذاباً أليماً . » (الانسان ٣١) « والقمرَ قدرناه منازلَ . » (يس ٣٩) ، وكقول عمرو بن كلثوم :

ملأنا البر حتى ضاق عنـــا

ونحن البحرَ نملؤه سفينـــا

واذا قلنا: عدوَّكَ أجمْ لسانَهُ. شغلنا الفعل (أجم) بما يلابس المفعول في المعنى، وهو «عدوك» ولهذا نقدر في مثل هذه الحال فعلاً يلائم المعنى فنقول: أخرِسْ عدوَّك أجم لسانه (١).

والاشتغال تفريعات نوجزها فيما يلي:

١ - وجوب النصب:

يجب نصب الاسم المشتغل عنه إذا وقع بعـــد الأدوات التي تختص بالفعل، كأدوات الشرط، والتحضيض، والاستفهام باستثناء الهمزة، مثل: إنْ اخاكَ لقيته فبلغه تحياتي، هلا عيوبَك سترتها. هل الدرسَ حفظتَهُ؟

٢ - ترجيح النصب:

ويجوز مع النصب الرفع على الابتداء، ولكن النصب يرجح، وذلك إذا كان الاسم المشتغل عنه واقعاً قبل فعل طلبي كالأمر والنهي والدعاء، او بعد الهمزة خاصة من ادوات الاستفهام، مثل: ثوبَك نظفه. اخاك لا تؤذه. سعيداً سامحه الله. أأخاك لقيته؟

---

(١) لنحاة الكوفة في هذا رأي جدير بالتقـدير، ولست ادري لم يحجم المعاصرون عن الأخذ به، فهؤلاء يجعلون الاسم منصوباً بما عاد عليه من ذكره، اي لما كان ضميره الذي شغل به الفعل في محل نصب كان الاسم منصوباً. وهي نظرة لغوية جيدة، تخلص الباب من تقديرات قبيحة.

وإنْ كان في صدر الكلام فعل عمل النصب في غيره ، فعطفت عليه فعلاً آخر ، كان النصب في معموله أرجح واوجه ، نحو : رأيتُ اباك واخاك اكرمته ، ومن الفصيح قوله تعالى : « يُدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً . » (الانسان ٧٦) ومنه قول الربيع بن ضَبُع الفزاري :

اصبحتُ لا احملُ السلاحَ ولا
أملكُ رأسَ البعيرِ إن نَفرا

والذئبَ أخشاهُ إن مررتُ بـه
وحدي ، واخشى الرياحَ والمطرا

٣ ـ ترجيح الرفع :

وفي غير هذه الحالات يجوز رفع المفعول به في المعنى على الابتداء ، وتصيير الجملة الفعلية خبره ، مثل : عبدُ الله أكرمته ، والماءُ شربته ، والرفع هنا مرجح عند النحاة ، ويجيزون النصب ، مثل : محموداً رأيته ، وسعيداً قابلته .

شواهد التدريب

ب ـ قال مسكين الدارمي :

أخاك اخاك إنَّ مَنْ لا اخا له
كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاحِ

٢ — « والأنعامَ خلقها لكم ، فيها دِفْءٌ ومنافعُ ، ومنها تأكلون . »

(النحل ٥)

٣ — قال جرير :

أثعلبةَ الفوارسِ أم رياحاً
عدلتَ بهم طُهَيَّةَ والخشابا

٤ — قال عمرو بن الأهتم :

إنا بني مِنْقَرٍ قومٌ ذوو حَسَبٍ
فينا سَراةُ بني سَعْدٍ وناديها



المفعول فيه

هو الاسم الذي يدل على الزمان او المكان الذي يقع فيه الفعل ، تقول : جئتُ صباحاً ، وقعدتُ مكانَ اخي . فالصباح هو الزمان الذي جرى فيه الفعل « جئت » ، ومكان الأخ ، هو المكان الذي حصل فيه القعود . فما دلَّ من الظروف على الزمان قيل له : ظرف زمان . وما دل على المكان قيل له : ظرف مكان .

ولا بُدَّ في الظرفين كليهما من تقدير « في » ، إلا ان ذلك يختلف بين نوعين من الظروف ، نوعٍ تقدر فيه « في » تقديراً مباشراً ، ونوعٍ آخر تقدر تقديراً غير مباشر .

آ ـ فالذي تقدر فيه مباشرة ظروف الزمان غير المبنية ، وظروف المكان غير المقادير ، تقول : جئتُ يوم الأحد . اي : جئت في يوم الأحد. وقعدت قربَ الشاطىء . اي : في مكانٍ قربَ الشاطىء .

ب ـ اما ظروف الزمان المبنية وظروف المكان الدالة على المقادير فلا تقدر فيها « في » مباشرة ، بل بتأويل ، فالظرف : إذا ، مبني لتضمنه معنى الحرف « إن » ، ولذلك يكون التقدير فيه غير مباشر ، تقول : إذا رأيتك فرحت . وتقديره : إن رأيتُك في اي وقت فرحت . وكذلك الأمر في الظروف المبنية الاخرى مثل : إذ ، ومنذ ، وأيانَ ، ومتى ، و ... تقول مثلاً : ما رأيته منذ ذهب . اي : ما رأيته في زمنٍ منّا بعد ذهابه .

وظروف المكان الدالة على المقادير تقدر فيها مثل هذا التقدير ، تقول : سرتُ ميلاً . وتقدره : سِرْتُ في مكان يقدر بميل . وهكذا .

وظرف الزمان نوعان : نوع يصلح جواباً لـ « كم » ، كقولك : سرتُ يوماً وليلة . فكأنك تجيب لمن سألك : كم سرت ؟ ونوع آخر يصلح جواباً لـ « متى » ، نحو قولك : جئت يوم الجمعة ، فكأنك اجبت من قال لك : متى جئت ؟ .

آ — انواع الظروف

وتتنوع الظروف في دلالتها الجزئية ، وإن كانت تتحـــد في المعنى العام ، وهو تحديد زمان العامل او مكانه .

١ - الظرف المبهم :

من تلك الأنواع ما يطلق عليه مصطلح « ظرف مبهم » ، ويكون ظرف زمان ، او ظرف مكان .

فالأول ما دل على زمان غير محدود ، ليس له بدء معلوم ، ولا نهاية معروفة ، مثل : أقمتُ في اللاذقية زمناً ، وفي القاهرة حيناً ، وفي بغدادَ أمداً . فـ : زمناً ، وحيناً ، وأمداً ، ازمنة غير محدودة ، فهي إذاً ظروف زمانية مبهمة .

واما ظرف المكان المبهم فهو الذي لا حدود له ، ولا هيئة ، ولا شكل ، كالجهات الست وما يلحق بها من مبهمات الأمكنة . فالجهات : فوق ، تحت ، يمين ، شمال ، أمام ، خلف . كقوله تعالى : « وفوقَ كل ذي علمٍ

عليمٌ » (يوسف ٧٦) وقوله : « وكان وراءهم ملكٌ يأخذ كل سفينةٍ غصباً . » (الكهف ١٨) وكقول عمرو بن كلثوم في المعلقة :

صددتِ الكأسَ عنا أمَّ عمروٍ
وكانَ الكأسُ مَجراها اليمينا

ويلحق بالجهات الست : عند ، لدى ، بين ، إزاءَ ، بقعة ، أرض ، مكان (١) ، ... مثل ، قعدتُ عند الشاطىء ، ووقفتُ إزاءك . ومنه قوله تعالى : « اقتلوا يوسفَ أو اطرحوه ارضـاً . » (يوسف ٩) ومنه ايضاً : « واذا أُلقوا منها مكاناً ضيقاً مُقرَّنينَ ، دَعَوْا هنالكَ ثُبورا . » (الفرقان ١٣) .

وألحق جمهور النحاة بها المقادير ، كالفرسخ ، والميل ، والكيلومتر ، و.. لأنها لا شكل لها ولا هيئة ، وإن دلت على مقياس معلوم ، نحو : مشيت ميلاً .

٢ ـ الظرف المختص :

وهو ما يقابل المبهم ، فظرف الزمان المختص ما كان محدوداً ، تعرف بدايته ونهايته ، فقد يكون علماً مثل : صمتُ رمضانَ ، وجئتُ غُدوَةَ ،

---

(١) هناك مبهمات مكانية لا تستعمل ظروفـاً ، كَـ : جانب ، خارج ، داخل . فـلا يقال : وقفت جانبَك ، بل : في جانبك ، ولا : نمت خارج البيت ، بل : في خارج البيت ، ولا : قعدت داخلَ الحجرة ، بل : في داخل الحجرة .

وذهبتُ بُكرةَ (١) . ويكون مضافاً مثل : أقمت هنا زمن الشتاء ، او معرفاً بأل مثل : قابلته اليومَ كله ، او نكرة معدودة مثل : سرت يوماً واحداً ، ومكثت في الفندقِ يومين .

أما المكان المختص فهو الذي عرفت حدوده ، وتحدد شكله ، مثل : بيت ، غرفة ، دار ، دمشق ، حلب ، سورية ، الخ .. وهذا لا ينصب على الظرفية ، بل يقال : دخلتُ الى البيت ، وأقمتُ في الغرفة ، ورحلتُ الى العراقِ ، وقعدت في الحديقةِ .

على أنه سمع من فصحاء العرب : ذهبتُ الشامَ ، وتوجهتُ مكة ، ودخلتُ البيتَ . ومثل هذه المسموعات ـ على فصاحتها ـ لا تدل على انهم استعملوا المكان المختص منصوباً على الظرفية ، لأنهم في الواقع نصبوها على نزع الخافض ، إذ حذفوا حرف الجر الذي كان قبلها ؛ لكثرة استعمالهم إياها.

٣ ـ الظرف المتصرف :

ومن الظروف ما يكون متصرفاً فينصب في موضع على الظرفية ، ويستعمل في موضع آخر غير ظرف ، كأن يكون مبتدأ ، أو فاعلاً ، أو مفعولاً به ، أو مضافاً اليه ، او ... كاسم الزمان « يوم » الذي تؤثر فيه العوامل على الشكل التالي :

— جئتُ يومَ الخميس . هو هنا ظرف زمان على تقدير « في» .
— كان يومُ الخميس هادئاً . اسم كان مرفوع .
— جاء يومُ الخميس . فاعل مرفوع .

---

(١) غدوة ، وبكرة ، اسمان معرفتان لا ينصرفان إلا إذا أريد بهما التنكير كقوله تعالى : « ولهم رزقهم فيها بكرةً وعشياً . » (مريم ٦٢)

ـ أحببتُ يومَ الخميس. مفعول به منصوب.
ـ أنكرت صبحك يا يومَ الثلاثاء. منادى منصوب مضاف.
ـ الخ..

ومثله من ظروف المكان المتصرفة أمام، خلف، قدام، الميلُ، الفرسخُ، قال لبيد بن ربيعة في معلقته:

فغدتْ كلا الفرجَين تحْسبُ أنّهُ
مولَى المخافةِ، خلْفُها وأمامُها

وقال ذو الرمة:

وصحراء يحمي خلفُها ما أمامَها
ولا يختطيها الدهرَ إلا مُخاطِرُ

٤ ـ الظرف غير المتصرف:

وهو الذي يلزم الظرفية، أو يجمع اليها أن يُجر بحرف جر، كالظروف: قط، عوض، إذا، أيانَ، قبل، بعد، حيث. تقول: ما رأيته قطُّ، ولا نتفرق عوضُ، وأيانَ جئتَ؟ ولله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ.

ب ـ اعراب الظرف

١ ـ العامل فيه:

يعمل في الظرف ما يعمل في المنصوبات عامة، كالفعل وشبهه، تقول: جئتُ صباحاً. وأنت ذاهبٌ مساءً، وخالدٌ شجاعٌ عند الشدة، وهو مُرهَق هذا اليومَ، وعملُكَ صباحاً خيرٌ من عملك مساءً. فقد

عمل فيه على التوالي : الفعل ، واسم الفاعل ، والصفة المشبهة ، واسم المفعول ، والمصدر . وقد يتعلق بما يتأول بهذه العوامل من الجوامد ، كقولك مثلاً : انا أيوب عندَ الشدة . فعندَ معلقة بـ : أيوب ، لأنه مؤول بـ : صَبور . ومثله قول الراجز :

أنا ابو بردة إذ جدَّ الوَهلْ

أي : أنا المُجدي عند اشتداد الأمر . ومثله لو قلت : إنما انا اخوك حين تحتاج إلى مساعدة الأخ ، وابوك حين تحتاج إلى حنان الأب ، وكذلك يجيز جمهور النحاة أن يتعلق الظرف بحروف المعاني ، فقد أجازوا — ما خلا المبرد — ان يتعلق الظرف في مثل قولك : أما اليوم فأنا منطلق . بـ « أما » نفسها ، لأنها حرف معنى ، وتقديرها عندهم : مهما يكن من شيء اليومَ . و « يكن » هنا تامة ، ومعناها : يقع ، أو يحدث . أما المبرد فيرى تعليق الظرف هنا بما بعدها من الأفعال واشباهها .

والظرف يتعلق بعامله ، سواء ألازمان كان أم المكان .

ويجب ان نعرف ان عاملاً واحداً لا ينصب ظرفين متجانسين ، فاذا قلت : جئت يومَ الجمعة صباحاً . كان العامل « جئت » ناصباً للظرف « يومَ » أما « صباحاً » فليس ظرف زمان يتعلق بـ « جئتُ » ، بل هو بدل من الظرف « يوم » . وكذلك قولك : قعدتُ عند الطاولةِ أمام المدفأة . أمام : بدل من « عند » .

أما إذا كان في الكلام ظرفان غير متجانسين فيمكن أن يعمل فيهما عامل واحد ، مثل : قعدت صباحاً تحت شجرة وارفة الظلال ، واتجهت عندَ المساء شرقاً .

٢ ـ حذف العامل :

ويحذف العامل من الكلام جوازاً إذا دل عليه دليل، ولا سيما في جواب السؤال، مثل : متى ذهبت ؟ ظهراً . أي ذهبتُ ظهراً . ويحذف وجوباً فيما يلي :

● **إذا كان كوناً عاماً :**

أي اذا دل على مجرد الوجود دون أن يقيده بشيء، ولا يكون كذلك إلا في أحد أربعة مواضع، اولها أن يكون خبراً مثل : أنت امامَ الحاكم . وثانيها أن يكون صفة نحو : عصفورٌ فوقَ الشجرة خير من عصفورٍ في اليد . والثالث ان يكون حالاً مثل : البطولة عندَ الشدةِ مفخرة لصاحبها . والرابع ان يكون صلة الموصول كقوله تعالى : « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم . » (البقرة ٢٥٥) .

أما اذا كان كوناً خاصاً فيجب ذكره، الا اذا دل عليه دليل، كقولك : الفلاح نائمٌ تحت الشجرة . فـ (نائم) كون خاص لا عامَ . لأنه لا يدل على مجرد الوجود، بل يقيده بالنوم، وتقول : لينم أخوك هنا، وأنت هناك . أي : وانتم انت هناك .

● **في باب الاشتغال :**

كقولك : يومَ الخميس عملت فيه، ويومَ الجمعة ركنت فيه الى الراحة.

● **في المسموع :**

ويحذف وجوباً فيما رواه الرواة عن العرب الفصحاء، فاذا تحدث أحدهم عن أمر تقادم عهده، وجَدَّ فيه أشياء لم يسمع بها، يقول له مَنْ

يسمعه : حينئذٍ الآنَ . أي : كان هذا الذي تقوله حينئذٍ ، واسمع الآنَ . ومن ذلك قولهم في المثل : أسائرَ اليومِ وقد زال الظهر (١) . اي أتسير سائرَ اليوم .

٣ ـ الظرف وظهور الاعراب :

وتختلف الظروف في هذا ، فمنها المعرب ، ومنها المبني ، ومعظم ما جاء من الأمثلة يدل على ان الظرف المعرب منصوب ، أما الظروف المبنية فليست سواءً في البناء ، فمنها ما يكون مبنياً على السكون مثل : إذا ، إذ ، مُذْ ، هنا ، ... كقولك : اذا جئتَ لقيتني في انتظـــارك ، فاذا : ظرف زمان المستقبل ، مبني على السكون في محل نصب على الظرفية .

ومن الظروف ما يبنى على الفتح مثل : أيانَ ، ثَمَّ ، الآنَ . ومنها ما يبنى على الضم مثل : حيثُ ، قط ، عوض ، منذُ . ومنها ما يبنى على الكسر مثل : أمسِ .

٣ ـ ما ينوب عن الظرف

ينوب عن الظرف أحد ستة أشياء ، هي :

١ ـ المضاف إلى الظرف :

وهو الذي يدل على كلية أو بعضية نحو : مشيت بعضَ النهار ، أو كلّه ، او جميعَه ، او عامته . ومشيت بعض الفرسخ ، او كله ، او ..

---

(١) انظر : شرح المفصل ١ / ٤٦ — ٤٧ ، ويروى المثل بالرفع . انظر جمهرة الأمثال ١ / ٩٦ .

٢ ـ صفته :

كقولك : وقفت طويلاً ، وقعدت شرقي المنزل ، فتقدير الأول : وقفتُ زمناً طويلاً ، والثاني : قعدت مكاناً شرقيَّ المنزل ، ومنه قول الأعشى :

فشكَّ غيرَ طويلٍ ، ثم قال له
اقتلْ أسيرَك إني مانعٌ جاري

فقوله : غيرَ ، نائب عن الظرف ، وأصله : فشك زمناً غيرَ طويل .

٣ ـ الاشارة اليه :

مثل : لقيتُك هذا اليومَ ، وأعجبني العمل هذه الليلةَ .

٤ ـ العدد :

على أن يكون مميزاً بالظرف أو مضافاً اليه ، مثل : سرتُ اربعين فرسخاً . وبت هناك ثلاث ليالٍ .

٥ ـ المصدر :

على أن يكون متضمناً معنى الظرف ، وتفصيل ذلك ان يكون الظرف في الأصل مضافاً والمصدر مضافاً اليه ، فيحذف المضاف ويحل محله المضاف إليه ، كقولك : قدمتُ طلوعَ الشمسِ . فهي في الأصل : قدمت وقتَ طلوعِ الشمسِ . وروي عن العرب قولهم : لقيتُك مقدمَ الحاج . فمقدم مصدر ميمي ، والتقدير : لقيتك زمن قدوم الحاج . ومثله : نمتُ خفوقَ النجم ، أي وقت غيابه ، وأجيئك صلاةَ العصر ، أي وقتها ، وفي القرآن منه قوله تعالى : « ومن الليل فسبحه وإدبارَ النجوم » (الطور ٤٩) .
ومنه قول عنترة :

تهدي به مُدَّ النهارِ كأنما
خضب البنان ورأسه بالعِظْلِم (١)

أي : وقت مدِّ النهار . ومثله قول عبدالله بن جعفر بن أبي طالب :

كلانا غنيٌّ عن أخيه حياتَه
ونحن إذا متْنا أشدُّ تغانيا

أي : مدة حياته . ومنه قولهم : ما فارقته طَرْفةَ عينٍ . أي مدة طرفة عين.

وقد يكون المصدر مؤولاً من « ما » المصدرية الزمانية ، والفعل بعدها ، نحو : سأذكره ما حييتُ ، وتأويله : سأذكره حياتي ، اي مُدة حياتي . وهذا في العربية كثير .

وقد يحذف المصدر الذي اضيف اليه الظرف ، ويحل محله ما أضيف اليه ، كقول لبيد بن ربيعة في معلقته :

باكرتُ حاجتَها الدجاجَ بسُحرةٍ
لأعلَّ منها حين هبَّ نيامُها

فالدجاجَ : نائب عن ظرف الزمان ، والأصل : وقت صياح الدجاج. فحُذف الظرف « وقت » ، وحُذف المصدر « صياح » وناب المضاف اليه التالي عن الظرف (٢) .

٦ ـ ألفاظ مسموعة :

وهناك ألفاظ توسع العرب في استعمالها فنصبوها على الظرفية الزمانية ،

(١) العظلم : شجر يختضب بورقه .
(٢) ويجوز ان يكون « الدجاج » مفعولاً به للفعل « باكرت » .

كقول عبد يغوث :

أحقاً ، عباد الله ، أن لستُ سامعاً
نشيدَ الرعاء المعزبينَ المتاليا

والتقدير : أفي حقٍ . ومنه قولهم : جَهْدَ رأيي أنه سيأتي ، اي : في جهدِ رأيي . وغيرَ شك أنني سألاقيك . أي في غير شك .

ملاحظة :

يلتبس الظرف بالمفعول المطلق ، حين ينوب اسم الزمان عن المصدر ، فاذا قلت : كبرتُ عاماً . ناب « عاماً » عن المصدر : كبراً . والتقدير : كبرت كبراً مقداره عام . أو : كبرتُ مقدارَ عامٍ . ولا يمكن أن تكون : عاماً . ظرف زمان ، لأن « في » غير مقدرة .

ومثل هذا قول سبرة بن عمرو الفقعسي :

وطعنةُ مستبسلٍ ثائرٍ
تَردُّ الكتيبةَ نصفَ النهارِ

فالشاعر لا يريد أن الطعنة ترد الكتيبة في نصف النهار ، بل اراد أنها ترد الكتيبة مقدار نصف النهار ، أي : مسيرةَ نصف النهار .

ومثله قول الأعشى :

ألم تغتمض عيناكَ ليلةَ أرمَدا
وبت كما بات السليمُ مُسهَّدا

فقول : ليلةَ ، مفعول مطلق ، وهو اسم زمان ناب عن المصدر ، وتقديره : ألم تغتمض عيناكَ اغتماضَ ليلة رجل ارمد . ولا معنى للكلام إذا ذهبنا في إعرابها الى انها ظرف زمان .

شواهد التدريب

١ ـ « وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم ، قال قائل منهم : كم لبثتم ؟ قالوا : لبثنا يوماً او بعض يوم . » (الكهف ١٩)

٢ ـ قال الأحوص :

وإن بني حَرْبٍ كما قد علمتُمُ
مَنَاطَ الثريا قد تَعَلَّتْ نجومُها

٣ ـ قال النابغة الجعدي :

ألا أبلغ بني خلفٍ رسولاً
أحقاً ان اخطلكم هجاني

٤ ـ من كلام العرب :

هو مني منزلةَ الشغاف ، وهو مني مزجرَ الكلب ، وهو مني درجَ السيل .

٥ ـ قال جرير :

أقام قليلاً ثم باح بحاجةٍ
إلينا ودمعُ العين بالماء واشلُ

المفعول لأجله (١)

هو مصدر قلبي ـ غالباً ـ يُعَلَّلُ به حَدَثٌ اتحد معه في الفاعل والزمان. نحو : ثبت الجنود في المعركة ثقةً بالنصر. فالثبات حدثٌ جرى بسبب الثقة ، وفاعل الثبات والثقة واحد ، هو الجنود ، وهما متحـدان في الزمان ، إذ وقعا في وقت واحد .

ويكون المفعول لأجله مجرداً من « أل » والاضافة ، كقولك : قمت إجلالاً لك ، وذهبتُ إلى الشاطىء رغبةً في السباحة . وقد يعرف بـ « أل » على قلة ، كما في قول الشاعر :

لا أقعـــد الجبنَ عن الهيجاء
ولو تَوالَتْ زُمَرُ الأعـداء

فـ « الجبن » مفعول لأجله ، معرف بأل ، إلا أنه مؤول بنكرة ، كأنه قال : لا أقعد عن الهيجاء جبناً .

ولكنه يأتي مضافاً بكثرة كقوله تعالى : « يجعلون أصابعهم في آذانهم

---

(١) ويسمى ايضاً المفعول من أجله ، والمفعول له . وانكر الزجاج ـ أحد تلامذة المبرد ـ هذا الباب ، ورده الى المفعول المطلق المبين للنوع . كما رده قبله ابو عمر الجرمي ـ تلميذ سيبويه والأخفش ـ الى المصدر الذي ينصب على الحال .

من الصواعق حذَرَ الموت . » (البقرة ١٩) وقوله : « ولا تقتـلوا اولادكم خشيةَ إملاقٍ » (الاسراء ٣١) وقوله : « لو أنتم تملكون خزائن رحمـةِ ربي إذاً لأمسكتم خشيةَ الانفاقِ » (الاسراء ١٠٠) . وقول حاتم الطـائي :

وأعفر عوراءَ الكريم ادخارَهُ
وأعرِضُ عن شتم اللئيمِ تكرُّما

فالمصادر : حذر ، وخشية ، وادخار ، كلها مفعولات من هذا القبيل ، جاءت مضافة إلى ما بعدها (١) .

اعراب المفعول لأجله

لا يختلف هذا المفعول عن المنصوبات التي يعمل فيها الفعل وشبهه ، إلا أنه ينصب بشروط يجب استيفاؤها ، وإلا جر بحرف جر يحمل معنى التعليل ، أي بواحد من هذه الأحرف : اللام ، والباء ، ومِن ، وفي . اما الشروط فهي :

١ ـ أن يكون مصدراً :

أي دالاً على حدث ، مثل : جئتُ رغبةً في لقائك ، وقمتُ إجلالاً لك . وإذا لم يكن مصدراً وجب جره بحرف جر للتعليل ، كقول امرىء القيس :

فـلو أنَّ ما أسعى لأدنى معيشةٍ
كفاني ـ ولم أطلب ـ قليلٌ من المالِ

(١) يمنع الرياشي ـ أحد نحاة البصرة ـ تعريف المفعول له بأل والاضافة ، ويوجب تنكيره ، لأنه عنده كالحال والتمييز .

فقوله : أدنى . هو علة الحدث ، ولكنه ليس بمصدر ، ولذلك جر باللام [1].

ومثله قوله تعالى : « يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق . » (البقرة ١٩) إذ جرت الصواعق بمن ، لأنها ليست بمصدر ، و « من » للتعليل . وكذلك قوله ﷺ : « دخلت امرأةٌ النارَ في هرةٍ حبستها ... » ، الهرة ليست بمصدر ، و (في) للتعليل .

٢ ـ أن يكون قلبياً :

ويعني هذا أن يكون عملاً نفسياً باطنياً غير حسي ، كالرغبة ، والحذر ، والخوف ، والحب ، والطمع ، والاشفاق ، و ... مثل : طلبتُ الكتاب رغبةً في القراءة ، بكى الطفل طلباً للطعام ، زرتُك حباً في لقائك ، وميلاً الى حديثك ، وكقوله تعالى : « تتجافى جنُوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً . » (السجدة ١٦) .

وبعض النحاه لا يرون وجوبَ هذا الشرط ، وإن كانوا يُقرّون بغالبيته ، ويجيزون أن يقال : ضربتُه تأديباً له . وجئتُه إصلاحاً لشأنه .

٣ ـ أن يكون علة للعامل فيه :

أي أن يكون هو السبب في حدوث الفعل ، كما هو واضح في الأمثلة السابقة جميعاً ، سواء ما جر منها بالحرف ، وما كان منصوباً .

---

(١) يذكر الغلاييني في « جامع الدروس » أن مثل هذا يكون مجروراً لفظاً ، منصوباً محلاً ، وليس بصواب ، فهو جار ومجرور ، وفي حرف الجر معنى التعليل .

٤ - أن يكون متحداً في الفعل مع الفاعل :

فاذا قلت : ذهبتُ الى القاهرة رغبةً في العثور على مخطوطات نادرة . كان فاعل « الذهاب » وفاعل « الرغبة » واحداً ، هو المتكلم .

هذا هو الغالب ، غير أن بعض النحاة يجيزون ايضاً ألا يكونا متحدين في الفاعل ، ويحتجون بقول الامام علي في نهج البلاغة : « فأعطاه الله النظرة استحقاقاً للسخطة ، واستتماماً للبلية . » فالحديث هنا عن إبليس ، وهو فاعل الاستحقاق ، اما فاعل الاعطاء فهو الله .

على أنه يغلب ان يجر بحرف تعليل ما لم يتحد مع الحدث قبله في الفاعل ، كقوله تعالى : « فبظُلْمٍ من الذين هادوا حرمنا عليهم طيباتٍ أحِلَّت لهمْ . » (النساء ١٦٠) .

٥ - أن يكون متحداً معه في الزمان :

واذا عدنا الى المثل السابق وجدنا زمن الذهاب إلى القاهرة وزمن الرغبة واحداً ، وحين يتخالفان يجر المفعول بحرف جر ، كقول امرىء القيس:

فجئتُ وقد نَضَتْ لنومٍ ثيابَها
لدى السترِ إلا لِبْسَةَ المتفضِّلِ

وكقوله تعالى : « فبظلمٍ من الذين هادوا حرمنا عليهم ... » . فنَضْوُ الثوب حدثَ قبل النوم ، وظلم اليهود حدث قبل التحريم (١) .

* * * *

(١) ذهب الفارسي الى ان هذا الحكم غير ضروري ، واحتج بقوله تعالى : « هذا يومُ ينفعُ الصادقين صِدْقُهم . » (المائدة ١١٩) على أن (صدقهم) مفعول لأجله . انظر شرح الكافية ١/١٧٧ .

هذا ويجوز جر المفعول لأجله وإن استوفى شروط النصب ، كقوله تعالى : « وإنَّ منها لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ . » (البقرة ٧٤)
وقول تأبط شراً :

لتقرعِنَّ عليَّ السن من ندمٍ
إذا تذكرت يوماً بعض أخلاقي

شواهد للتدريب

١ — « ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاءَ مرضاةِ الله ، وتثبيتاً من أنفسهم ، كمثل جنة بربوة .. » (البقرة ٢٦٥)

٢ — قال ابو صخر الهذلي :

وإني لتعروني لذكراكِ هزةٌ
كما انتفض العصفور بلله القَطْرُ

٣ — قال الحارث بن هشام :

فصفحت عنهم والأحبة فيهم
طمعاً لهم بعقاب يوم مفسدِ

٤ — قال الفرزدق :

يغضي حياءً ويغضى من مهابته
فما يكلم إلا حين يبتسم

المفعول معه

هو اسم فضلة يقع بعد واو بمعنى « مع » ، تتقدمه جملة تامة ، فيها فعل أو ما يشبه الفعل ، مثل : سرتُ والنهرَ ، إنه ماشٍ والجبلَ .

وهذه الواو في الأصل واو العطف - كما يرى جمهور النحويين - إلا أنها صارت تحمل معنى المصاحبة والمعية ، ولا يقصد منها إفادة المشاركة قصداً ، فاذا قلت : جئت وسعيداً ، كان المعنى أنك جئت بصحبة سعيد . ولا شك أن سعيداً قد جاء واشترك في الحدث الذي هو المجيء ، إلا أنك لم تقصد في قولك الى الاخبار عن مجيئه ، وإنما أردت ان تخبر أن مجيئك حدث بصحبته (١) .

ومعنى اسم فضلة أنه يصح الكلام من دونه ، فهو ليس عمدة في

(١) يرى بعض النحاة أن واو المعية هذه تفيد التشريك قصداً ، ولا يجيزون استعمالها ، إلا في موضع تصح فيه واو العطف ذات التشريك الصريح ، من هؤلاء أبو الحسن الأخفش - وهو صاحب الرأي - ثم تبعه فيه ابن الحاجب ، والرضي ، وابن يعيش ، فهؤلاء لا يجيزون ان تقول : انتظرتك وطلوعَ الشمس .. لأن الواو هنا لا تكون عاطفة ، فطلوع الشمس لا ينتظر احداً . [انظر الخصائص ٣١٣/١ وشرح الكافية ١٧٧/١ ، وشرح المفصل ٤٨/٢] .

ويرى نحاة آخرون أن هذه الواو تنصب ما بعدها على معنى المفعول به ، لأنها مشربة عندهم معنى باء التعدية أو همزتها . منهم ابن مالك في التسهيل (ص ٩٩) وابن عصفور في المقرب (١٥٨/١) .

الكلام ، فاذا قلت : تشارك خالدٌ وسعيدٌ ، كان « سعيد » في الجملة عمدة لا يمكن ان يستغنى عنه ، لأن الفعل « تشارك » لا يكون إلا من اثنين أو أكثر ، ولذلك لا يجوز نصبه على أنه مفعول به .

أما إذا قلت : جئت وسعيداً ، فأنت قادر على أن تستغني عن «سعيد» دون أن يفسد المعنى ، إلا أنه يفقد معنى المصاحبة الذي تحمله الواو .

أحكام

ويشترط في المفعول معه عدة شروط ، تلمح في حَدِّه السابق ، منها :

١ ـ أن تكون الواو بمعنى (مع) :

أي أن تكون المعية او المصاحبة مقصودة ظاهرة ، كقولك : لا تَهْوَ رغَدَ العيشِ والذُّلَّ . فأنت هنا لا تنهى المخاطب أن يهوى الذل ، ولكنك تنهاه أن يحب رغد العيش مع الذل .

٢ ـ أن تسبق الواو بفعل أو ما يشبهه :

ويجب أن يتقدمها فعل أو شبهه ، وإلا كانت حرف عطف ، نحو : أنت وشأنُك ، كل رجلٍ ومالُه . فالواو هنا عاطفة على المبتدأ ، والخبر في الجملتين مضمر ، تقديره : متلازمان ، أو : مقترنان .

أما التي تقدمها فعل فكقولهم : سرتُ والجبلَ ، ومشيتُ والنهرَ . والتي تقدمها شبه الفعل فمثل : كنتُ سائراً والنهرَ . فاسم الفاعل هنا حل محل فعله ، فنصب المفعول معه بوساطة الواو .

ومنه قولهم : حسبك وخالداً ليرتان . فـ « حسبك » فيها معنى الفعل ، لأنها تفيد معنى « كفاك » قال جرير :

إذا كانت الهيجاء وانشقت العصا

فحسبك والضحاكَ سيفٌ مهنَّدُ

ومنه قولهم: كيف أنت وخالداً؟ وما أنت وسعيداً؟ فالاستفهام هنا يحمل رائحة الفعل، فكأنه قال: ما تصنع وخالداً؟ وما كنت وسعيداً؟ قال الراعي النميري:

أزمانَ قومي والجماعةَ كالذي

منعَ الرحالةَ أن تميلَ مميلا

أي: أزمان كان قومي والجماعةَ... (١)

٣ - أن يمتنع العطف:

وإذا كان العطف مفسداً للمعنى كانت الواو بمعنى «مع»، كقوله تعالى: «فأجْمِعوا أمركم وشركاءَكم» (يونس ٧١) فالمعنى: أجمعوا امركم بصحبة

---

(١) إعراب: ما أنت وخالداً؟ ما: اسم استفهام مبني على السكون في محل نصب مفعول مطلق نائب عن المصدر. وأنت فاعل لفعل محذوف هو «كان» التامة، والأصل: ما كنت وخالداً. فلما حذف الفعل، بقي الضمير المتصل وحده، فصار منفصلاً. [وبعض النحاة يجعل «كان» ناقصة، ويجعل «أنت» اسماً لها وعلى هذا تكون «ما» اسم استفهام مبنياً على السكون في محل نصب، خبراً لكان الناقصة] وخالداً: الواو المعية، وخالداً: مفعول معه.

وقد أخطأ الشيخ مصطفى الغلاييني في كتابه «جامع الدروس» في اعراب مثل هذه الجملة، فجعل «ما» اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، وأنت: خبراً له، ووجه الخطأ فيه أنه نصب المفعول معه دون أن يتقدمه فعل أو شبهه.

شركائكم . ولو كانت الواو هنا عاطفة لفسد هذا المعنى . ثم إن الفعل «أجمعوا» لا ينصب مفعولاً به من الأعيان ، فلا يقال ، أجمعوا الرجالَ ، بل : إجتمعوا الرجال . ولهذا كله وجب أن تكون الواو بمعنى «مع» ، وأن يكون «شركاءكم» مفعولاً معه .

٤ ـ أن يقبح العطف :

ويرجح أن تكون الواو للمعية إذا كان العطف قبيحاً ، كما في قولك: جئتُ وخالداً ، فالعطف هنا قبيح ، لأن العطف على الضمير المتصل المرفوع لا يحسن إلا بتوكيده ، تقول : جئت أنا وخالدٌ ، وذهبت أنت وسعيدٌ . فلما لم يؤكد صارت الواو للمعية ، وانتصب الاسم بعدها على أنه مفعول معه.

ومثله : حسبك وزيداً ليرتان . يقبح العطف هنا لأن المعطوف عليه ضمير جرٍ متصل ، وإنما يحسن عليه العطف إذا تكرر العامل ، تقول : حسبك وحسب زيد ليرتان . وسألت عنكَ وعن أخيك . فلما لم يتكرر العامل كان من الأرجح أن تكون الواو للمعية ، وأن ينصب ما بعدها على أنه مفعول معه .

الحال

تتألف الجملة التي تقع فيها الحال من ثلاثة أشياء لا بد منها، هي :

١ — الحال .

٢ — وصاحب الحال .

٣ — والعامل في الحال .

تأمل هذه الجملة : عاد الرجلُ مسرعاً . فـ « مسرعاً » هي الحال ، و« الرجل » صاحبها ، والفعل « عاد » هو العامل فيها .

١ — الوظيفة المعنوية للحال

ولا شك أن للحال في لغة العرب وظيفة معنوية ، لأنها تبين هيئة صاحبها ، ففي المثال السابق تجد « مسرعاً » تبين لك الهيئة التي جاء بها الرجل .

وليس هذا فحسب ، بل قد تكون هي المقصودة في إنشاء التركيب اللغوي ، ولا يمكن حذفها منه ، تأمل قوله تعالى : « وما خلقنا السماوات والأرضَ وما بينهما لاعبين . » (الدخان ٣٨) ففي هذه العبارة لا يراد الإخبار عن مجرد خلق السماوات والأرض ، فذلك أمر مسلم به ، وإنما الغرض من الجملة أن ينفي الله إرادة اللعب في عملية الخلق . ومثل هذا المعنى تجده في قوله تعالى : « وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كُسالى . » (النساء ١٤٢) .

على أنّ هناك صورة مختلفة ، فقد تأتي الحال غير مقصودة بالمعنى ، بل تذكر توطئة لصفة لها ، انظر قوله تعالى : « إنا أنزلناه قرآناً عربياً . » (يوسف ٢) فـ « قرآناً » هي الحال ، ولكنها غير مرادة في المعنى وحدها ، وإنما المقصود كون القرآن عربياً ، أي أن الصفة « عربياً » هي المقصودة .

والحال في تركيب الجملة العربية فضلة ، لأنها لا تقع موقع المسند أو المسند اليه ، وإذا لم تكن مقصودة في المعنى أو سادة مسد الخبر ، سهل حذفها ، كما ترى في قوله تعالى : « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب : سلام عليكم . » (الرعد ٢٣) ، ففي هذه الآية حال محذوفة ، تقديرها : يدخلون عليهم من كل باب قائلين سلام عليكم .

ولكنها في بعض الأحيان تدل على كون عام ، وحينئذٍ تحذف وجوباً من الكلام ، وتعلق بها شبه جملة ، كما ترى في هذه العبارة : العصفور فوق الغصن أجمل من العصفور في القفص . والتقدير : العصفور كائناً فوق الغصن أجمل من العصفور كائناً في القفص . وقولنا « كائناً أو موجوداً » يقدر تقديراً ، ولكن من الخطأ اظهاره في الجملة .

٢ — شكل الحال

وللحال شكلان : فقد تكون مفردة ، وقد تكون جملة . مثال الأولى قول ابن هرمة :

بالله ربك إن دخلتَ فقل له
هذا ابن هرمةَ واقفاً بالبابِ .

ومثال الثانية قوله تعالى : « وجاؤوا أباهم عشاءً يبكون . » (يوسف ١٦)

والكل منهما حديث طويل.

آ — حين تكون مفردة :

والأصل في الحال أن تكون اسماً مفرداً، كما رأيت في بعض الأمثلة المتقدمة، وأن تكون وَصْفاً، أي اسماً مشتقاً، كاسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، واسم التفضيل. وأن تكون نكرة لا معرفة.

١ — أما كونها اسماً مشتقاً فهو ما دلت عليه نصوص العربية الفصيحة، كما ترى في قوله تعالى: « فما لهم عن التذكرة معرضين. » (المدثر ٤٩) وفي قول الشاعر:

فهلا أعدوني لمثلي تفاقدوا
وفي الأرض مبثوثاً شجاع وعقرب

وفي قول عروة بن حزام:

لئن كان يرد الماء هيمان صادياً
إليّ حبيباً إنها لحبيب

وفي مثل قولك: تبدو أطولَ من أبيك.. ففي الشاهد الأول جاءت الحال اسم فاعل « معرضين »، وفي الثاني جاءت اسم مفعول « مبثوثاً »، وجاءت في الثالث صفة مشبهة « هيمان » وفي المثال جاءت اسم تفضيل « أطولَ ».

غير أن هناك مواضع قليلة تأتي فيها الحال غير مشتقة، ولكنها مؤولة بالمشتق، وذلك إذا دلت على تشبيه، مثل: خضتُ المعركة أسداً. أي: شجاعاً. أو دلت على « مفاعلة » مثل: قابلته وجهاً لوجه. أي: مواجهة. أو دلت على ترتيب مثل: نزلوا درجة درجة، أي مرتبين.

وهناك مواضع أخرى تقع فيها الحال جامدة ، ولا تؤول بمشتق ، وذلك إذا وصفت بمشتق مثل : « إنا أنزلناه قرآناً عربياً . » (يوسف ٢) أو دلت على سعر ، مثل : اشتريت الكتب كتاباً بليرتين . او كانت عدداً مثل : جاؤوا اربعين رجلاً . أو دلت على طور مثل : أخوك جندياً خير منه طالباً . أو كانت نوعاً لصاحبها مثل : هذا مالك ذهباً . أو كانت اصلاً ، مثل : هذا خاتمك ذهباً .

٢ — وأما كونها نكرة فواضح لك في جميع الأمثلة والشواهد المتقدمة ، إلا ان بعض العبارات المسموعة من فصحاء العرب جاءت فيها الحال معرفة كقولهم : ذهبت وحدي . أي : منفرداً . وفعلته جهدي. أي : جاهداً . وجاؤوا قضَّهم بقضيضهم ، أي جميعاً ، ورجع عوده على بدئه . أي عائداً . ودخلوا الأول فالأول . أي مرتبين .

٣ — وقد تتكرر الحال ، كما ترى في قول الشاعر :

عهدتك ما تصبو وفيك شبيبةٌ
فما لك بعد الشيب صباً متيماً

وتقول : تبدو بين أقرانك نشيطاً ، ذكياً ، متحمساً لواجباتك ، قائماً عليها .

ب - حين تكون جملة :

١ — وفي مواضع كثيرة تقع الجملة موقع الحال المفردة ، ويشترط فيها أن تكون خبرية لا إنشائية ، فإنْ كانت جملة فعلية كان الفعل فيها اما مضارعاً ، واما ماضياً . تأمل قول الحطيئة :

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره
تجد خير نارٍ عندها خيرُ موقدِ

فقوله : تعشو ، جملة حالية ، فعلها مضارع ، كأنه قال : متى تأته عاشياً إلى ضوء ناره . وتأمل ايضاً قول النابغة :

وقفت بربـع الدار قد غير البلى
معـارفهـا والساريات الهواطل

فقوله : قد غير البلى . هي الحال ، وفعلها ماض ، لا مضارع . وهي – كما ترى – مصدرة بـ « قد » وهذا شرط لا بد منه في الفعل الماضي ، على حين لا يشترط في الفعل المضارع . غير أن « قـد » حذفت من الـكلام لفظاً ، وحينئذٍ لا بد من أن تكون مقدرة ، كما في قول الهذلي :

وإني لتعروني لذكراك هزة
كما انتفض العصفور بلله القطر

أي : قد بلله القطر .

ويكثر مجيء الحال جملة اسمية ، كما في قوله تعـالى : « لا تقربوا الصلاة وأنتم سُكارى » (النساء ٤٣) ومثله : خرجت من البيت والناس نيام ، ثم عدت اليه والشمس في المغيب .

٢ — ولا بد للجملة الحالية من رابط يربطها بصاحبها ، وهو ضمير يرجع إلى صاحب الحال ، وإما واو تسمى واو الحال او واو الابتـداء . ففي قول الهذلي : « بلله القطر » تجد ضميراً يعود إلى « العصفور » وفي قوله تعالى : « وأنتم سكارى » تجد واواً تتصدر الجمـلة الحالية ، وقد يجتمع الاثنان معاً كما في الآية نفسها ، فـ « أنتم » هو الضمير الرابط ، وقـد اجتمعت معه واو الحال .

٣ — صاحب الحال

١ — صاحب الحال هو الذي تبين الحال هيئة ، وغالباً ما يكون فاعلاً أو نائباً عن الفاعل ، وأقل من ذلك ان يكون مفعولاً به ، وقد يكون خبراً أو مجروراً بحرف جر ، أو بالإضافة ، ويندر أن يقع منادى او مبتدأ . ودونك الأمثلة على ذلك :

— جاؤوا أباهم باكين .	صاحب الحال فاعل
— رأيت البحر هائجاً .	〃 〃 مفعول به
— هذا بعلي شيخاً .	〃 〃 خبر .
— مررت بالحديقة مزهرة .	〃 〃 مجرور بالحرف
— « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً . »	〃 〃 مضاف اليه
— أخوك جندياً خير منه طالباً .	〃 〃 مبتدأ .
— يا بؤس للحرب ضراراً لأقوام .	〃 〃 منادي .

٢ — وفي هذه الأمثلة جميعاً تجد صاحب الحال إما معرفاً بأل ، وإما بالإضافة وتعريفه هو الأصل المستقرى من لغة العرب . ولكنه في بعض الأحيان يكون نكرة مفيدة ، كأن تكون موصوفة أو مضافة إلى نكرة مثل : « فيها يُفْرَق كل أمر حكيمٍ أمراً من عندنا . » (الدخان ٤ — ٥) ، فـ « أمر » هنا نكرة ، إلا انه حين وصف بـ « حكيم » صح أن يقع صاحباً للحال « أمراً » . ومثل ذلك قوله تعالى : « في أربعةِ ايامٍ سواءً للسائلين » (فصلت ١٠) ففيه صاحب الحال « اربعة » نكرة مضافة إلى نكرة مثلها « أيام » .

وانظر هذه الشواهد أيضاً :

– « وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون . » (الشعراء ٢٠٨)
صاحب الحال « قرية » وهي نكرة ، وإنما صح ذلك لأنها اعتمدت على النفي. وكذلك يصح إذا اعتمدت الاستفهام أو النهي .

– « أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها » (البقرة ٢٥٩)
صاحب الحال « قرية » ، وقد صح أن تكون نكرة لأن الحال جملة مقرونة بواو الحال .

– قال كثير عزة :

لميـــة موحشاً طلل يلوح كأنه خلل

صاحب الحال « طلل » وهو نكرة ، وصح ذلك لأن الحال « موحشاً » كانت في الأصل صفة له : « لمية طللٌ موحشٌ » ولكن حين تقدمت على موصوفها صارت حالاً .

٣ – ويقع صاحب الحال في الجملة قبل الحال ، وقد يتأخر عنها ، كما رأيت في بيت كثير عزة ، وفي بعض المواضع يجب تقديمه ، وفي مواضع اخرى يجب تأخيره ، وستوضح لك الأمثلة ذلك :

- ما جاء سعيد إلا راكباً . وقعت الحال بعد أداة الحصر فوجب تقديم صاحبها .

- تمتعت بجمال الحديقة مزهرةً . جاء صاحب الحال مضافاً اليه فوجب تقديمه .

- جئت والصباح في بدايته . وقعت الحال جملة مقرونة بالواو فوجب تقديم صاحبها .

- ما جاء راكباً إلا سعيد . هنا وقع صاحب الحال بعد أداة الحصر فوجب تأخيره .

- لمية موحشاً طلل . هنا كان موصوفاً في الأصل فوجب تأخيره .

- كيف استقبلت أخاك . الحال هنا اسم له الصدارة فوجب تأخير صاحبها .

٤ — العامل في الحال

١ — يعمل في الحال ثلاثة أشياء : الفعل ، وشبه الفعل ، وما فيه معنى الفعل . أما عمل الفعل فيه فالأمثلة المتقدمة كلها شواهد عليه ، وأما ما يشبه الفعل فمثل قولك : أذاهب انت راكباً . وأما معنى الفعل فنعني به ما يدل على معناه من الأدوات والأسماء ، كما في قول جرير :

هذا ابن عمي في دمشق خليفةً
لو شئت ساقكم اليَّ قطينا

فاسم الاشارة « هذا » يحمل معني الفعل ، ولذلك نصب الحال « خليفة ». ومن ذلك قول النابغة :

كأنه خارجاً من جنب صفحته
سفودُ شَرْب نسوه عند مُفْتَأدِ

فالأداة « كأن » فيها معنى الفعل ، ولذلك نصبت الحال « خارجاً ». ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : « فمالكم في المنافقين فئتين . » (النساء ٨٨) وقوله : « فمالهم عن التذكرة معرضين » (المدثر ٤٩) فأداة الاستفهام

« ما » فيها معنى الفعل ، ولذلك نصبت الحال في الآيتين « فئتين » و « معرضين » .

٢ — وقد يحذف العامل لقيام الدليل عليه ، هب أن سائلاً سألك: كيف ترى البحر ؟ فأجبته : هائجاً . فقولك : هائجاً . حال ، عمل فيه فعل محذوف ، تقديره : أراه هائجاً . وإنما حذفته لأن في جملة السؤال ما يدل عليه .

على أن هناك مواضع يحذف فيها عامل الحال وجوباً ، كما ترى في الأمثلة التالية :

- أنا ابن دارة معروفاً بها نسبي . الحال هنا مؤكدة لمضمون جملة، ولذلك وجب حذف العامل .

- يباع هذا بليرة فصاعداً . أي فيزيد السعر صاعداً .

- أكولاً وقد جد الناس ؟ وقعت الحال بعد استفهام للتوبيخ.

٣ — وهناك مواضع يتقدم فيها العامل على الحال أو يتأخر عنها وجوباً ، لا نرى موجباً لعرضها ، لأنها مما يعرف بالأمثلة والبديهة .

شواهد للتدريب

١ - قال أنيف بن جبلة يصف حصاناً :

وإذا اعترضت به استوت أقطاره
وكأنه مستدبراً مُتَصَوِّبُ

٢ - وقال سالم بن وابصة :

أحب الفتى ينفي الفواحشَ سمعُه

كأن به عن كل فاحشةٍ وقرا

٣ ـ قال إبراهيم بن هرمة :

بالله ربك إن دخلت فقل له

هذا ابن هرمةَ واقفـــاً بالبابِ

٥ ـ قال عروة بن حزام :

لئن كان برد المـاء هيمانَ صادياً

إليَّ حبيبـــاً إنهـا لحبيبُ

التمييز

هو اسم نكرة ، وظيفته في الكلام أن يبين إبهاماً تقدمه لفظاً أو تقديراً ، فاذا قلت : عندي عشرون . لا يعرف السامع ماذا تعني بلفظ « عشرون » ، لأنه مبهم غير محدد ، فقد يكون كتباً او أقلاماً او دفاتر او ... ولهذا يحتاج هذا اللفظ وأمثاله إلى ما يميزه ويبيّنه ويفسره ، تقول : عندي عشرون كتاباً ، وأنا اكثر من ذاك مالاً . فكلمتا «كتاباً ، ومالاً » تمييزان ، لأن الأولى وضحت الابهام في « عشرون » ، والاخرى وضحته في « أكثر » .

١ - نوع التمييز

آ - تمييز المفرد :

قد يكون الابهام في المفرد ، ويسمى التمييز الذي يوضحه : تمييز المفرد ، وله في كتب النحو مصطلحات ثلاثة : تمييز الذات ، لأن اللفظ المبهم يدل على ذات ، وتمييز الملفوظ ، لأن الابهام وارد في كلمة ملفوظة . ويقال له : تمييز المفرد ، كما تقدم .

والملفظ المبهم أنواع :

١ - العدد وتمييزه :

والأعداد كلها ألفاظ مبهمة لا بد لها من كلمة توضحها وتميزها ، وتحدد المقصود منها ، أما تمييزها فقد يكون منصوباً ، وقد يكون مجروراً

بالاضافة أو بالحرف ، وذلك على الشكل التالي :

- تمييز العدد المفرد وأشباهه :

تقول : عندي عشرة كتبٍ ، وثلاثة أقلامٍ ، وأمامَ المنزل سبعُ شجراتٍ ، وفي الطريق أربعُ فتياتٍ ، وخاض المعركة مئة جنديٍّ بل ألفُ بطلٍ . وعند فلان بضعةُ أعمالٍ ، وعدةُ مهماتٍ .

في هذه الأمثلة جاء العدد مفرداً ، أي يتألف من لفظ واحد ، وجاء بعده تمييز مجرور بالاضافة ليوضح إبهامه ويفسره ، ويلاحظ انه بصيغة الجمع ، إلا ما جاء منه بعد المئة والألف .

وتقول : عندي عشرة من الكتب ، وجاء ثلاثةٌ من الجند ، وغادرنا عشرة من الرجال ، وفي القرآن « فخذ أربعةً من الطير » (البقرة ٢٦٠) فالتمييز في هذه الأمثلة مجرور بمن .

فتمييز العدد المفرد إذاً يجر بالاضافة أو بمن .

- تمييز العدد المركب تركيب مزج :

العدد المركب ما تألف من لفظين يدلان على العدد ، رُكّب أحدهما مع صاحبه تركيباً مزجياً ، مثل : أحد عشر ، واثنتا عشرة ، وثلاثة عشر ، الخ .

والتمييز بعده يأتي مفرداً منصوباً ، كما في قوله تعالى : « إني رأيتُ أحد عشر كوكباً » (يوسف ٤) ، ومثله قوله : « فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً . » (البقرة ٦١) .

وقد يفصل بينه وبين التمييز بشبه جملة ، فلا يتغير الحكم فيه ، كما في قول جرير :

لي خمسَ عشرةَ من جُمادى ليلةً
ما أستطيعُ على الفراشِ رُقادي

- تمييز ألفاظ العقود :

أما ألفاظ العقود فهي : عشرون ، ثلاثون ، أربعون ... تسعون . والتمييز بعدها مفرد منصوب ، سواء أكان لفظ العقد مفرداً أم معطوفاً على عدد آخر ، انظر قول زهير :

وقفت بها من بعد عشرين حجـةً
فلأياً عرفتُ الدارَ بعد توهُّمِ

فقوله : حجة . تمييز وقع بعد « عشرين » ، فجاء مفرداً منصوباً . وانظر أيضا قوله تعالى : « إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجةً . » (ص ٢٣) وقول عنترة :

فيها اثنتان وأربعون حلوبةً
سوداً كخافية الغراب الأسحم

في الآية القرآنية جاء التمييز « نعجة » بعد لفظ العقد « تسعون » مفرداً منصوبا ، وكذلك جاء في قول عنترة « حلوبة » . وكل من العقدين كما ترى معطوف على عدد مفرد قبله .

- كنايات العدد :

وللعدد ثلاث كنايات هي : كم ، كأين ، كذا . ولكل منها استعمال :

فأما « كم » فنوعان : خبرية ، واستفهامية .

والخبرية ما دلت على كثرة مبهمة ، مثل : كم شهيدٍ هوى على الأرض!! فـ « كم » هنا ليست للاستفهام ، لأنها لا تحمل معنى السؤال ، ولكنها تعني :

كثير من الشهداء هووا على الأرض. وتمييزها مجرور بالاضافة كما مرَّ أو بمِن، نحو قول زهير:

جعلن القنان عن يمينٍ وحَزْنَهُ
وكم بالقنان من محل ومُحْرِمِ

وأحياناً يُفصل بينها وبين تمييزها بفاصل، فينصب أو يجر بمِن، ولا يجوز جره بالاضافة، مثل: كم عند فلان دفتراً، أو: كم عنده من دفتر. وإنما امتنع أن يكون مجروراً بالاضافة لأن المضاف والمضاف إليه بمنزلة الكلمة الواحدة، والفصل بينهما قبيح.

أما «كم» الاستفهامية، فتمييزها لا يختلف عن تمييز ألفاظ العقود، فهو مفرد منصوب، مثل: كم كتاباً عندك؟ وكم دفتراً اشتريتَ؟. وأجازوا جره بـ «من» مقدرة إذا سبقت «كم» بحرف جر، مثل: بكم ليرةٍ اشتريتَه؟ والنصب أقوى.

وقد يحذف تمييز «كم» بنوعيها: الخبرية والاستفهامية، تقول: كم سرتَ؟ أي: كم ميلاً سرتَ؟ وكم شكوت البَيْنَ!! أي: كم مرةٍ شكوت البين.

ومن كنايات العدد «كأيِّنْ»، وفي لفظها أربع لغات: كأيِّنْ، وكأيِنْ، وكائِنْ، وكَيْئِنْ. أما معناها فلا يختلف عن معنى «كم» الخبرية في دلالته على الكثرة. وتمييزها مفرد مجرور بمِن (١)، كقول زهير:

وكائِنْ ترى من صامتٍ لك معجب
زيادتُه أو نقصه في التكلمِ

---

(١) ورد في الشعر منصوباً على قلة.

وقوله تعالى : « وكأيِّنْ من دابةٍ لا تحمل رزقها » (العنكبوت ٦٠) وقوله : « وكأيّن من نبي قاتل معه ربيون كثير » (آل عمران ١٤٦).

أما « كذا » فهي من كنايات العدد أيضاً ، وتشبه « كم » الاستفهامية في المعنى ، لدلالتها على الكثرة والقلة ، وفي نصب تمييزها وإفراده ، تقول : عندي كذا وكذا كتاباً . جاء كذا طالباً .

٢ - تمييز المقادير وأشباهها :

والمقادير أيضاً اسماء مبهمة تحتاج الى ما يفسرها ويوضحها من الكلمات ، وهي المساحة ، والوزن ، والكيل ، والمقياس ، واشباهها . تقول : سرت ميلاً أرضاً ، واشتريت رطلاً عسلاً ، وليتراً حليباً ، ومتراً قماشاً .

وتقول : ما في السماء قدر راحةٍ سحاباً ، وفي القرآن الكريم : « فمن يعمل مثقالَ ذرةٍ خيراً يره » (الزلزلة ٧) ومن أمثالهم : خبأت جرة عسلاً ، وبرميلاً دبساً ، ووقعنا مدَّ يدك عريضةً .

وثمة ما يجري مجرى المقادير ، ككلمتي : مثل ، وغير ، في قولك : عندي مثل ما عندك كتباً ، وتملك فلان غير ما تملك ذهباً .

٣ - تمييز الذوات المبهمة :

وثمة كلمات تدل على ذوات مبهمة المادة ، مثل : خاتم ، ساعة ، سوار ، حُلة ، فالخاتم يصنع من الذهب أو الفضة أو النحاس ، وكذلك الساعة والسوار ، والحلة قد تكون جوخاً وغيره . فاذا قلت : عندي خاتم . لا يعرف ممَّ صنع ، فلازالة الابهام تقول : عندي خاتم ذهباً ، أو فضة ، أو نحاساً . ولبست فاطمة سواراً ذهباً أو فضة . واشتريتُ حلة جوخاً .

ب ـ تمييز النسبة :

على أن الابهام لا يكون في المفردات فقط ، فقد يكون في نسبة شيءٍ الى آخر ، فاذا قلت : أعجبتني أشجارُ الحديقةِ . نسبت فعل الاعجاب الى الأشجار لا إلى الحديقة ، فاذا تصرفت في ذلك وقلت : أعجبتني الحديقةُ أشجاراً ، نسبت فعل الاعجاب هنا الى الحديقة كلها ، ولكنك عدت فميزتها بقولك : أشجاراً . انحدد نسبة الاعجاب تحديداً دقيقاً .

وهذا التمييز إما أن يكون محولاً ، وإما أن يكون غير محول .

١ ـ التمييز المحول :

يحول التمييز عن أحد ثلاثة : عن فاعل ، ومفعول به ، ومبتدأ . وذلك واضح في الأمثلة الآتية :

ـ اشتعل الرأس شيباً . أصله : اشتعل شيبُ الرأسِ . فتحول الاسناد ونسب إلى الرأس كله ، ثم ذكر الشيب ليميز إبهام النسبة ، فنصب على التمييز المحول عن فاعل ومثله : أعجبتني الجامعة بناءً ، وراعني الكتاب طباعة .

ـ فجرنا الأرض عيوناً . أصله : فجرنا عيونَ الأرضِ . ثم أوقع فعل التفجير على الأرض كلها ، وذكرت العيون لتمييز إبهام النسبة ، فنصبت على التمييز المحول عن مفعول به .

ـ السيف أصدق إنباءً من الكتب . أصله : إنباء السيف أصدقُ من إنباء الكتب . ثم أسند الصدق الى السيف كله ، وذكر المصدر بعده (إنباء) ليحدد نسبة الاسناد بدقة . فهو تمييز محول عن مبتدأ (١) .

---

(١) يرى بعض النحويين أن التمييز في مثل هذا التركيب محول عن فاعل ، لأن ما بعد اسم التفضيل فاعل في المعنى .

٢ ـ التمييز غير المحول :

من صور هـذا التمييز ما يأتي في صيغ التعجب ، نحو : لله دره فارساً . ما أعظمه بطلاً ، أكرم به رجلاً . وهو تمييز يبين ابهام النسبة ، فبعد أن يكون التعجب منسوباً إلى المتعجب منه عامة ، يخصص وتحـــدد النسبة فيه ، بالفروسية ، أو البطولة ، أو الرجولة . وهو غير محول عن فاعل أو مفعول أو مبتدأ .

٣ ـ أحكام التمييز

١ ـ إعرابه :

يعمل في تمييز المفرد المبهمُ قبله ، أما تمييز الجمـلة فيعمل فيه الفعل وأشباهه نحو : طاب فلانٌ نفساً . ونحو : فلان طيب قلباً . أو : مُعْجِب خلقاً . ويكون منصوبا طوراً ، ومجروراً طوراً آخر ، وذلك على الشكل التـالي :

ـ **يكون واجب النصب** : إذا كان تمييزاً محولاً عن فاعل أو مفعول ، أو مبتدأ ، كما تقدم في الأمثلة ، وإذا وقع بعد العدد المركب أو بعد لفظ من ألفاظ العقود ، أو بعد « كم » الاستفهامية التي لم تسبق بحرف جر .

أما قولك : اشتريت عشرين من الكتب . أو : خمسة عشر من الكتب ، فلا يدل على أن التمييز في هذا الموضع جائز الجر ، لأنك عرفت أن التمييز بعد هذا النوع من الأعداد يجب أن يكون مفرداً منصوبـاً ، وهو هنا كما ترى جمع ، ولو أنك حاولت أن تأتي به مفرداً مجروراً لمـا أتيت بكلام عربي ، إذ لا يقال : اشتريت عشرين من كتاب .

ولك في المثالين السابقين ، أعني : عشرين من الكتب ، وخمسة عشر

من الكُتب ، وجه لا يخلو من دقة ، وهو أن يكون التمييز محذوفا لأن شبه الجملة أغنت عنه ، لأن « من » فيها بيانية ، فكأنك قلت : اشتريت عشرين نسخة من الكتب ، وهذا واضح جداً في قول الحارث بن حلزة اليشكري :

وثمانون من تميم بأيديـ ـهم رماحٌ صُدورُهُنّ القضاءُ

فكأنه قال : وثمانون فارسا من تميم .

ـ **ويكون واجب الجر** : بعد الأعداد المفردة ، وبعد « كم » الخبرية إذا لم يفصل بينهما بفاصل ، وزعم ابن عصفور أن جره بعد « كأيّن » واجب ، وقد ورد في الشعر منصوبا قليلاً . كقول الشاعر :

أطرد اليأس بالرجا فكأيّنْ
آلما حُمّ يُسْرُهُ بعد عُسْرِ

ـ **يجوز فيه النصب والجر** : في غير ما ذكر ، مثل : عندي ليترٌ حليباً ، أو : ليترُ حليبٍ ، أو ليترٌ من حليب . الخ .. وكذلك تمييز « كم » الاستفهامية المسبوقة بحرف جر ، مثل : بكم ليرةٍ أو ليرةً اشتريت هذا .

٢ ـ تنكيره :

والتمييز اسم نكرة في الأصل ، إلا أنه ورد في شواهد فصيحة قليلة معرفة لفظاً ، نكرة معنى ، كقوله تعالى : « ومن يرغبُ عن ملة إبراهيم إلا من سَفِهَ نَفْسَهُ » (البقرة ١٣٠) والتقدير : سفه نفساً . وقوله : « كم أهلكنا من قريةٍ بطرت معيشتَها » (القصص ٥٨) والتقدير : بطرت معيشةً وكقول رشيد اليشكري :

رأيتُك لما أن عرفتَ وجوهنا
صددتَ وطبتَ النفسَ يا قيسُ عن عمرِو

والتقدير : طبت نفساً .

٣ - جموده :

والتمييز أيضاً اسم جامد ، وبهذا يختلف عن الحال التي تتميز بأنها اسم مشتق . إلا أن للتمييز حالات يظهر فيها مشتقاً كما في قولهم : لله دره فارساً . والحق أن التمييز هنا محذوف حلت محله صفته ، وكان التقدير : لله دره رجلاً فارساً . وهذا في العربية كثير ، فكما تنوب الصفة عن موصوفها الفاعل والمفعول و.. مثل : جاء البطلُ ، والتقدير : جاء الرجل البطل . كذلك تنوب عن موصوفها التمييز وتعرب إعرابه . ويكون هذا غالباً في تمييز الجملة .

٤ - تأخيره :

ويقع التمييز متأخراً عن العامل فيه ، فلا يقال : عسلاً اشتريت رطلاً ، ولا كتاباً ابتعت عشرين ، ولكن النحاة مختلفون في جواز تقديم التمييز حين يكون عامله فعلاً متصرفاً ، فأجازه بعضهم محتجين بهذا البيت الذي ينسب إلى المخبل السعدي ، وأعشى همدان ، ومجنون ليلى :

أتهجر ليلى بالفراقِ حبيبها
وما كان نفساً بالفراقِ تطيبُ

وبقول شاعر من قبيلة طيء :

أنفساً تطيب بنيل المنى وداعي المنون ينادي جهارا

وأنكر ذلك آخرون ، وقالوا : إن في البيتين شذوذاً يخرج بهما عن سنن العربية ، فلا يجوز لأحد أن يجعلهما أصلاً يقيس عليه .

شواهد التدريب

١ — قال زهير :

وذاك أحزمهم رأياً إذا نبـــأٌ
من الحوادثِ غادى الناسَ أو طرقا

٢ — وقال يصف قطاة يلاحقها الصقر :

لا شيءَ أسرعُ منها وهي طيبـــةٌ
نفساً بمـا سوف ينجيهـا وتتّرِكُ

٣ — قال جرير :

لم تلقَ أخبثَ يا فرزدقُ منكم
ليـلاً ، وأخبثَ بالنهارِ نهارا

٤ — وقال :

هلا تحرجتِ ممـا تفعلين بنا
يا أطيبَ الناسِ يومَ الدجنِ أرْدانا



الاستثناء

المستثنى هو الاسم الذي تسبقه أداة استثناء، ويخالف في الحكم ما قبلها، مثل: رجع الجندُ إلاّ علياً. فالحكم هنا هو رجوع الجند، ولكن «علياً» لم يرجعْ فخالف الحكم الذي سرى على الجند.

وفي جملة الاستثناء، مستثنى، وهو هنا «عليٌ»، ومستثنى منه وهو «الجند» وأداة استثناء وهي «إلاّ»، وحكمه وهو «الرجوع».

آ – أنواع الاستثناء

للاستثناء أنواعٌ ثلاثةٌ، يرجع اثنان منها إلى طبيعة الصلة بين المستثنى والمستثنى منه، ويرجع الآخر الى طبيعة العامل النحوي، واليك تفصيل ذلك:

١ ـ الاستثناء المتصل:

إذا كان المستثنى من جنس المستثنى منه سمي استثناءً متصلاً، مثل: سافر اخوتُك إلاّ سميراً، فسميرٌ من اخوتك، وقد خالف في حكم السفر بقيةَ الإخوة، ومثله: جاء الناسُ إلاّ عليا. ونجح الطلاب إلا خالداً، فعليٌ من جنس الناس، وخالدٌ من جنس الطلاب.

٢ ـ الاستثناء المنقطع:

وهذا ضربٌ مقابلٌ للاستثناء المتصل، وهو ما كان فيه جنس

المستثنى مخالفا لجنس المستثنى منه، تقول: خرج الطلابُ من القاعة إلاّ كتبَهُمْ. فالكتب - وهي المستثنى - ليست من جنس الطلاب، وهم المستثنى منه، وكقوله تعالى: «مالهم به من علم، إلاّ اتباعَ الظنّ.» (النساء ١٥٧) فاتباع الظن مخالف في الجنس للعلم. ومثله قول النابغة الذبياني:

وقفتُ فيها أصيلاً كي اسائِلَها
عَيَّتْ جواباً، وما بالربعِ من أحَدِ
إلاّ الأواريَّ لأْياً ما أُبيِّنُها
والنؤيُ كالحوْضِ بالمظلومةِ الجَلَدِ

فالأواريُّ - وهي محابس الخيل - ليست من جنس المستثنى منه وهو: أحد.

٣ - الاستثناء المفرّغ:

وهذا النوع يرجع إلى طبيعة العامل النحوي، إذ يحذف فيه المستثنى منه، ويتفرّغ العامل قبل «إلاّ» ليعملَ فيما بعدها. كما يوضحه لك المثالُ الآتي:

«ما جاء إلاّ المجدُ»

فالفعل جاء لم يرفع فاعلاً قبل «إلاّ»، ولم يؤثر في اسم معرب، ولذلك تجاوز تأثيرهُ الأداةَ، ووصل الى الاسم بعدها وهو «المجدُ» فرفعه على أنه فاعلٌ له. وعلى هذا يكون الاستثناء المفرّغ ما جاء فيه العامل قبل «إلاّ» مؤثراً فيما بعدها، وذلك لحذف المستثنى منه. كما في الأمثلة الآتية:

- ما رأيت إلا علياً.

فالفعل رأيت قبل «إلاّ» تفرّغ للعمل فيما بعدها، فنصب عليّاً، على أنه مفعول به، وقد حذف المستثنى منه.

ـ ما هذا إلاّ كتابٌ . المبتدأ : هذا ، رفع الخبر بعد « إلا » وقد حذف المستثنى منه .

ـ ما مررتُ إلاّ بأخيك . فالفعل « مررت » عمل في شبه الجملة : بأخيك ، لأنها تتعلّق به ، وقد حذف المستثنى منه .

ـ ما رأيتك إلاّ باسماً . الفعل « رأيت » نصب الحال بعد « إلاّ » وقد حذف المستثنى منه .

وأنت تلاحظ في الأمثلة السابقة أنّ الاستثناء المفرّغ سُبِقَ بأداةَ النفي ، وهو الأصل الكثير المستَقْرَى من لغة العرب ، إلاّ أنه في بعض الأحيان ، يسبق بما يشبه النفي ، وهو ثلاثة أشياء :

١ ـ النهي : تقول : لا تُعطِ إلاّ الفقيرَ ، ولا تذهبْ إلا الى السوق ، ولا تَنَمْ إلاّ مطمئناً .

٢ ـ الاستفهام الذي خرج عن معناه إلى معنى النفي . وغالباً ما تكون أداتُه « هل » مثل : « فهل يَهْلِكُ إلاّ القومُ الفاسقون . » (الأحقاف ٣٥) . أي لا يهلك إلاّ الفاسقون . وقد يكون بغير «هل» كقوله تعالى : « ومَنْ يغْفِرُ الذنوبَ إلا اللهُ . » (آل عمران ١٣٥) . أي : لا يغفرها إلاّ اللهُ .

٣ ـ الفعل الذي فيه معنى النفي ، تقول : أبي أخوك إلا النجاحَ . فالفعل « أبى » فيه معنى النفي . فكأنك قلت : لم يرضَ أخوك إلا النجاحَ .

ب ـ أدواتُ الاستثناء

أدوات الاستثناء تسعٌ ، هي : إلاّ ، غير ، سوى ، خلا ، عدا ،

حاشا ، ليس ، لا يكون ، بيد . وهي كما ترى مختلفة ، فبعضها حرف ، وبعضها : اسمٌ ، وبعضها : فعلٌ ، ولنتحدَّثْ عن كلٍّ منها .

١ ـ إلاَّ :

هي أمُّ أدوات الاستثناء ، واكثرها استعمالاً ، إلاَّ انها في بعض الأحيان تخرج عن معنى الاستثناء إلى معنى آخر ، ونحن مضطرون هنا إلى أن نذكر معانيها كلَّها لأنها تدخل في البحث .

ـ **الاستثناء** : وهو أهم معانيها . إذ يكون ما بعدها خارجاً من حكم ما قبلها مثل : هربَ الناسُ إلاَّ أخاك .

ـ **الحصر** : وذلك إذا جعلتَ الحدثَ مقصوراً على ما بعدها ، وفي هذه الحال يكون الاستثناء مفرغاً ، وقد مرَّت بك أمثلته الكثيرة ، وهي هنا تشبه أداة الاستثناء السابقة من حيث الدلالة ، لأن ما بعدها يخرج من حكم ما قبلها ، إلا أن هذا ليس هو المهم في استعمالها ، فالغاية منها أن تجعل الحدث الذي يسبقها مقصوراً على ما بعدها ، تأمل قول النابغة :

أبى اللهُ إلاَّ عـــدْلَه ووفاءَهُ
فلا النكر معروفٌ ، ولا العُرْفُ ضائعُ

فمعنى جملة الاستثناء هنا هو : أبى اللهُ كل شيءٍ إلاَّ عدْلَهُ ، فالعدلُ يخرج من حكم ما قبله ، ولكن ليس هـذا هو المهم ، بل المهم التعبير عن قَصْر نفي الاباء على العدل والوفاء .

وأحياناً يأتي بعد أداة الحصر جملة مؤولة بمفرد ، كقول الأعشى :

لم تمشِ ميلاً ، ولم تركب على جملٍ
ولم ترَ الشمس إلاَّ دونها الكلَلُ

وتأويلها هنا : أي لم تر الشمسَ إلاّ مظلّلة بالكآبة . ومثله قولهم : ما تكلم فلانٌ إلاّ قال خيراً . اي : إلا قائلاً خيراً ، وكقوله تعالى : « وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون . » (الشعراء ٢٠٨) . أي منذرين إياها ، وإعراب الجملة في مثل هذا : في موضع نصب على الحال .

ـ **الاستدراك** : وهـــذا موضع آخر لا تكون فيه « إلاّ » أداة استثناء وإنما تكون فيه بمعنى لكن ، ولا يكون ما بعدها خارجاً من حكم ما قبلها ، والكلام قبلها تامٌ كامل المعنى ، كما في قوله تعالى : « ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، إلا تذكرة لمن يخشى . » (طه ٣٠٢) ، أي ما أنزلناه لشقائك ، لكن انزلناه تذكرة [1] .

ـ **بمعنى « غير »** : وكذلك لا يخرج ما بعدها عن حكم ما قبلها في هذه الحال ولكنها تؤدي معنى « غير » تأمل قوله تعالى : « لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لفسدتا . » (الأنبياء ٢٢) ، فهل يمكن أن يكون معنى « إلاّ » الاستثناء ؟ لو كان كذلك لصار المعنى كما يلي : لو كان فيهما آلهة ليس اللهُ معهم لفسدتا . وهذا يعني أنّ الفساد حصل لأنّ الله لم يكن مع الآلهة ، ولو كان معهم لما حصل الفساد ، وهذا معنى لا تؤديه الآيةُ ، لأن معناها : لو كان في السماء والأرض آلهةٌ أخرى غيرُ الله لفسدتا ، وبهذا لا تكون « إلاّ » للاستثناء ، بل بمعنى « غير » .

وإعراب « إلاّ » هنا يختلف عن إعرابها في المواضع الأخرى ، إذ تكون هي وما بعدها صفةً لجمع بصيغة التنكير ، كما في الآية السابقة ،

---

(١) للنحاة في إعراب إلاّ تذكرة : كلام واختلاف . انظر تفسير القرطبي ١١/١٦٩ ، والبحر المحيط : ٦/٢٢٥ ، وانظر كتابنا : المختار من أبواب النحو ص ٣٣٢ وما بعدها .

فالموصوف فيها قوله : « آلهة » والصفة قوله : « إلاّ اللهُ » ، وقد يبدو غريباً جداً وصف النكرة بالمعرفة ، إلاّ أن هذا محضُ صناعة نحوية ، وتفصيل ذلك أنّ « إلاّ » وحدها هي الصفـــة في المعنى ، لأنها بمعنى « غير » ، ولكنها حرف لا يتحمل الإعرابَ ، فانتقل إلى الكلمة بعدها ، وهذا التعليل - وإن لم يذكره النحاة - هو الوجه الذي يُقبل به ، وهو الوجه الذي أرادوه .

٢ - غير ، سوى :

وهذان اسمان ، ولذلك يعربان إعراب الاسم الذي بعد « إلاّ » ، نحو : جاء الناسُ غيرَ خالدٍ ، فغير اسم منصوبٌ على الاستثناء ، و «خالد» الذي هو المستثنى في المعنى صار مضافاً اليه في اللفظ ، وتستطيع فَهْمَ هذا إذا وازنت بين الجمل الآتية :

رأيتَ الناسَ إلا خالداً = رأيت الناسَ غيرَ خالدٍ = رأيت الناسَ سوى خالدٍ
حملتُ أمتعتي إلا الكتبَ = حملت أمتعتي غيرَ الكتب = حملت امتعتي سوى الكتب
ما جاء إلا خالدٌ = ما جاء غيرُ خالدٍ = ما جاء سوى خالدٍ .

و « غير وسوى » في هذا التركيب اسمان معربان ، تظهر فيه الحركات على « غير » وتقدر على « سوى »(١) .

وكثيراً ما يكون الاستثناء بـ « غير » منقطعاً ، كقول النابغـــة الذبياني في مديح الغسانيين :

---

(١) يرى جمهور البصريين أن « سوى » ظرف مكان ، فاذا قلت : لا أبتغي جاراً سواك . كان المعنى : لا ابتغي جاراً مكانك . ولهم في هـــذا كلامٌ طويل .

ولا عَيْبَ فيهِمْ ، غيرَ أنَّ سيوفَهم
بهنَّ فلولٌ من قراعِ الكتائبِ

فكون سيوفهم بهن فلول من القراع ليس من جنس العيب .

٣ ـ خلا ، عدا ، حاشا :

وهذه الأدوات تؤدي معنى الاستثناء ، تقول : جاء القومُ خلا زيداً ، أو زيدٍ ، ومررتُ بهم عدا أخاك أو اخيك ، وسرق الأولاد حاشا أخاك أو اخيك .

فمعني هذه الأدوات كما ترى لا يختلف عن معنى « غير » و « إلا » ولكنها من حيث الاعراب لا تعرب أدوات استثناء ، ولا اسماءً منصوبة على الاستثناء ، وإنما تُعرب كما يلي :

ـ جاء القومُ عدا زيداً ، أو خلا زيداً ، أو : حاشا زيداً .

عدا أو خلا أو حاشا : فعل ماضٍ جامدٌ ، وفاعله ضمير مستتر وجوباً تقديره هو « على غير المألوف » ، يعود إلى مصدر منتزع من الفعل المتقدم « جاء » . والتقدير : عدا مجيئُهم زيداً (١) .

وزيداً : مفعول به منصوب .

وجملة : عدا زيداً : في محل نصب ، حال (٢) .

وهناك صورة اخرى لهذه الأدوات ، وهي أن يكونَ ما بعدها

(١) هناك آراء أخرى ليست بذات شأن .

(٢) لم تلحق « قد » الجملة لأن فعلها جامد .

مجروراً ، فتكون حروفَ جرٍّ ، مثل : جاء القوم عدا زيدٍ ، خلا زيدٍ ، حاشا زيدٍ .

والجار والمجرور يتعلقان بالفعل المتقدم عليها (١) .

وثمّة صورة ثالثة لاستعمالها ، وهي ان تدخل عليها « ما » المصدرية . وحينئذٍ لا تكون إلا افعالاً تنصب ما بعدها ، لأن « ما » المصدرية تكاد تختص بالدخول على الأفعال ، تقول : جاء القومُ ما خلا زيداً ، وما عدا زيداً ، وما حاشا زيداً . وتعرب كما يلي :

ما : مصدرية .

خلا ، عدا ، حاشا : فعل ماضٍ جامد ، والفاعل ضمير مستتر .. الخ ... والمصدر المؤول في محل نصب حال . والتقدير : جاء القومُ مجاوزين زيداً ، والجملة صلة الموصول الحرفي ، لا محل لها من الاعراب . وقد قدّر المصدر - كما ترى - اسم فاعل لأن الأفعال الجامدة ليس لها مصادر .

وقد يحذف الفعل وتبقى اختصاراً وتخفيفاً في النطق ، كما في قول العرب : « كل شيءٍ مَهَهٌ - أي سهلٌ - ما النساءَ ، وذكرَهُنّ » والتقدير : ما خلا النساء وذكرهُنّ .

٤ - ليس لا يكون :

وهذان فعلان ناقصان ، إلا أنهما في الاستثناء يستتر اسمهما وجوباً : تقول : جاء الناسُ ليس زيداً ، أو لا يكون زيداً ، ومنه قول تأبّط شراً :

---

(١) يرى بعضهم أنها حروف جر شبيهة بالزائدة ، وما بعدها مجرور لفظاً ، منصوب محلاً على الاستثناء ، وليس ببعيد ، لأنها لا توصل معنى الفعل إلى مجرورها ، وبهذا تشبه « ربَّ » . ولكن النحاة الثقات لا يقولون بذلك .

لا شيءَ أسرعُ مني ليس ذا عُذَرٍ
وذا جناحٍ بجنبِ الرَّيْدِ خفّاقِ (١)

٥ - بَيْدَ :

وهي ملحقة بأدوات الاستثناء، وليست أصيلة فيها، لأنها لا تتصرف كما تتصرف «غير، وسوى» مثلاً، إذْ يشترط في استعمالها أن يكون الاستثناء منقطعاً، وأن يأتي بعدها مصدرٌ مؤول مجرور بالإضافة مثل: ذهبت إلى الشاطيء بَيْدَ أني لم أطِلْ الوقفةَ.

ج - اعراب المستثنى:

النحاة مختلفون في ناصب المستثنى بـ «إلاّ»، وخير آرائهم ما يذهب إلى أنه الفعلُ بوجود «إلاّ»، أما «غير وسوى»، فالعامل فيهما الفعل قبلهما.

أمّا إعرابه فعلى الشكل التالي:

١ - واجب النصب:

- يجب نصب المستثنى حين يكون الكلام قبل «إلاّ» مثبتاً تاماً، كقوله تعالى: «الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعضٍ عدوٌّ إلا المتقين.» (الزخرف ٦٧).

- ويجب نصبه إذا تقدم المستثنى على المستثنى منه كقول كعب بن مالك:

النّاسُ ألبٌ علينا فيكَ ليسَ لنا
إلاّ السيوفَ وأطرافَ القنا وَزَرُ

(١) عذر: جمع عذرة، وهي ناصية الفرس. الرَّيْدُ: أعلى الجبل.

(٢) انظر تفصيل ذلك في كتابنا «المختار من أبواب النحو: ص ٣٣٦ - ٣٤٢

وقولِ الكميت بنِ زيد :

وما ليَ إلا آلَ أحمدَ شيعةٌ

وما ليَ إلا مذهبَ الحقِّ مذهبُ[1]

ـ ويجب نصبه في لهجة سكان الحجاز إذا كان منقطعاً ، فقد كانوا ينشدون قولَ النابغةِ بنصب « الأواريَّ » :

وقفتُ فيها أصَيْلاناً أسائلُها

عيَّتْ جواباً ، وما بالربعِ من أحدِ

إلا الأواريَّ .. الخ ..

أمَّا التميميّون فقد كانوا يبدلونه من المستثنى منه ، وينشدون شعر النابغة بالرفع ، بدلاً من محل « أحد » .

٢ ـ جواز النصب وغيره :

ويجوز نصبه إذا كان الكلام قبل « إلا » تاماً منفيّاً مثل : ما جاء القومُ إلا سعيداً ، ويجوز هنا وجه آخر ، وهو جعل الاسم بعد « إلا » بدلاً تابعا في إعرابه للمستثنى منه ، مثل : ما جاء القوم إلا سعيد ، وما رأيت القومَ إلا سعيداً .

ويلحق بالنفي في هذا الأسلوب : النهي ، والاستفهام الإنكاري ، والفعل الذي فيه معنى النفي مثل : أبى .

---

(١) وتفصيل ذلك أن المستثنى إمّا أن يكون منصوباً على الاستثناء ، وإما أن يكون بدلاً من المستثنى منه وحين يتقدم على المستثنى منه لا يمكن أن يكون بدلاً منه ، ولذلك وجب نصبه على الاستثناء .

ومرّ بنا ايضا أن بني تميم يجعلون المستثنى في الاستثناء المنقطع بدلاً من المستثنى منه .

٣ ـ الاستثناء المفرّغ :

أما في الاستثناء المفرّغ فالاسم بعد « إلا » يخضع للعامل الذي قبلها، وقد مرّ بنا هذا فلا نعيده .

شواهد للتدريب

١ — « كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلاّ ساعة من نهار، بلاغ ، فهل يهلك إلاّ القوم الفاسقون . » (الأحقاف ٣٥)

٢ — « ويأبى اللهُ إلاّ أن يتمّ نوره ، ولو كره الكافرون . »
(التوبة ٣٢)

٣ قال ذو الرمة :

هلِ الناسُ إلا نحن أم هل لغيرنا
بني خِنْدِفٍ إلا العواريّ مِنْبَرُ

٤ — قال الأخطل :

رأيتُ الناسَ ما حاشا قريشاً
فإنا نحنُ أفضلُهم فَعالا

٥ — قال النابغة الذبياني :

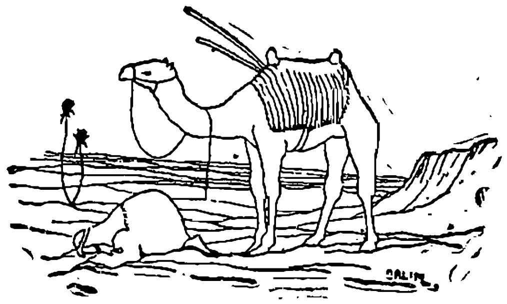
فما وجدتُ بها شيئاً ألوذُ بهِ
إلا الثمامَ ، وإلا موقدَ النارِ

٦ — قال عمرو بن معد يكرب :

وكلُّ أخٍ مفارقُهُ أخوهُ
لعَمرُ أبيكَ إلاَّ الفرقدانِ

٧ — قال زهير :

وما الحربُ إلا ما علمتم وذُقْتُمُ
وما هو عنها بالحديثِ المرجَّمِ



المنادى

النداء اسلوب من أساليب العربية يكثر استعماله في الكلام، ولذلك يُحذف فيه ما لا يحذف في غيره من الأساليب، ولهذا كان القدماء يقولون: النداء باب حذفٍ وتغيير.

آ — ادوات النداء :

١ — يا :

هذه أولى ادوات النداء، واكثرها استعمالاً، ولذلك كانت أمَّ الباب، كما يقول القدماء، نادى بها العربُ القريبَ والبعيد، واستعملوها في نداء الاستغاثة والتعجب والندبة، ولا ينادى لفظ الجلالة إلا بها. ولا يقدَّر من ادوات النداء غيرها مع المنادى الذي حذفت أداته، ولم يستعمل القرآن الكريم غيرها من الأدوات.

ولا يجوز حذف «يا» إلا مع المنادى المعرفة، كقوله تعالى: «يوسف أعرِضْ عن هذا.» (يوسف ٢٩). أي يا يوسف، وقول صخر بن عمرو يرثي اخاه معاوية :

إذا ما امرؤ أهـــدى لميْتٍ تحيةً
فحيَّاكَ ربُّ العرشِ عني مُعاويا

أي : يا معاويَ.

ولا يجوز حذفها مع المنادى النكرة، لأن النكرة عامة شائعة،

فإذا لم تُذكر قبلها أداة النداء حدثُ اللبسُ، فلا تقول : رجلاً أقبلْ .

إلا أن النصوص المنقولة من الشعر والأمثالِ حملت هذه الظاهرة، إذْ حذفت « يا » فيما أشبه المعرفة، كالنكرة المقصودة، يقول الأعشى :

وحتى يبيتَ القومُ في الصفِ ليلةً
يقولون : نوّر صبحُ ، والليلُ عاتمُ

وتقديره : نوِّرْ يا صُبحُ . ويقول بشر بنُ أبي خازم :

فباتَ يقولُ : أصْبِحْ ليلُ ، حتى
تجلّى عن صريمتهِ الظلامُ

أي : أصبحْ يا ليلُ . ومن أمثالهم المسموعة : اصبح ليلُ (١)، وأطرق كرا (٢)، وافتدِ مخنوقُ (٣)، وتقديرها : يا ليلُ ، ويا كروانُ ، ويا مخنوقُ .

٢ ـ أ ـ أي :

وهاتان الأداتان لنداء القريب، لخلوّهما من الصوت الممدود، كقولك: أخالدُ اقبلْ . أيْ بُني وكقول كثيّر عزّة :

ألمْ تسمعي أيْ عبْدَ في رونقِ الضحى
بكاءَ حماماتٍ ، لهنّ هديرُ

(١) انظر مجمع الأمثال ٤٠٣/١ برقم : ٢١٣٢ .
(٢) نفسه : ٤٣١/١ . برقم : ٢٢٧٣ .
(٣) نفسه : ٧٨/٢ . برقم : ٢٧٦٥ .

وقول عبدِ يغوث الحارثي :

أقولُ وقـد شدّوا لساني بنسعةٍ
أمعشرَ تيمٍ أطلقوا من لسانيا

٣ ـ آ ، أيا ، هيا :

وهذه الأدوات ينادى بها البعيد ، لما فيها من اصوات المدّ التي تنبّهُ المنادى ، كقول ذي الرمّة :

أيا ظبيةَ الوعساءِ بينَ جُلاجلٍ
وبين النقا آأنتِ ، ام أمُّ سالمِ

وقول قيس بنِ الملوّح :

أيا جَبَلَيْ نعمانِ باللهِ خليـا
نسيمَ الصَّبا يَخلصْ إليَّ نسيمُها

وكقول الآخر :

هيا أمَّ عمروٍ هل ليَ اليومَ عندكمْ
بغيبةِ أبصـارِ الوُشاةِ سبيلُ

٤ ـ وا :

وهذه أداةٌ تستعمل غالباً في الندبـــة ، وهو اسلوب من أساليب النداء سيمر بك بعد قليل ، كقولهم : وا عُمراه . ويرى بعض النحويين أنها تستعمل أحياناً في النداء الحقيقي ، وبين ايديهم بعض الشواهد .

وتستعمل هذه الأدوات مع المنادى المجرد من « أل » ، فلا يقال : يا الرجلُ ، ويا الخادمُ ، بل يؤتى بـ « أي » مع « ها » التي للتنبيه ، وتجعل

منادى ، ثم يؤتى بالمنادى الأصلي ويجعل تابعاً لها مثل : يا أيها الرجلُ . أو يؤتى باسم الإشارة ، فينادى ، ويجعل المنادى تابعاً ايضاً ، تقول : يا هذا الرجلُ .

هذا هو أسلوب العربية في نداء ما لحقته « أل » ، ولكن هذا الاسلوب لا يتَّبع مع لفظ الجلالة « الله » على الرغم من لحاقها به ، فهو ينادى بأداة النداء « يا » مباشرةً ، تقول : يا اللهُ . وعلة هذا انه اسم لزمته « أل » لزوماً دائماً ، وكثر في كلام العرب ، فصارت « أل » كأنها من اصوله .

على أنه قد تحذف « يا » ، ويعوض عنها بـ « ميم » مشددة في نهاية اللفظ ، فيصير : اللَّهُمَّ .

ب - إعراب المنادى

وبين النحاة خلاف ليس بذي قيمة في عامل المنادى ، فهم يجعلونه مفعولاً به غير مباشر ، وينصبه في زعم بعضهم فعلٌ محذوف تقديره : أنادي او أدعو ، ويرى فريق آخرُ أنه منصوب بأداة النداء التي حلت محلَّ الفعل المحذوف .

ومهما يكن من أمر هذا الخلاف فان المنادى في إعرابه نوعان :

١ - معربٌ منصوب :

وذلك في ثلاث حالات :

آ - أن يكون مضافاً : نحو قوله تعالى : « يا أختَ هارون ما كان أبوكِ امرأ سوءٍ ، وما كانت أمُّكِ بغيّا . » (مريم ٢٨) . ونحو قول عبدالله بنِ كعب العميري :

أيا نخلتَيْ مرّانَ هلْ لي إليكما
على غفَلاتِ الكاشحين سبيلُ

ب ـ أن يكون شبيهاً بالمضاف : وهو ما جاء بعده شيء متممٌ لمعناه ، وذلك أن يكون المنادى عاملاً فيه أو موصوفاً له ، كما في الأمثلة الآتية :

ـ يا رافعاً علمَ البلادِ . المنادى « رافعاً » اسم فاعل ، جاء بعده اسم تمَّم معناه ، إذ خصَّص الرفع بعلم البلاد ، وهو مفعول به للمنادى « رافعاً » .

ـ يا محموداً ذكرُهُ : المنادى اسم مفعول ، و « ذكره » نائب فاعل له.
ـ يا حسناً وجهُهُ : المنادى صفة مشبهة ، ووجهه فاعل له .
ـ يا أكرمَ من حاتمٍ : المنادي اسم تفضيل ، ومن حاتم ، معلقان به .
ـ يا عشرينَ رجلاً : المنادى اسم مبهم ، ورجلاً : تمييز موضح له .

ويلحق بهذا المنادي الموصوف ، نحو : « يا عظيماً يرجى لكل عظيم .» وكقول ذي الرمة :

أداراً بحزوى هِجْتِ للعين عَبْرَةً
فماءُ الهوى يرفضُّ أو يترَقْرقُ

فجملة : يرجى ، صفة المنادى : عظيماً . وشبه الجملة : بحُزْوى : معلقة بصفةٍ محذوفة للمنادى : داراً . والصفة متممة لمعنى الموصوف (1) .

---

(1) يرى بعض النحويين أنّ الشبيه بالمضاف يقتصر على ما كان فيه المنادي عاملاً أو معطوفاً عليه ، ولا يلحقون به المنادي الموصوف . ثم هم يقولون بترجيح نصب المنادى الموصوف دون ان يدخلوه بحالٍ من الحالات الثلاث التي ينصب فيها المنادى.

ج ــ أن يكون نكرة غير مقصودة : النكرة ضربان ، ضرب يكون معيناً مقصوداً ، وآخر لا يقصد منه تعيين ، فاذا قال الرجل الجاهلُ : يا متعلماً هنيئاً لك ، فإنه لا يقصد إنساناً متعلماً خاصاً ، يراه أمامه ، او يتخيَّلهُ ، وإنما يعني كل انسان تعلم ، ومن ذلك قول عبد يغوث :

فيا راكباً إمَّا عرضتَ فبلِّغنْ
نداماي من نجْرانَ أن لا تلاقيا

فالشاعر هنا لا ينادي راكباً خاصاً معيناً ، بل يشمل بندائه كلَّ راكب .

٢ - مبني على ما يُرفَعُ به :

ويبنى على الضم في حالين :

آ ـ أن يكون علماً مفرداً : وذلك إذا كان المنادى اسم علم ، لا يزيد على لفظ واحد ، كما لو نودي : أحمد ، أو سمير ، أو عدنان ، أو زينب ، أو ... كقول عروةَ بن حزام :

أعفراءُ كم مِنْ زفْرَةٍ قدْ أذقْتِني
وحُزْنٍ ألجَّ العينَ بالهمَلانِ

فقوله : أعفراءُ ، منادى علم مفرد ، مبني على الضم في محل نصب .

ب ـ أن يكون نكرةً مقصودة : وذلك كقول الأعشى :

قالتْ هُريْرةُ لمَّا جئتُ زائرَها
ويلي عليكَ ، وويلي منكَ يا رجُلُ

ومثله قولك : يا قارئان ، ويا سابحون ، فالأول مبني على الألف في محل نصب . والثاني : مبني على الواو في محل نصب .

* * * *

وقد يكون المنادى مبنياً قبل النداء ، كما لو ناديت : سيبويهِ ، أو حذامِ ، أو اسمَ الإشارة ، وفي هذه الحال يكون البناء على الضم مقدراً تقديراً ، تقول مثلاً في نداء اسم الاشارة : يا هذا ، ما يلي : يا : أداة نداء، وهذا ، منادى مبني على الضم المقدر على آخره ، منع ظهوره اشتغال المحل بالبناء السابق على السكون ، في محل نصب .

٣ ـ حالات خاصة في إعرابه :

يكثر نداء العلم المفرد في كلام العرب متبوعاً بـ : ابن ، ابنة ، مثل : يا خالدُ بنَ الوليدِ ، يا سعدُ بنَ معاذ ، ولهذه الكثرة تسامحوا في إعرابه فكانوا ينصبونه تارةً إتباعاً الكلمة : ابن ، ويبنونه على الضم تارة أخرى . يقولون : يا خالدَ بنَ الوليد ، ويقولون : يا خالدُ بنَ الوليد .

ويفعلون مثل هذا في المنادى إذا كرِّر مثل : يا خالدَ خالدَ العربِ . قال جرير :

يا تيمَ تيمَ عديٍّ لا أبا لكمُ
لا يُلْقِيَنَّكُمُ في سوءةٍ عُمَرُ

فكان العرب ينشدونه بنصب المنادى حيناً ، وببنائه على الضم حيناً آخر .

وفي الشعر قد ينوَّن المنادى ، وهو علم مفردٌ ، ومن حقه أن يكون مبنيّاً ، ويظهر أنَّ العربَ لم يكونوا يلتزمون في تنوينهِ إعراباً خاصاً . فمنهم مَن يُلحق به التنوين ، وهو مبني على الضم كالأحوص في قوله:

سلامُ اللهِ يا مطرٌ عليها
وليس عليكَ يا مطرُ السلامُ

وبشر بن أبي خازم في رثاء اخيه «سمير» :

يا سمـــيرُ مَنْ للنساء إذا ما
قحطَ الفقرُ أمّهاتِ العيالِ

ومنهم مَن ينوّنه ، ويرده إلى النصب كما فعل المهلهل في قوله :

ضربتْ صدرَهـا إليَّ وقالتْ :
يا عديّاً ، لقد وَقَتْكَ الأواقي

وقد اختلف النحاة في أفصح الأسلوبين ، ولم يصلوا إلى شيء ، لأنهما كليهما من كلامهم .

ج — أساليب النداء

وللنداء حالات ، فقد يكون طلباً للمعونة ، وقد يكون تعبيراً عن دهشة وتعجب ، وقد يكون تفجعاً على مفقود ، أو توجعاً من ألم ، ولكل حالٍ من هذه الحالات ، أسلوب من النداء يختلف عن الآخر .

١ — اسلوب نداء الاستغاثة :

ويتنوّع — كما قلنا — معنى النداء ، فأحياناً يُهرَع الانسان إلى غيره ، ويناديه مستغيثاً به ، لينقذه من شدة ، أو يعينه على مشقة ، وتتألف الجملة في هذا الاسلوب من ثلاثة أشياءَ هي : الأداة ، والمستغاث بـه ، والمستغاث له ، كما في قول بشر بن أبي خازم :

فيــا للنَّاسِ لِلرَّجلِ المعنَّى
طَوالَ الدهرِ ، إذْ طالَ الحصارُ

فالأداة هي : يا ، والمستغاث به هو : الناس ، والمستغاث له ، هو الرجلُ المعنَّى .

على أنه كثيراً ما يحلُّ محل المستغاث له، مستغاث منه ، كما في قول قيس بن ذريح :

تكنَّفني الوشاةُ فأزعجوني
فيا َللناسِ لِلواشي المُطاعِ

فهو يستغيث بالناس من الواشي .

ومن الواضح في البيتين أن المستغاث به ُجرَّ بلامٍ مفتوحة ، على حين ُجرَّ المستغاث له أو منه بلام مكسورة ، وهذا هو الأصل المستقرى من كلام العرب . ومن الواضح ايضاً أن الأداة في البيتين « يا » ، وهي كذلك في اسلوب الاستغاثة لا يستعمل غيرها .

على أن الصورة التي يأتي عليها المستغات به قد تتغير ، فربما استُغني عن اللام المفتوحة ، بألف مدٍّ َتلْحَقُ آخره ، كما في قول الشاعر :

يا يزيدا لآملٍ نيلَ عزٍّ
وغنىً بعْدَ فاقةٍ ، وهَوانِ

وقد يخلو منهما جميعاً كقوله :

ألا يا قومِ لِلعجبِ العجيبِ
وللغفلاتِ تعرضُ للأريبِ

أما الاعراب في هذا الاسلوب فعلى الشكل التالي :

١ ـ يا للأغنياء للفقراء :

يا : أداة نداء واستغاثة . للأغنياء : اللام : حرف جر ، الأغنياء :

منادى مستغاث به ، مجرور باللام ، وعلامة جره الكسرة الظاهرة في آخره ، والجار والمجرور معلقان بفعل النداء المحذوف ، أو بأداة النداء (١) .

للفقراء : اللام حرف جر ، الفقراء : مستغاث له ، مجرور باللام ، والجار والمجرور معلقان بحال محذوفة من المستغاث به ، والتقدير : مدعوّين للفقراء ، أو بفعل محذوف تقديره أدعوكم للفقراء .

٢ ـ يا يزيدا لآملٍ :

يزيدا : منادى مستغاث به ، مبني على الضم في محل نصب ، وحركة البناء مقدرة على آخره ، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة للألف . والألف للاستغاثة .

٣ ـ يا قومِ لِلعَجَبِ :

قومِ : منادى مستغاث به ، منصوب لأنه مضاف ، وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على آخره ، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة للياء ، و « ياء » المتكلم المحذوفة للتخفيف ضمير متصل مبني على السكون في محل جر ، مضاف إليه .

٢ — اسلوب نداء التعجب

وهناك أسلوب آخر ، يدل على تعجب من شيءٍ ما ، وهو في تركيبه الاسلوبي يشبه أسلوب الاستغاثة شبهاً كبيراً ، فإذا تعجبت من جمال النجوم

(١) وهناك رأي ثالث يذهب إلى ان اللام زائدة ، والمستغاث به منادى ، منصوب او مبني على الضم ، بحسب ما تقتضيه القواعد الاعرابية وما اثبتناه في المتن أصح ، واجرى على الاصول .

قلت : يا َللنجوم !! أو يا َلجمالِ النجوم !! ، وإذا استهواك منظر البحر قلت : يا للبحر !! أو يا َلروعة البحرِ .

ومن هذه الأمثلة يتضح لك أن المنادى المتعجَّب منه ، يُجرُّ بلام مفتوحة ، كما يُجرُّ المستغاث به في أسلوب الاستغاثة ، وأن الأداة المستعملة فيه هي « يا » دون غيرها .

وهو مثله ايضاً في جواز الاستغناء عن اللام المفتوحة الجارة بألف تلحق آخره ، تقول مثلاً : يا نُجوما ، بدلاً من : يا َللنجومِ ، ويا بحرا ، ويا سماءا . و ....

على أننا نجد في هذا الأسلوب ــ وهو قائم على المجاز ــ ظاهرةً لا نجدها في الأسلوب ، هي : أنهم قد ينادون العجب نفسه ، كما في قول امرىء القيس :

ولمّـا عقرتُ للعذارى َمطيَّـتي
فيا عَـجَـبا من رحلها المتحمَّلِ

ومثله قول كثيِّر عزَّة :

فوا عَـجَـبا للقلبِ كيفَ اصطبارُهُ
وللنفسِ لمَّا وُطِّنَتْ كيفَ ذَلَّتِ (١)

وفي نداء المتعجب منه ضرب من المبالغة والتعظيم ، لأنه يشخّصه ، ويجعله ذا فهمٍ وإدراك ، ويثير في السامع تنبيهاً ، حتى لكأنه يقول له : انتبه للعجب .

---

(١) استعمل الأداة هنا « وا » وهو قليلٌ جداً .

والإعراب الذي قدمناه في أسلوب الاستغاثة هو نفسه الذي يُقدم في إعراب المنادي المتعجب منه، فلا حاجة بنا للتمثيل.

٣ – أسلوب نداء الندبة

ويستعمل هذا الاسلوب للتفجع، أو للتوجع، وينادى به ما يلي:

١ ـ الفقيد: كقولهم مثلاً لفقيد اسمه أحمد: وا أحمَداهْ.

٢ ـ من ينزل منزلة الفقيد: كقول الخليفة عمر، وقد نبيء بجدْبٍ أصاب بعض العرب، ومجاعة حلت بهم: وا عُمَراهْ. فكأنه أشار في هذا إلى أنه بمنزلة مَن مات اسماع هذا الخبر.

٣ ـ المتوجع له: كقولهم: وا كبداهْ.

٤ ـ المتوجع منه: نحو: وامصيبتاهْ.

وفي هذا الاسلوب صوت مدٍّ في بدء النداء ونهايته، لأن ذلك أكثر تعبيراً عن التحسر وأقرب إلى ان يكون صورة بدائية عن اللغة العاطفية.

أما الصور التي يتشكل بها هذا الاسلوب فهي كما يلي:

١ ـ وا أحمداهْ

وا: أداة نداء وندبة. أحمداه: منادى مندوب، مبني على الضم المقدر على آخره، منع من ظهوره اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والألف للندبة، والهاء هاء السكت. وهاء السكت هذه تحرك بالضم في ضرورة الشعر. وفي المنادى المركب تلحق هاء السكت آخر الجزء الثاني، مثل: واحرَّ قلباهْ.

٢ - وا أحمدا : استغني عن هاء السكت .

٣ - وا عمرْ : استغني عن ألف الندبة والهاء .

٤ - يا عُمرَا : حلت « يا » محل « وا » لأمن اللبسِ .

والمنادى المندوب يجب أن يكون معرفة غير مبهمة ، كما في الأمثلة السابقة ، أما النكرات ، والمعارف المبهمة فلا تندب ، وكيف يندب الانسان من لا يعرف ؟. إذ لا يقال : وا رجلاهْ ، وا هذاهْ ، وا مَنْ ذهب ... غير أنهم نادوا الاسم الموصول حين تكون صلته على شهرة ، قالوا : وا من حفر زمزماه .

د - الترخيم في النداء

قلنا في بداية الكلام : إن النداء باب حذف وتغيير ، والترخيم دليل من أدلة كثيرة على ذلك . وقد أُخذ الترخيم من قولهم : امرأة رخيم الكلام . أي أن كلامها مرتَّلٌ محذوف الفضول ، أو انها ناعمة النغمة ، فسموا الحذف في المنادى ترخيماً ، لأنه تخفيف اللفظ وتسهيله . كقولهم في نداء فاطمة : يا فاطمَ ، وفي نداء ، اسماء : يا أسْمَ ، وفي نداء سليمان : يا سُليمَ ، وللترخيم شروط ثلاثة هي :

١ - أن يكون المنادى مفرداً علماً : ويعني هذا أنه لا ينادى ما ليس بعلم ، كالنكرة المقصودة ، وغير المقصودة ، فلا يقال مثلاً : يا فلاَّ . أي : يا فلاَّحُ ، أو : يا فلاَّحاً . على انه سُمع من العرب ترخيم النكرة المقصودة ، فـفي مثَلٍ لهم قالوا : أطرِقْ كرا . أي يا كروان ، وقالوا : يا صاحِ ، أي : يا صاحِبُ : قال امرؤ القيس :

أصاحِ ترى برقاً أريكَ وميضَه

كلمعِ اليدينِ في حَبيٍّ مُكَلَّلِ (١)

وقالوا : يا شا ارحي . أي : يا شاةُ أقيمي ولا تسرحي . وقالوا : يا ناقَ . أي : يا ناقةُ ، قال ابو النجم العجلي :

يا ناقَ سيري عَنَقاً فسيحـــا

إلى سُليمانَ ، فنستريحــا (٢)

ولكن هذا شيء قليل ، ولا يمكن أن يكون مادة كافية للقياس عليها .

هذا ما تعنيه كلمة « علم » . أمّا ما تعنيه كلمة « مفرد » فهو أنـــه لا يجوز ترخيم المنادى إذا كان جزءاً من تركيب الاضافة ، فلا يقال مثلاً : يا عبَ الكريم ، اي : يا عبدَ الكريم .

على أنه ورد في لغة الشعر ترخيمٌ من هذا القبيل ، ولكن جرى الحذف فيه على آخر المضاف إليه ، لا على آخر المنادى نفسه ، قال زهيرُ ابن أبي سُلمى :

خذوا حظَّكُمْ يا آلَ عِكْرِمَ واذكروا

اواصِرَنا ، والرحْمُ بالغيبِ تُذْكَرُ

وهذا لا يجوز في النثر (٣) .

---

(١) لمع اليدين حركتهما . الحبي : السحاب الذي يحبو في الفضاء . والمكلّل : الذي يعلو بعضه بعضاً .

(٢) العَنق : ضربٌ من السير . وسليمان هو : سليمان بن عبدالملك .

(٣) اختلف النحاة في جواز ترخيم المنادى إذا كان مركباً تركيب مزج ، مثل : حضرموت ، وبعلبك ، ودارىجرد ، و . . وهو شيء لم يسمع في لغة العرب الفصيحة ، فلا حاجة بنا إلى الحديث عنه .

٢ ـ أن يكونَ بناؤه على أكثر من ثلاثة احرف : وبهذا لا يجوز ترخيم ما كان على ثلاثة ، لأنك إن حذفت منه حرفاً أبقيته على حرفين ، وهذا مُخِلٌّ ببناء الأسماء العربية التي لا تقلُّ عن ثلاثة ، فلا يقال : يا حَسَ ، أي يا حَسَنُ ، ولا يا مُضَ ، أي : يا مُضَرُ . ويقال : يا عُثْمَ ، ويا مَرْوَ ، ويا أسْمَ ، أي : يا عثمانُ ، ويا مروانُ ، ويا أسماءُ ، قال الفرزدق :

يا مَرْوَ إن مطيَّتي محبوسةٌ
ترجو الحِباءَ ، وربُّها لم ييأسِ

وقال عمرُ بنُ أبي ربيعة :

قفي فانظري يا أسْمَ هل تعرفينه
أهذا المغيريُّ الذي كان يُذْكَرُ

٣ ـ أن يكون منتهياً بتاء : وهذا كثير في لغة العرب ، يقولون : يا فاطمَ ، ويا عَنْتَرَ ، ويا معاويَ ، ويا بُثَيْنَ (١) ، و .. ، وقال الفرزدق :

أبوكَ وعمي يا معاويَ أورثا
تراثاً ، وأولى بالتراثِ اقاربُهُ

وقال حاتم الطائي :

أماويُّ إنَّ المالَ مالٌ بذلتُهُ
فأوله شكرٌ ، وآخره ذِكْرُ

وفي المنادى المرخم لغتان :

---

(١) بعض النحاة يجيز أن يرخم من هذا ما كان على ثلاثة ، ويحتجون بقولهم : يا شا ارحبي .

الأولى : ان تعدَّ الاسمَ بعد الحذف تامـاً سوياً لا نقص فيه ، فكأنه لم يحذف منه شيء ، وعلى هذا تبنيه على الضم ، تقول : يا فاطمُ ، يا عُثْمُ ، يا بُثَيْنُ ، الخ ... ، وتسمى هذه اللغة : لغة من لا ينتظر ، أي ان المنادي لم ينتظر مجيء المحذوف من المنادى حتى يلحق به البناء على الضم .

الثانية : أن تجعل الاسم بعد الحذف غير تام ، وتقدر في نفسك ما حذف منه ، ومن هنا تبقي الحرف الذي صار اخيراً على الحركة التي كانت له قبل النداء والترخيم ، تقول : يا فاطمَ ، يا عُثْمَ ، يا بُثَيْنَ ، وتسمى هذه اللغة ، لغة من ينتظر ، أي ينتظر المحذوف ليحمل البناء .

٥ — توابع المنادى

وتوابع المنادى كثيرة التفرعات في كتب النحاة ، تبدو معقدة ، يتداخل بعضها في بعض ، ويمكن ترتيبها على الشكل الآتي :

١ — توابع المنادى المنصوب :

يكون تابع المنادى منصوباً إلا في حالين ، هما :

١ ـ أن يكون بدلاً .

٢ ـ أن يكون معطوفاً مجرّداً من « أل » والاضافة .

تقول : يا اخانا الكريمَ ، ويا اخي ابا فؤاد ، ويا إخوتَنا كلَّكم ، أما في الحالين السابقين ، فيعامل معاملة المنادى المستقل ، كما في المثالين الآتيين :

يا أبا الحسَنِ عليُّ

بنيَ (عليُّ) على الضم ، لأنه بدلٌ من أبي الحسن ، فكأنه نوديَ نداءً

مستقلاً ، فقيل : يا أبا الحسنِ ، يا عليُّ .

يا أبا الحسَنِ وعليُّ

وكذلك بُني هنا على الضم لأنه معطوف ومجرّد من « أل » والاضافة .

٢ — توابع المنادى المبني على الضم :

آ ـ إذا كان غير معرّف بـ « أل » عومل معاملة المنادى المستقل : يا زيدُ بشرُ ، يا زيدُ وبشرُ ، يا خالدُ صديقَ المسرين ، يا رجالُ كلُّكم ، يا خالدُ ابا سليمانَ .

ب ـ أما إذا كان معرفاً بـ « أل » فله حالان :

الأول : أن يُرفع حملاً على لفظ المنادى ، وذلك إذا كان المنادى اسم اشارة . أو : أيُّها ، ايَّتُها ، نحو : يا هذا الرجلُ ، ويا ايها الرجل. قال عبيد بن الأبرص :

يإذا المخوِّفُنا بمقتلِ شيخهِ

حجر ، تمنّي صاحبِ الأحلامِ

والثاني : يجوز فيه الرفع على اللفظ ، والنصب على المحل ، تقول : يا زيدُ الكريمُ ، والكريمَ .

و — صور المنادى المضاف الى ياء المتكلم

المنادى المضاف إلى ياء المتكلم له صور لفظية كثيرة ، هي :

١ — حذف ياء المتكلم : يا غلامِ أقبلْ . وهذه هي اللغة الشائعة الكثيرة .

٢ — إثبات ياء المتكلم ساكنة أو مفتوحة : يا غلامي أقبل ، أو : يا غلاميَ اقبل . ومن ذلك قول الراجز ، وهو عبدالله بن عبد الأعلى القرشي :

وكنتَ إذ كنتَ إلهي وحدكا
لم يكُ شيءٌ يا إلهي بعدكا

٣ — قلب ياء المتكلم ألفاً مثل : يا غلاما .ويجوز حذفها وإبقاء الفتحة نيابة عنها : يا غلامَ .

٤ — حذف الياء وبناء الاسم على الضم : يا غلامُ ، وهذه لغة بعض العرب .

٥ — وإن كان معتل الآخر فتحت الياء ، تقول : يا فتايَ ، يا قاضيَّ .

٦ — وإن كان المنادي احدَ اللفظين : أب ، أم ، جاز فيه ما تقدم من الأوجه الأربعة الأولى ، وجاز فيه قلب الياء تاءً مفتوحة او مكسورة، مثل : يا أبتَ ، يا أمتَ . و : يا أبتِ ، يا أمتِ . ويلحق بذلك قولهم : يا بن عمِّ ، يا بن أمِّ ، ويا بن عمَّ ، ويا بن أمَّ ، ويا بنة عمِّ ، ويا بنة عمَّ .

ملاحظة :

يذهب فريق من النحاة إلى ان المنادى قد يحذف بعد «يا» ويحتجون بشواهد شعرية ، وبقراءة للكسائي وغيره . والصحيح أن « يا » هنا أداة تنبيه ليس غيرُ ، لأن معظم ما احتجوا به يرد فيه المنادى مذكوراً بعد قليل ، فلا داعي لحذفه ثم ذكره ، من ذلك قول الأخطل :

ألا يا اسلمي يا هندُ هندَ بني بدرِ
وإن كان حيانا عِدىً آخرَ الدهرِ

فاذا قدرنا المنادى بعد « يا » كما يذهبون ، لكان الكلام على صورة غير فصيحة ، إذ يصير : ألا يا هندُ اسلمي يا هندُ هندَ بني بدرِ . ومثل هذا ما احتجوا به من شعر ذي الرمّة ، والمرقش والكميت ، والعجاج . وقد يكون المنادى متقدماً ، كقول العجاج :

يا دار سلمى يا اسلمي ثم اسلمي
بسمسمٍ ، وعن يمينِ سمسمِ

شواهد للتدريب

١ — « يا قومِ اعبدوا الله مالكم من إلهٍ غيره . » (هود ٨٤).

٢ — « يا أبتِ إني رأيتُ أحدَ عشرَ كوكباً . » (يوسف ٤).

٣ — « قال : يا بنَ أمَّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي . » (طه ٩٤).

٤ — « وجاءت سيارة ، فأرسلوا واردهم ، فأدلى دلوه ، قال : يا بشرى ، هذا غلام . » (يوسف ١٩).

٥ — قالت : يا ويلتا ، أألدُ وأنا عجوز ، وهذا بعلي شيخاً . » (هود ٧٢٠)

٦ — « ولو ترى إذ وقفوا على النار ، فقالوا : يا ليتنا نردُّ ولا نكذّب . » (الأنعام ٢٧)

٧ — قال زهير :

فلمّا عرفتُ الدارَ قلتُ لربعها
ألا عِمْ صباحاً ايها الربعُ ، واسلمِ

٨ — قال عنترة :

يا دار عبلة بالجواء ، تكلمي
وعمي صباحاً دارَ عبلة ، واسلمي

٩ ــ قال عمرو بنُ كلثوم :

بأي مشيئـــةٍ عمروُ بن هندٍ
تطيعُ بنـا الوشاةَ ، وتزْدرينا

١٠ ــ قال امرؤ القيس :

فيا لكَ من ليلٍ كأن نجومَهُ
بكلّ مغـارِ الفتل ، شدتْ بيذبُلِ

١١ ــ قال مالك بنُ الريب :

يا عاملاً تحتَ الظـلامِ مطيَّـةً
متخـايلاً ، لا بلْ وغيرَ مخاتلِ



الاسم المجرور

المجرور بحرف الجر

حروف الجر كثيرة ، والمجرور بها في رأي القدماء ، ضرب من المفعول ، لأنها توصل أثر الفعل اليه ، فإذا قلت : قعد خالدٌ على الأرض ، رأيت المجرور ضرباً من المفعول فيه ، إلاّ ان كلمة الأرض لا تصلح ان تكون ظرف مكان ، لأنها مختصة ، ولهذا توسط حرف الجر « على » فأوصل أثر الفعل إليه . وإذا قلت : أكلت الطعامَ بالملعقةِ . رأيت المجرور واسطة تمّ بها الفعل ، ولكن لا يمكن ان يقال : أكلتُ الطعامَ الملعقةَ ، لأن أثر الفعل « أكل » لا يصل إليها ، فتوسطت الباءُ لذلك ، واوصلته إليه ، وعلى هذا بقية الحروف .

١ - معاني حروفِ الجر

ولكل حرفٍ من حروف الجر معانٍ من شأنها ان تجعله ومجروره مكملين لمعنى الفعل او شبهه ، وسنوجز الحديث عنها لكثرتها .

١ - مِنْ :

أهمّ معانيها ابتداء الغاية في المكان ، تقول : خرجتُ من المنزلِ ،

فابتداء الخروج كان من المنزل ، وقد تأتي لابتداء الغاية في الزمان ، كقوله تعالى : « لمسجدٌ أُسّسَ على التقوى من اوّلِ يومٍ ، أحقُّ ان تقومَ فيه .» (التوبة ١٠٨) . وقولِ الحصين بن الحمام :

من الصبحِ حتى تغربَ الشمسُ لا ترى
من الخيلِ إلاّ خارجيّاً مُسَوّما

وقولِ بشامةَ بن الغدير :

من عهدِ عادٍ كان معروفاً لنا
أسْرُ الملوكِ ، وقتْلُها ، وقتالُها (١)

وتأتي بمعنى بعض وتسمى البعضيّة ، كقولك : أكلت من التفاح . وقد تبين جنساً ابهم قبلها ، مثل : عندي خاتمٌ من ذهب ، وما تفعلْ من خير تجده. وقد تكون معلّلةً للحدث ، كقول الفرزدق :

يُغضي حياءً ، ويُغضى من مهابتِهِ
فما يكلَّمُ إلاّ حينَ يبتسمُ

وقد تحذف نونها من الشعر ، كقول ابي صخرٍ الهذليّ :

كأنهما مِلآنَ لم يتغيَّرا
وقد مرّ للدارينِ من بعدنا عصْرُ

أي : من الآن ، وسبب الحذف أنّ نونها ساكنةٌ ، واللام بعدها ساكنة ايضاً ، فحذفت النون لأنها اشبهت حروفَ اللين التي تحذف عند التقاء الساكنين ، لما فيها من غُنّةٍ تضارع ما في احرف اللين من مدٍّ .

---

(١) مجيئها لابتداء الغاية في الزمان قليل ، ولذلك منعه بعض النحويين ، وتأولوا الآية القرآنية . انظر شواهد للتدريب في آخر البحث .

٢ - عن :

معناها العام المجاوزة كقولك : صفحتُ عنه . ومن معانيها البدايةُ ، كقوله تعالى : « واخشوا يوماً لا يجزي والدٌ عن ولده شيئاً . » (لقمان ٣٣).

٣ - على :

ومعناها الاستعلاء ، وهذا قد يكون استعلاءً حسّياً مادياً ، وقد يكون استعلاءً معنوياً . والنوع الأول نفسُهُ قسمان :

— حقيقي ، كما لو قلت : قعد فلانٌ على الأرض . فاستعلاء القعود على الأرض حسيٌّ حقيقي .

— مجـــازي : كقولهم : قعدنا في مقهى على البحر . فالمقهى ليس مستعلياً على البحر نفسه ، ولكنه على مـكانٍ قريب منه ، إلاّ انه لشدّة القرب جُعِلَ فوق البحر من باب المجاز .

أما الاستعلاء المعنوي فهو نقيضُ الحسي المادي ، كقوله تعالى : « من عملَ صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها . » (فصّلت ٤٦) .

وتأتي للتعليل ، كقولك : كافأته على عمله وبمعنى « في » كقول النابغة :

على حينَ عاتبتُ المشيبَ على الصِّبا
وقلتُ : ألمّا تصحُ والشيبُ وازعُ

وبمعنى « مع » مثل : رضيتُهُ على علاته .

وقد تحذف ألِفُها في الشعر قبل « أل » كقول قطريٍّ بنِ الفجاءة :

غداةَ طَفَتْ عَلْماءِ بكرُ بنُ وائلٍ
وعجنا صدورَ الخيلِ نحو تميمِ

أي : على الماء .

٤ - إلى :

معناها الأصيل انتهاء الغاية في المكان مثل : وصلتُ إلى الجامعة ، والزمان كقوله تعالى : « ثم أتموا الصيامَ إلى الليل » (البقرة ١٨٧) .

وقد تكون بمعنى « مع » كقول العرب : الذودُ إلى الذود إبل (١).
أو « عند » ، كقول ابي كبير الهذلي :

أمْ لا سبيلَ إلى الشبابِ ، وذكرُهُ
أشهى إليَّ من الرحيقِ السلْسَلِ

٥ - حتى :

وهي مثل « إلى » ، في دلالتها على انتهاء الغاية المكانية والزمانية ، تقول : سأمشي حتى بابِ الحديقة ، وسأراقب السماءَ حتى مطلعِ القمرِ . وفي القرآن : « سلامٌ هي حتى مطْلَعِ الفجر . » (القدر ٥) . وقد تأتي للتعليل كقوله تعالى : « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردُّوكم عن دينكم » « البقرة ٢١٧ » . وقد تكون بمعنى « إلا أن » كقول المقنَّعِ الكندي :

ليس العطاءُ من الفضولِ سماحةً
حتى تجودَ ، وما لديك قليلُ

٦ - في :

معناها الأول : الظرفية ، سواء أكانت حقيقةً مثل : نمتَ في البيت ، ورأيتك في الصباح ، ام مجازاً مثل : لي في هذا أربٌ . وتكون

(١) الذود : من ثلاث إلى عشر من النوق ، وهو مَثَلٌ عربيٌّ يعني أن القليل إذا جُمع إلى القليل كثر . انظر : جمهرة الأمثال للعسكري ٤٦٢/١ .

للتعليل ، كما جاء في الحديث : « دخلت امرأةٌ النار في هرّةٍ حبستها . » :

٧ ـ اللام : ولها معانٍ كثيرةٌ جداً ، اهمها الاستحقاق ، مثل : الحمد للهِ ، والعزّةُ له . والاختصاص نحو : الثوب لك ، والتعليل : كقول امرىء القيس :

ويومَ عقرتُ للعذارى مطيّتي
فيا عجبا من رحلها المتحمَّلِ

وقد تكون بمعنى « إلى » كقوله تعالى : « ولو رُدُّوا لعَادوا لما نهوا عنه . » (الأنعام ٨) . أي : إلى ما نهُوا عنه . وتأتي ظرفية بمعنى « في » كقوله : « يسألونك عن الساعة أيّان مرساها ، قلْ : إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلاّ هو . » (الاعراب ١٨٧) أي : في وقتها .

٨ ـ الكاف :

أهم معانيها التشبيه ، مثل : أنت كالأسد ، والمعاني الأخرى التي تذكرها كتبُ النحوِ ثانويةٌ ، ومختلف فيها .

٩ ـ الباء :

معانيها كثيرةٌ ، أهمها الإلصاق مثل : مررتُ بك ، والتعليل نحو : عاقبته بذنبهِ ، والمصاحبة : خرجتُ بالسيف . والظرفية مثل « في » نحو : « ولقدْ نصركم الله ببدرٍ » (آل عمران ١٢٣) والبدل كقول قريط بن أنيف العنبري :

فليتَ لي بهمُ قوماً إذا ركبوا
شنّوا الإغارة فرساناً وركبانا

أي : فليتَ لي بدلاً منهم قوماً ... وتكون الباء للتعدية نحو : « ذهبَ اللهُ بنورهم . » (البقرة ١٧) .

١٠ ـ وهناك أحرف جرٍّ أخرى ، كواوِ القسم وتائهِ ، ومنذ ومذْ وربُّ .

٢ ـ حروف الجر الزائدة

الفرق بين حرف الجر الأصلي ، وحرف الجرّ الزائد ، أن الأخير لا يوصل أثرَ الفعل القاصر إلى الاسم ، ويمكن الاستغناء عنه ، وبهذا لا يحقق غرضاً معنوياً في الكلام ، فـ « من » الزائدة مثلاً ، لا تكون لابتداء الغاية المكانية ، ولا للتعليل ، ولا لغيرهما من المعاني التي تحملها « من » الأصلية ، ولكنها تكون للتوكيد فقط .

ولا يأتي زائداً من حروف الجرّ إلاّ « من والباء » ـ وهما اللذان اتفق النحاةُ على مجيئهما زائدين ـ واللام والكاف ، وفي زيادتهما خلافٌ .

١ ـ مواضع زيادة « من » :

ـ أن تُسبَقَ بنفيٍ أو ما يشبه النفي : وذلك كما في قوله تعالى : « ما اتَّخذَ اللهُ من ولدٍ ، وما كان معه من إلهٍ . » (المؤمنون ٩١) . فمن في الموضعيْنِ زائدةٌ ، لأنها خلت من المعاني التي تُناط بالحرف الأصلي ، فلا توصل أثر العامل النحوي إلى الاسم الذي جرّه . وعلى هذا يكون التقدير : ما اتخذ اللهُ ولداً ، وما كان معه إلهٌ .

وتقول : لا تضربْ من احدٍ . والتقدير : لا تضربْ أحداً ، وقد سبقت بـ « لا » الناهية الجازمة ، وهي مما يشبه النفي .

وتقول : هل ذهبَ من احـــدٍ ؟ من : هنا زائدة ، سُبقتْ باستفهام أداتُه « هَلْ » ، وهو مما يشبه النفي ايضاً . ومثله في القرآن : « هلْ من خالقٍ غيرُ اللهِ يرزقـكم . » (فاطر ٣٠) .

ـ والشرط الثاني أن يكونَ مجرورها نكرةً ، كما يتّضح لك من الأمثلة السابقة ، فإذا قلت : ما قرأتُ من الكتابِ شيئاً . كانت « من » أصليةً لا زائدة . وكذلك لا تكون زائدة في مثل : ما أكلت من التفاح، ولا : شربتُ من الماء ، لأن المجرور معرّف لا منكر .

ـ والشرط الثالث : ألاّ يتعدى إعرابُ مجرورها أحدَ ثلاثة أشياء:

ـ الفاعل : مثل : ما جاء من أحدٍ . أي : ما جاء أحدٌ .
ـ المبتدأ : مثل : هل فيكم من بطل . أي : هل فيكم بطلٌ .
ـ المفعول به : مثل : ما رأيت من أحدٍ . أي : ما رأيتُ احداً (١) .

---

(١) هناك آراءٌ اخرى في « من » الزائدة ، فقد ذهب بعضهم إلى انها قد تُزادُ في الايجاب ، وقد يكون مجرورها معرفـة ، واحتجَّ بقوله تعـالى : « ونكفر عنـكم مِنْ سيئاتكم . » وقوله : « وننزل من السماء من جبالٍ » وبقول العرب : قدْ أصابنا من مطر ، وقد كان من حديث . [معاني القرآن، للأخفش . مصوّرة عن مخطوطة طهران : اللوحات ٤٥ ، ١٠٣ ، ١٤٠].

وأضاف نحويٌّ آخر أنَّ موضع مجرورها قد يكون نصباً على أنه مفعول مطلق ، واحتجَّ بقوله تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » (الأنعام ١٣٨) . أي : ما فرطنا شيئاً .

فشيئاً : مفعولٌ مطلق حلَّ محل المصدر : تفريطاً . لأنَّ الفعل : فرَّطَ ، لازم.

٢ — مواضع زيادة الباء :

أما الباء فتزاد في المواضع الآتية :

- في الخبر المنفي ، كخبر « ليس » مثل : ليس أخوك ببخيل .
وخبر « ما » العاملة عمل « ليس » أو المهملة ، مثل : « وما ربُّك بظلاَّمٍ للعبيد . » (آل عمران ١٨٢) ، وخبر « لا » كما في قول سواد بن قارب :

وكنْ لي شفيعاً يومَ لا ذو شفاعةٍ
بمغنٍ فتيلاً عنْ سوادِ بنِ قاربِ

وخبر « كان » المنفية ، كقول الشنفرى :

وإن مُدَّتِ الأيدي إلى الزادِ لم أكنْ
بأعجلِهمْ ، إذْ أجشعُ القومِ اعجَلُ

- وتزاد ايضاً مع النفي عامةً ، حتى جعله بعضُهمْ قياساً ، كقوله تعالى : « أوَ لمْ يروا أنَّ اللهَ الذي خلق السماواتِ والأرضَ ، ولم يَعْيَ بخلقهنَّ بقادر . » (محمد ٣٣) ، وكقول الشاعر :

فما رجعتْ بخائبةٍ ركابٌ
حكيمُ بنُ المُسيَّبِ منتهاها

فقد زيدت الباء في قوله : بقادرٍ ، وهي خبر « أنَّ » ، لوجود « لم » في بداية الآية ، وكذلك زيدت في قوله : بخائبةٍ ، وهي حالٌ ، لمكان « ما » النافية قبلها .

وعلى هذا يمكن أن تقول : ما أظنّك بقائم ، وما أرى أنك بقائم ، وما جاء بضاحك ، قياساً على الكلام السابق .

- في فاعل الفعل «كفى»(1) أو مفعوله، مثل: كفى بأخيك بطلا، والتقدير: كفى أخوك بطلا. وزيادتها قليلةٌ في المفعول به، مثل: كفى بك داءً رؤيتك الأمورَ عسيرةً، والتقدير: كفاك داءً.

- فيَ فاعل فعل التعجب الذي يأتي على صورة الأمر: أفعل به، نحو: أكرم بأخيك. وتقديره: كَرُمَ أخوك.

- في كلمة «حَسْبُ» حين تكون مبتدأ، كقول الأشعر الأسدي:

بحسبكَ في القومِ أنْ يعلموا
بأنَّك فيهم غنيٌّ مُضِرْ

وقد تزاد في الاسم الذي بعدها، فيكون مبتدأً، وهي خبره المقدم كقول عمران بن حطّان:

فاعمل فإنك منعيٌّ بواحدةٍ
حسْبُ اللبيبِ بهذا الشيبِ من ناعِ

- وتزاد في مفعولات بعض الأفعال، كما في هذه الآيات: «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» (البقرة ١٩٥). «وهزي إليكِ بجذعِ النخلة.» (مريم ٢٥). «ومن يُرِدْ فيه بإلحاد.» (الحج ٢٥). «فطفق مسحاً بالسوق.» (ص ٣٣). ومنه: سمع بالخبر، وعلم بالأمر، كقول المثقَّب العبدي:

ولقد علمتُ بأنَّ قصري حفْرةٌ
غَبْراءُ يحملني إليها شَرْجَعُ

---

(1) على ان يكون بمعنى «حَسْبُ».

٣ ـ زيادة اللام :

ويرى بعضُ النحاةِ أنَّ اللامَ زائدةٌ حين تأتي لتقوية العامل مثل : أنتَ ضاربٌ لأخيك . فاسم الفاعل (ضارب) ينصب مفعولاً به ، وكان يمكن أن يقال : أنت ضاربٌ اخاك ، إلاّ انّ اللام دخلت على المفعول لتقوية عمل اسم الفاعل ، وتوصيله إلى المعمول .

وسميت « لام التقوية » لأن اسم الفاعل أضعفُ من الفعل عملاً فتأتي لتقويته كما قلنا ، ولذلك لا تأتي بعد الفعل المتعدي ، إذ لا يقال : أنت ضربت لأخيك ، إلا إذا تقدّم معموله عليه ، كما في قوله تعالى : « الذين هم لربهم يرهبون . » (الأعراف ١٥٤) ، وتقديره : الذين هم يرهبون ربَّهم .

٤ ـ زيادة الكاف :

ورأى بعضُ النحاة أنَّ الكاف في قوله تعالى : « ليس كمثله شيء . » (الشورى ١١) زائدةَ ، لأن المعنى لا يستقيم أن تكون اصليةً ، إذْ يصير : ليس مثلُ مثلِهِ شيء ، وهذا محال (١) .

٣ – أحرف الجرّ الشبيهة بالزائدة

وأحرف الجر الشبيهةُ بالزائدة تختلف عن الأصلية وعن الزائدة ، فهي تنزل بينهما منزلة الوسط ، فالاصلية ما كان لها معنى من المعاني التي

---

(١) جعل ابو عبيدة « عن » زائدة في قوله تعالى : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره . » (النور ٦٣) . وذلك في كتابه : مجاز القرآن ٢/٦٩ ، وهذا لا يقبله النحاة الآخرون .

ذكرناها من قبلُ ، وما أوصلت معنى الفعل إلى الاسم ، أما الزائدة فـلا معنى لها – عدا التوكيدَ – ولا توصل معنى الفعل إلى الاسم ، أما الشبيهة بالزائدة فلها معنىً كالأصلية ، ولكنها لا تصل بين الاسم والفعل كالزائدة ، وعلى هذا تحمل صفة من صفات الأصلية ، وصفة أخرى من صفات الزائدة ولهذا سمّيت : شبيهة بالزائدة .

وحرف الجرّ الشبيه بالزائد هو : رُبَّ .

والنحاة مختلفون في احرف الاستثناء : خلا ، عدا ، حاشا ، حين يُجرّ ما بعدها ، ومن الأفضل جعلها أحرفاً أصلية ، وكذلك يجعل بعضهم « لعلّ » و « لولا » في بعض استعمالاتها شبيهةً بالزائـــد من الحروف الجارّة ، أما الأولى فتقتصر على لغة قبيلة عربية هي « عُقيل » ، وما انفردت به قبيلةٌ لا لزومَ لذكره ، وأما « لولا » فلا تأتي جارّةً إلاّ في لغـة شعريّة تُستعمل في الضرورة ، وذلك حين يتصل بها الضمير المتصل كقول يزيد بن الحكم :

وكم موطنٍ لولايَ (١) طحتَ كما هوى
بأجرامه من قُلَّةِ النيقِ منهوي

الكلامُ على « رُبَّ » (٢)

١ – معناها :

تأتي « رُبَّ » لمعنيين متناقضين ، فحيناً تدلّ على الكثرة ، وحينـاً

---

(١) كان يجب أن يقول : لولا أنا .

(٢) وتلفظ أحياناً : رُبَّتَ ، بتشديد الباء ، ورُبَ بتخفيفها .

آخرَ تدلُّ على القلة ، كما ترى في الأمثلة الآتية :

ـ ربَّ مستمع إليك ، وقلبه في صممٍ عنك .

فالمعروف أن الذي يصغي إلى محدّثه يعي قوله ، ولكن قد يكون المستمع في بعض الأحيان على غير وعي لما يقال له ، وهذا قليل :

ـ ويقول امرؤ القيس :

فيا ربَّ يومٍ قد لهوتُ وليلةٍ
بآنسةٍ كأنها خطُّ تمثالِ

فالشاعر هنا يفخر بكثرة ما يقضي مع الحسان من ليالٍ لاهيةٍ ، ولهذا كانت « رُبَّ » تدل على الكثرة لا على القلة ، كما كانت في المثال السابق.

ـ قال أحدُ الأعراب ، وقد رأى هلالَ رمضان : « يا رُبَّ صائمه لن يصومه ، ويا ربَّ قائمه لن يقومه . » ربَّ هنا تدل على الكثرة ايضاً، لأن الأعرابي يعني أنَّ كثيرين ممن سيتعبون في الصيام ، جوعاً وظمأً ، لن يكتب لهم أجره ، فكأنهم لن يصوموا ، وكذلك لن يفيد أجراً كثير ممن سيقضون ليالي رمضان في العبادة .

٢ ـ إضمار « رُبَّ » :

وكثيراً ما تضمر « رُبَّ » ، ويبقى عملها ، مثلما تضمر « أنْ » وتبقى ناصبة للمضارع .

ويكثر إضمار « رُبَّ » بعد الواو المستأنفة (١) ، كقول امرىء القيس :

---

(٢) يقول النحاة الذين يذهبون هذا المذهب : إن الواو عاطفة ، تعطف كلاماً على كلام ، وحين تقع في بدء القصيدة ـ وهذا غير قليل ـ يزعمون ان الكلام بعدها معطوف على ما في نفس الشاعر ، والمستأنفة عندهم نوع من العاطفة .

وليلٍ كموجِ البحرِ أرخى سدولَهُ
عليَّ بأنواعِ الهمومِ ليبتلي

ويقلُّ بعد الفاء المستأنفة أو غيرها، كما في قول امرىء القيس ايضاً :

فمثلِكِ حُبْلى قد طرقتُ ومرضعٍ
فألهيتُها عن ذي تمائمَ مُحْوِلِ

وقول المنخل اليشكري :

فحورٍ قد لهوتُ بهنَّ عينٍ
نواعمَ في المروطِ وفي الرياطِ (١)

ويقلُّ أيضاً إضمارها بعد « بَلْ » الابتدائية، كما في قول رؤبة بن العجاج :

بل بلدٍ ملْءُ الفجاجِ قَتَمُهُ
لا يُشْتَرى كتَّانُهُ وجَهْرَمُهُ (٢)

وأقلُّ من ذلك كلهِ أن تضمر من دون هذه الأحرف الثلاثة، كما ترى في قول جميل بثينة :

رسمِ دارٍ وقفْتُ في طللِهْ
كِدْتُ أقضي الحياةَ من جَلَلِهْ

وينبغي أن تعلمَ أن إضمار « رُبَّ » لا يرد إلا في لغة الشعر، ولم يعرف شاهدٌ نثريٌ أضمرت فيه البتة.

---

(١) المروط : الأزُر المعلمة، والرياط : جمع مفرده ريطة، وهي الملاءة.

(٢) القتم : الغبار، والجهرم : بسطٌ من الشعر.

٣ — محل المجرور بها :

ولمجرورها ـ كما لمجرور الحرف الزائـد ـ محلٌ من الإعراب ، بحسب العامل بعدها ، وصلتـه بما تجرُّ من الأسمـاء ، وذلك على الصور الآتيـة :

آ ـ الرفع على الابتداء :

وهذا هو الكثير الشائع في التراكيب الفصيحة ، فحين نعود إلى بعض الشواهد الشعرية السابقة نجـــد مجرورَ « رُبَّ » في محل رفعٍ ، مبتدأً ، كما في بيت امرىء القيس : وليل كموج البحر.... ، وبيت المتنخّل، وبيت رؤبة ، وبيت جميل .

ب ـ النصب على المفعولية :

وهذا أقلُّ ، ولكنه واردٌ في الـكلام ، وذلك إذا جاء بعدَها فعلٌ متعدٍ مسلطٌ على مجرورها ، كما في قول الأعشى :

وكـأسٍ شربتُ على لذّةٍ
وأخرى تداويتُ منهـا بها

فالفعل : شربتُ ، متعدٍ مسلطٌ عمله على « كأس » فكأنه قال : كم من مرة شربتُ كأساً على لذّةٍ... ومثل هذا قول الأعشى نفسه :

وخَرْقٍ مخوفٍ قـد قطعتُ بجسْرةٍ
إذا خبَّ آلٌ وسطهُ يترقرَق (١)

(١) الخرق : الفلاة . الجسرة : الناقة القوية السريعة . خبَّ الآل : اضطرب السراب .

والمعنى : قد قطعت خرقاً مخوفاً مرّاتٍ كثيرة .

ج ـ النصبُ على الظرفية الزمانية :

وهذا أقلُّ من سابقه ، وذلك إذا جرَّت « رُبَّ » ظرف زمانٍ ، وعمل فيه عاملٌ بعده ، كقولك : رُبَّ صباحٍ تمتَّعت بجمالِ الطبيعة . ومنه قول امرىء القيس :

فيا رُبَّ يومٍ قد لهوتُ وليلةٍ
بآنسةٍ كأنها خطُّ تمثالِ

فالتقدير في الجملة الأولى : في مرّات كثيرة ، تمتعت صباحاً بجمال الطبيعة . وفي الجملة الثانية : لهوتُ في أيامٍ وليالٍ كثيرةٍ بأوانسَ جميلاتٍ .
ومنه قول عمارة بن عقيل :

فيا رُبَّ يومٍ قد شربتُ بمشربٍ
شفيتُ به غيم الصدى ، باردٍ عذْبِ

د ـ النصب على المفعولية المطلقة :

وقد يكون المجرور بـ « رُبَّ » مفعولاً مطلقاً ، نحو قولك : ربَّ نظرةٍ نظرتُ إلى جمالِ الطبيعة . ونحو : ربَّ سوطٍ ضربت منْ يستحق.
ومنه قول الشاعر الحماسي :

ألمْ تعلمَنْ يا ربِّ أنْ ربَّ دعوةٍ
دعوتك فيها مخلصاً لو أجابُها

أحكام « رُبَّ »

ولهذه الأداة أحكامٌ استقراها النحاة من كلام العربِ ، هي :

١ — يجب أنْ تكونَ في أول الجملة : وهذا واضحٌ في الأمثـلة المتقدمة كلّها ، ويعني هذا أن المجرورَ بها لا يعمل فيه عاملٌ قبله ، بل بعـده .

٢ — ويجب أن يكون مجرورها نكرةً : كما ترى فيما تقدّمَ من الشواهد ، ويجوز أن يكون كالنكرة ، أي ليس بنكرة محضـة ، كقول جرير :

يا رُبّ غابطِنا لو جاءَ يطلبـكمْ
لاقى مباعـــدةً منكم وحرمانا

فقوله : غابطنا ، مضافٌ إلى ضمير المتكلمين ولكنه لم يكتسب منه التعريف لأن الإضافة لفظية لا معنوية — كما سترى في بحث الإضافة — ولهـذا كان نكرة غير محضة . ومثل هذا ما مرّ بنا من قول الأعرابي : يا ربّ صائمة ، ويا رُبّ قائمة ، وقول امرىء القيس : فمثلكِ حُبْلى .. لأن « مثل » مغرقة في التنكير .

٣ — وكثيراً ما يكون مجرورها موصوفاً ، كقول زهير بنِ أبي سلمى :

وأبيضَ فيّـاض يداه غمـامةٌ
على مُعتفيه ما تُغبُّ فواضِلهُ

وكقول امرىء القيس المتقدم : وليلٍ كموج البحر .

على أنه قد يُحذف الموصوف وتبقى صفته ، وهذا أسلوبٌ عربيٌّ تجده في أبواب النحو كلها ، كقول هند بنت عتبة :

يا رُبّ قائلةٍ غـداً يا لهفَ أمِّ معـاويهْ

والتقدير : يا رُبّ امرأةٍ قائلةٍ .

وإذا كانَ محل المجرور بها نصباً على الظرفية أو المفعولية المقيدة أو المطلقة ، فكثيراً ما يأتي غير موصوف ، كما في قول الأعشى السابق : وكأسٍ شربتُ على لذةٍ ، وقول الشاعر الحماسي : رُبَّ دعوة دعوتك . وقول امرىء القيس : ربَّ يوم قد لهوتُ بآنسة . أما إذا كان مبتدأ فالأكثر وصفه ، كما رأيت في الشواهد المتقدمة .

٤ — حذف الجار

وقد يحذف حرف الجر الأصلي ، أو الشبيه بالزائد ، في مواضع من الكلام ، ويكون ذلك سماعاً وقياساً .

١ – حذفه سماعاً :

ويحذف سماعاً بعد أفعال خاصة ، سُمعتْ من فصحاء العرب ، أو وردت في نصوص فصيحة ، لا يجوز القياس عليها ، من ذلك حذف الباء بعد الفعل « كفر » واللام بعد « نصح » و « شكر » ، و « إلى » بعد الفعل « دخل » و « من » بعد الفعل « اختار » ، قالوا : كفر النعمةَ ، وكفر بها ، ونصح له ونصحه ، وشكر له وشكره ، ودخل إلى البيت ودخله ، وجاء في القرآن الكريم : « واختار موسى قومَه سبعين رجلاً لميقاتنا .» (الأعراف ١٥٥) . أي : اختار من قومه . وجاء فيه : « وإذا كالوهم او وزنوهم يُخسرون . » (المطففون ٣) أي : كالوا لهم ، أو وزنوا لهم . وجاء في شعر الفرزدق :

ومنّا الذي اختيرَ الرجالَ سماحة
وجوداً إذا هبَّ الرياح الزعازع

أيْ: من الرجال. وكانَ العرب يقولون: أقمت ثلاثاً ما أذوقهنَّ طعاماً ولا شراباً، أي: ما أذوق فيهنَّ.

وإذا حذف الجار سماعاً بطل عمَلُـه، ونصب الاسم الذي كان مجروراً به، وأعرب: اسماً منصوباً على نزع الخافض.

٢ — حذفه قياساً:

ويحذف قياساً في المواضع الآتية:

ـ إذا دلَّ عليه دليلٌ، كأن يتقدم في جملة الاستفهام، فيحـذف من جملة الجواب، مثل قولهم: مررتَ بمن؟ زيد؛ أي: بزيد.

ـ وتحذَف واو القسم قبل لفظ الجلالة، تقول: أللهِ لقد جئت.

ـ وتحذف «ربَّ» بعد الواو والفاء وبل، كما مرَّ بك.

ـ ويحذف حرف الجرّ قياساً إذا كان المجرور بـه مصدراً مؤولاً مثل: اضطررت أنْ أذهبَ، أي: إلى أن اذهب.

وحين يحذف قياساً لا يبطل عملُه، ويجرّ ما بعدَه على الرغم من حذفه، ولهذا رجـح رأي من ذهب إلى أن المصـدر المؤوّل في مثل: اضطررت أن اذهب، في محل جر بـ «إلى» محذوفة، على من ذهب إلى أنه منصوبٌ بنزع الخافض.

٥ ـ تعليق حرفِ الجرّ

حرف الجرّ، كما قلنـا، يوصل معنى الفعل أو شبهـه إلى اسم لا يستطيع الفعل أن يصلَ اليه بنفسه، وهذا هو معنى التعليق، فحين نقول

في الإعراب في مثل قولنا: نمت على السرير، إنَّ «على السرير» يتعلق بالفعل نمتُ، نريد أن الجار والمجرور متممان لمعنى الفعل، لأنهما يحددان مكانه.

ومعاني حروف الجرّ كما مرَّ بنا من قبل هي مكملة لمعاني الأفعال وأشباهها فقد تحدد زمانها كقولنا: ذهبت في الصباح، وعدت في المساء، وقد تحدد مكانها مثل: قعدت على الأرض. وقد تعللها مثل: نجحتُ بجدي ودأبي.

وفي الإعراب يجب أن نفكّر في هذا قبل أن نطلق حكمنا في التعليق، ويجب ألاّ نعلق حرف الجرّ إلا بما يوصل معناه إلى المجرور، وتتعلق حروف الجرّ بما يلي:

١ - بالفعل، كما مرَّ في أمثلةٍ كثيرة.

٢ - بشبه الفعل، كاسم الفاعل. مثل: أنت آكلٌ بالملعقة، واسم المفعول نحو: إنه مضروب بالعصا، والصفة المشبهة مثل: إنه الكريم في شمائله، والمصدر مثل: إن التقائي بك لمن دواعي سروري، واسم التفضيل مثل: العمل خيرٌ من الكلام .. الخ

٣ - باسم الفعل، مثل: نزالِ من الباخرةِ، وهلمَّ إليَّ.

٤ - بما يؤول بشبه الفعل، مثل: أنت أسدٌ في الشدائد، أي: شجاعٌ.

إلا أن هذه المتعلَّقات قد تحذف من الكلام ظاهراً، ولكنها تبقى منويَّة مضمرة ويكون ذلك في الخبر والصفة والحال، كقولك: أنت في البيت. فالمتعلق به هنا خبر «أنت»، وتقديره: موجودٌ في البيت، وكقولك كتابٌ في يدك، خيرٌ من كتابٍ على الرفّ، أي: كتاب موجودٌ في يدك،

خير من كتاب موجود على الرفّ» ، أي تعلّق شبه الجملة هنا بصفة محذوفة لـ «كتاب». وكقولك : أخوه في عهد التلمذة ، خير منه في عهد الرجولة، فالمتعلق به هنا حالٌ «من أخيك» ، أي اخوك كائناً في عهد التلمذة ...

ويجب أن نعلم ان تقديرنا للخبر والصفـة والحال إنما هو للتمثيل ، ولكنه لا يستعمل في الـكلام ، فلا يقول أحدٌ ممن يحسن العربية : أخوك كائناً في عهد التلمذة خير منه كائناً في عهد الرجولة .

٦ ـ أحرف وأسماء

هناك ما يستعمل اسماً في موضعٍ ، وحرفاً في موضع آخر ، من ذلك:

١ ــ الـكاف :

تكون الـكاف اسماً بمعنى «مثل» في مواضعَ خاصةٍ من الـكلام ، أهمها : أن تقع فاعلاً ، كما في قول امرىء القيس :

وإنك لم يفخرْ عليك كفـاخرٍ
ضعيفٍ ، ولم يغلبْكَ مثل مُغلَّبِ

فالـكاف هنا اسم مبني على الفتح في محل رفع ، فاعلٌ للفعل : يفخر . أي: لم يفخر عليك مثلُ فاخر .

ومن هذه المواضع أن تقع في محل نصب مفعولاً به ، كما في قول سلمةَ بن جعفي يرثي أخاه :

وكنتُ أرى كالموتِ من بينِ ليـلة
فكيف ببَيْن كان ميعادَه الحشْرُ

أي : أرى مثلَ الموت .

ومنها أيضاً إذا وقعت في محل جرٍّ بحر الجر ، كقول الأخطل :

قليلٌ غِرارِ النومِ حتى تقلَّصوا
على كالقطا الجوني أفزعه الزَّجْرُ

٢ - عن :

ويكون هذا الحرف اسماً إذا دخل عليه حرف جر ، ويكون بمعنى « جهة » كقول قطري بن الفُجاءة :

ولقد أراني للرماح دريئـةً
من عَنْ يميني مرَّةً وشمالي

وكقول القطامي :

فقلتُ للركب لمَّا أنْ علا بهمُ
من عَنْ يمين الحُبيَّا نظرة قَبَلُ

٣ - على :

وتكون بمعنى « فوق » ، ولذلك تدخلها حروف الجر كقول مزاحم العُقيلي :

غدتْ من عليه بعدما تمَّ خِمسُها
تَصِلُّ ، وعن قيضٍ ببيداءَ مَجهلِ (١)

أي : غدت من فوقه .

٧ - زيادة « ما »

تزاد « ما » في لغة العرب أحياناً بعد العوامل النحوية ، فتبطل عمل

(١) يصف الشاعر قطاة ظمئت خمس ليالٍ ، حتى أخذ جوفها يصل ، أي سمع له صليلٌ من اليبس والعطش ، والقيض : قشر البيض .

بعضها ، ولا تقوى على إبطال عمل بعضها الآخر ، وحروف الجر من هـــذه العوامل التي تزاد بعدها « ما » ، ويكون لها معها شكلان من اشكال العمل :

١ ـــ بقاء الجرّ :

فإذا زيدت بعد الباء ، أو : من ، أو : عن ، لم تَقْوَ على إبطال عملها ، كما ترى في هذه الآيات القرآنية : « فبما رحمةٍ من اللهِ لنتَ لهم . » (آل عمران ١٥٩) ، « ممّا خطيئاتِهم أغرقوا . » (نوح ٢٥) ، عما قليل ليصبحُنَّ نادمين . » (المؤمنون ٤٠) .

٢ ـــ إلغاء الجرّ :

وإذا زيدت بعد « رُبَّ » و « الكاف » ، أبطلت العمل ، وإذ ذاك لا تختصُّ « ربّ » بالجملة الاسمية ، بل تدخل على الجملة الفعلية أيضاً كقوله تعالى : « ربما يودُّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين . » (الحجر ٢٠) [١]، ومن دخولها على الجملة الاسمية قول ابي دواد الأيادي :

ربّمـا الجـاملُ المؤبّـلُ فيهم
وعنـاجيـجُ بينهنَّ (المِهـارُ) [٢]

(١) زعم الأخفش أنه يجوز أن تكون « ما » نكرة موصوفة في محل جرّ بربَّ ، وقدّر ضميراً في الفعل بعده على الشكل التالي : « ربّ ودّ يودّه الذين كفروا . » .

(٢) الجامل : جماعة الإبل ، والمؤبَّل : الكثير الإبل ، والمناجيج : أفضل الخيل . هذا وهناك شاهدٌ عملت فيه « رُبَّ » على الرغم من زيادة « ما » بعدها ، هو قول عدي بن الرعلاء :

ربما ضربةٍ بسيفٍ صقيلٍ   بين بُصْرى وطعنةٍ نجـــلاءُ

ومما دخلت فيه « ما » على الكاف وأبطلت عملها ، قول نهشل التميمي:

أخٌ ماجدٌ لم يخزِني يومَ مشهدٍ
كما سيفُ عمروٍ لم تخُنْهُ مضاربُهْ

وقول زياد الأعجم :

وأعلمُ أنني وأبا حُمَيْدٍ
كما النشوان والرجل الحليمُ

ملاحظة :

قد يضطر الشاعر فيفصل بين حرف الجرّ ومجروره ، وهذا غير جائزٍ ، كقول بعضهم :

لو كنت في خلقاءَ أو رأس شاهقٍ
وليس إلى منها النزولِ سبيلُ

وأصله : وليس إلى النزول منها سبيل .

وكذلك قد تدفعه الضرورة إلى أن يفصلَ بها بين شيئين لا يجوز الفصل بينهما ، كقولِ امرأةٍ سعدية جاهلية :

هما أخوا في الحربِ مَنْ لا أخا لهُ
إذا خاف يوماً نبوةً فدعاهما

إذْ فصل بين المضاف « أخوا » والمضاف إليه « مَنْ » بقوله : في الحرب .

شواهد للتدريب

١ ـ قال جرير :

أراحَ الحيُّ من إرَمٍ الطِّرادِ
فما أبقوْا لعينك من سوادِ

٢ ـ قال أبيٌّ بن حمام المريّ :

وسيانِ عندي أن أموتَ وأن أُرى
كبعض رجالٍ يوطنون المخازيا

٣ ـ قال عنترة :

فشككت بالرمحِ الأصمِّ ثيابَه
ليس الكريمُ على القنا بمحرَّمِ

٤ ـ وقال :

ولرُبَّ يومٍ قد لهوتُ وليلةٍ
بمسوَّرٍ ذي بارقينِ مسوَّمِ

٥ ـ قال البرج بن مسهر :

تركنا قومنا من حربِ عام
ألا يا قومِ للأمرِ الشتّاتِ

٦ ـ قال النابغة الذبياني :

تخيَّرنَ من أزمانِ يوم حليمة
إلى اليومِ قد جرِّبنَ كل التجاربِ

المضاف اليه

الإضافة مصدرٌ للفعل : أضاف ، فإذا قلت : أضاف سعيدٌ الكرم إلى أخيه ، عنيتَ أنه نسب إليه صفةَ الكرم ، ووصفه بها ، وإذا قلت : أضفتُ العملَ إلى خالد . عنيت : أن العملَ منسوبٌ إلى خالد .

وكذلك المضاف إليه في نحْوِ العربية ، فهو اسمٌ ينسب إليه شيءٌ لأغراض معنوية ، كقولك : هذا كتابُ خالد ، فقد أضفت الكتابَ ونسبته إلى خالد . فالكتابُ مضاف ، وخالدٌ : مضافٌ إليه .

آ ـ معاني الإضافة

هناك تشابه بين الجرّ بالإضافة والجر بحرف الجر ، فلا تخرج الاضافة على المعاني التي تؤدى بأحدِ أحرف ثلاثة : اللام ، ومِنْ ، وفي .

١ ـ الإضافة بمعنى اللام :

وهذا اكثر معانيها استعمالاً ، وتكون إمّا للاختصاص ، وإما للملك ، يقول تأبط شراً :

يبيت بمغنى الوحشِ حتى ألِفْنَه
ويصبح لا يحمي لها الدهرَ مرْتَعا

فقولُه : بمغنى الوحشِ ، إضافة تفيد الاختصاص ، كأنه قال : بمغنى للوحش ومثله قولك : عجلة السيارة ، وماء البئر ، وأوراق الكتاب .

ويقول نهشل التميمي[٥] :

أخٌ ماجدٌ لم يخزني يومَ مشهـد
كما سيف عمرو لم تخنْه مضاربُه

فقوله : سيف عمرو : إضافة تفيد الملك ، وهي بمعنى اللام ، ومثلها : قلم خالد ، وكتاب سعيد ، ودفتر عدنانَ ، و ...

٢ — بمعنى « من » البيانية :

ومن معاني الاضافة أن تبيِّن مبهماً قبلها ، كقولك : خاتمُ ذهب ، وخاتم فضَّة ، وكرة حديد ، وهي هنا لا تختلف عن « من » البيـــانية ، فكأنك قلت : خاتم من ذهب ، وخاتم من فضَّة ، وكرةٌ من حديد ، وذلك إذا أضفت الشيء إلى جنسه .

٣ — بمعنى « في » الظرفية :

وقد تفيد الإضافة معنى « في » الظرفية ، كقولك : فلانٌ شجاعُ حرب ، وكريم مسألة ، ومنه قول العرب : يا سارقَ الليلةِ أهلَ الدارِ . وفي القرآن : « بل مكرُ الليلِ والنهار . » (سبأ ٣٣) ، ومنه أيضاً قول القطامي :

ألا إنمـا نيرانُ قيسٍ إذا شتَوْا
لطـارق ليل مثلُ نار الحباحبِ

فقوله : طارق ليل يعني : طارق في الليل .

ب - نوعا الإضافة

١ ـ الإضافة المعنوية :

وحين تكون الاضافة على ما ذكرنا من المعاني تكون إضافة معنوية ، ومن طبيعة هذا النوع أن تكسب النكرة فيه تعريفاً أو تخصيصاً .

فاذا قلت : غرست في الحديقة شجرة ، كانت كلمة « شجرة » نكرة غير بيّنة ، ولكن لو قلت ، سقيت شجرة حديقتي ، صارت معرفة ، لأنك أضفتها إلى معرفة ، فاكتسبت منها التعريف .

وإذن تكتسبُ النكرة التعريف إذا أضيفت إلى معرفة .

ولكن تأملْ هذه العبارة : غرست في حديقتي شجرة ليمون ، فكلمة « شجرة » هنا لم تتحول إلى المعرفة فإضافتها إلى « ليمون » لأن المضافَ اليه نكرة لا معرفة ، غير أنها حدّدت وخصّصت ، فهي شجرة ليمون لا شجرة عامة لا يعرف جنسها .

وبهذا تكتسب النكرة التخصيص إذا أضيفت إلى نكرة .

على أن هناك كلمات مغرقة في التنكير والابهام نحو : مثل ، غير ، شبه ، نظير ، ... وهي تظل نكرة وإن أضيفت الى معرفة ، بيد أنها تكون نكرة مخصَّصة ، انظر هذه العبارة : مررت برجل مثلِ خالد ، فكلمة « مثل » أضيفت إلى اسم العلم : خالد ، وكان يجب أن تتحول إلى معرفة ، ولكنها ظلت نكرة ، يدلك على ذلك أنها صفةٌ « لرجل » . وكذلك يمكن أن تقول : عرفتُ رجلاً شبهَ خالد ، أو نظير خالد ، أو غيرَ خالد ، وهي جميعاً نكرات خصّصت بالاضافة ، ولم تعرّف ، على الرغم من أنها أضيفت إلى معرفة .

٢ — الاضافة اللفظية :

وإذا خلت الاضافة من معاني أحرف الجر السابقة ، كانت إضافة

لفظية مجرّدة، تلجأ اليها اللغة لتخفيف اللفظ، وتعرف بشيئين :

أولهما : أن يكون المضاف أحد المشتقات الثلاثة : اسم الفاعل، أو اسم المفعول، أو الصفة المشبهة.

ثانيهما : أن يصحّ قلب التركيب بحيث يصبح الاسم المشتق عاملاً عمل فعله في المضاف اليه، كما في قولك : فلانٌ كريمُ الطبع، فكلمة «كريم» صفة مشبهة، وهذا هو الشيء الأول، ونستطيع ان نحوّر في التركيب فنقول : فلانٌ كريمٌ طبعُه، فتجعل الصفة المشبهة عاملة في «طبعُه» عمل فعلها، وهذا هو الشيء الثاني.

وهذا النوع من الاضافة لا يكتسب فيه المضاف تعريفاً وإن أضيف إلى معرفة، ويمكنك ان تستدلّ على ذلك من اربعة أوجه :

١ ـ أن المضاف إضافة لفظية يعرّف بـ «أل»، ولا يعرّف بها إلا النكرات، كما في قوله تعالى : «والصابرين على ما أصابهم، والمقيمي الصلاة» (الحج ٣٥). وتقول : جاء الرجلُ الطويلُ القامةِ.

٢ ـ وأنّ المضاف إضافة لفظية يقع صفةً للنكرة تقول : رأيت رجلاً كثيرَ المعرفةِ.

٣ ـ وأنه يقع حالاً، والحال نكرة، يقول شعبة بن قمير :

إذا ما جئتُ زائرَهم دعاني
شريدُهمُ، وهل لهمُ شريدُ

فقوله : زائرهم، حال، فهو إذن نكرة على الرغم من إضافته إلى الضمير.

٤ ـ وإنه يقع مجروراً بـ «ربّ»، وهي لا تجرّ إلا النكرات، كما في قول جرير :

يا رُبَّ غابطنا لو جاء يطلبكم
لاقى مباعدةً منكم وحرمانا

ج - ما يلازم الاضافة

١ - ما يلازم الإضافة إلى المفرد :

من الأسماء ما يلازم الإضافة لفظاً ، ولا يجوز قطعه عن الإضافة ، وهو نفسه متنوع في إضافته ، وذلك على الشكل التالي :

- ما يضاف إلى اسم ظاهر وضمير متصل : وهذا كثير ، منه : كلا وكلتا ، وعند ، وغير ، وسوى . أما « كلا ، وكلتا » فلا تضافان إلا إلى كلمة واحدة ، معرفة ، تدل على اثنين ، مثل : « كلتا الجنتين آتت أكلها » (الكهف ٣٣) ومن إضافتهما إلى الضمير : جاء الرجلان كلاهما ، ومررت بأختيك كلتيهما . وتقول في سائر ما ذكرنا : رأيت رجلاً غيرك أو مثلك أو سواك . ورأيت رجلاً غير عدنان ، او مثل عدنان ، او سوى عدنان .

- ما يضاف إلى اسم ظاهر فقط ، ولا يجوز ان يضاف إلى ضمير : أولو ، ذو ، ذات ، تقول : هؤلاء الرجال أولو مالٍ . وهذا ذو مالٍ ، وهذه ذات مال .

- ما يضاف إلى ضمير فقط ، ولا يجوز أن يضاف إلى اسم ظاهر : وحده ، حنانيك ، لبيك ، و ... ومن الأسماء الملازمة الاضافة ما يجوز قطعه عنها لفظاً ، مع بقاء الاضافة معنى ، كالكلمات : كل ، وبعض ، وأي . تقول : كل الرجال آتون . وكلٌ آتٍ او آتون .

٢ ـ ما يلازم الاضافة إلى الجملة :

ـ ما يلازم الاضافة إلى الجملتين : الاسمية والفعلية ، مثل : إذ ، حيث . نحو : «واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض» (الأنفال ٢٦) ونحو : «واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً» (مريم ١٦). وقد تحذف الجملة بعد « إذ » ويعوض عنها بتنوين ، مثل : حينئذٍ ، يومئذٍ ..

أما «حيث» فأكثر ما تضاف الى الجملة الفعلية ، وقل أن تضاف الى الاسمية ، فلم تأت في القرآن إلا والجملة بعدها فعلية مضارعية أو ماضوية ، من ذلك : « واقتلوهم حيث ثقفتموهم » (البقرة ١٩١) ، « الله أعلمُ حيث يجعل رسالته » (الأنعام ١٢٤). وإذا أردت إضافتها إلى الجملة الاسمية قلت : سأذهب إلى حيث الحياة هنيئة . وقد يحذف الخبر كقولهم: سعيد من حيث الأخلاقُ نبيل . وهو تعبير مولَّد .

ـ ما يلازم الاضافة إلي الجملة الفعلية . وهو الظرف « إذا » [١] ، تقول : إذا جئتَ أكرمتك ، وإذا جاء بعدها اسم مرفوع أو منصوب ، فالعامل فيه فعل محذوف يفسره ما بعده ، كقول تأبط شراً :

إذا المرءُ لم يحتلْ وقد جَدَّ جِدُّهُ
أضاعَ وقاسى أمْرَهُ وهو مُدْبِر

فالمرء : هنا ليس مبتدأ ، لأنه لو كان كذلك ، لكانت جملته اسمية ، و (إذا)

---

(١) هذا رأي جمهورهم ، ويرى بعضهم أن « إذا » حين تكون شرطية تحمل على « متى ، وأيان ، و .. » فلا تضاف إلى ما بعدها ، وهذا هو الرأي الصحيح .

لا تضاف إلا الى جملة فعلية . وقال ذو الرمة يخاطب ناقته التي تحمله إلى الممدوح:

إذا ابنَ أبي موسى بلالاً بلغتِهِ
فقامَ بفأسٍ بيْنَ وِصْليكِ جازرُ

والتقدير : إذا بلغت ابنَ ابي موسى (١) .

٥ - من أحكام الإضافة

١ - حذف التنوين وما يقابله :

التنوين لا يجتمع مع الاضافة البتة ، وكذلك ما يعوض عنه في المثنى وجمع المذكر السالم ، تقول : رأيتُ طالباً = رأيتُ طالبَ الجامعـةِ . حذفت التنوين حين أضفت . وتقول : جاء طالبان = جاء طالبا الجامعة . حذفت النون من المثنى حين أضفت لأنها عوض من التنوين . وكذلك تقول : جاء طالبو الجامعة . وكان هذا التنافر بين التنوين والاضافة موحياً لأحد الشعراء في قوله لخصمه :

كأنيَ تنوينٌ وأنت إضافـةٌ
فأين تراني لا تحل مكانيـا

٢ - ما يكتسبه المضاف من المضاف اليه :

كثيراً ما يكتسب المضاف من المضاف اليه تذكيراً او تأنيثاً ، وهذا اسلوب عربي فصيح ، وعليه شواهد كثيرة ، كقول الأعشى :

وتَشْرَقُ بالقولِ الذي قد أذعتَهُ
كما شَرِقتْ صدرُ القناةِ من الدَّمِ

(١) والبيت يروى بالرفع ايضاً . انظر كتاب سيبويه ١/٤٢ .

فقوله : « صدر » مذكر ، ولكنه اكتسب التأنيث من المضاف اليه وهو « القناة » ، ولذلك قال الشاعر : شرقتْ ، بالتأنيث . ومثله ما ينسب إلى مجنون بني عامر :

وما حُبُّ الديارِ شَغَفْنَ قلبي
ولكنْ حُبُّ مَنْ سكنَ الديارا

فأعاد نون النسوة إلى « حب » وهو مذكر ، لأنه اكتسب التأنيث من المضاف اليه « الديار » .

ويشترط هنا ان يصح قيام المضاف اليه مقام المضاف ، فلك أن تقول في بيت الأعشى : شرقتِ القناةُ من الدم . دون أن يفسد المعنى الذي أراده . ولك ايضاً ان تقول في بيت المجنون : وما الديارُ شغفن قلبي .. أما إذا لم يصح ذلك فلا يكتسب المضاف تذكيراً او تأنيثاً ، فلا يجوز ان تقول : جاءتْ أخو دعدٍ . لأنك لا تستطيع ان تقول : جاءت دعدٌ ، وانت تريد المعنى نفسه .

٣ ـ حذف المضاف :

وكثيراً ما يحذف المضاف ويحل المضاف اليه محله ، كأن تقول : سألتُ الجامعةَ كلها عن اخيك . فأنت هنا حذفت المضاف ، لأنك أردت : سألت طلاب الجامعة كلهم . ولكنك لما حذفت المضاف أقمت المضاف اليه مقامه في الموضع الاعرابي . وفي القرآن : « واسأل القريةَ التي كنا فيها ، والعير التي أقبلنا فيها » (يوسف ٨٢) والتقدير : اسأل سكان القرية ، وراكبي العير أو أصحابَها . ومثله : « وأُشْرِبوا في قلوبهم العِجلَ بكفرهم » (البقرة ٩٣) أراد : أشرِبوا حُبَّ العجلِ . ومن الشعر قول جميل :

يقولون جاهِدْ يا جميل بغزوةٍ
وإن جهاداً طيِّئٌ وقتالُها

يريد : وإن جهاداً جهاد طيءٍ .

ويحذف المضاف ايضاً جوازاً إذا سبق له ذكر في الكلام ، ودل عليه السياق ، كقول العرب : ما كلُّ بيضاءَ شحمة ، ولا سوداءَ تمرة . أي ولا كلُّ سوداءَ تمرة .

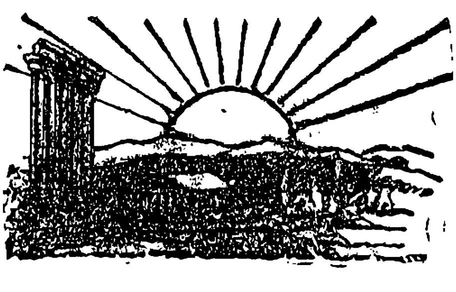
٤ ـ حذف المضاف اليه :

لا يحذف المضاف اليه إلا في ضرورة الشعر ، اما في النثر فلا يجوز قال الفرزدق :

يا مَنْ رأى عارضاً أُسَرُّ به

بين ذِراعَيْ وجَبْهَةِ الأسَدِ

والأصل : بين ذراعي الأسد وجبهته . ولا يقال في النثر : جاء قائد وجنود الكتيبةِ ، بل : جاء قائد الكتيبةِ وجنودها .



اللوابع

معنى التوابع

هي أسماء تتبع ما قبلها في الاعراب ، ويتمم اكثرها معنى ما تتبعه ، وعلى هذا تكون التبعية فيها من جهتين : تبعية إعرابية ، وتبعية معنوية .

أما الأولى منها فلا يشذ عنها تابع من التوابع ، سواء أكان مكملاً لمتبوعه ام لم يكن ، مثل : جاء خالدٌ الطويلُ ، ومعه الطلابُ كلُّهم ، ومعهم أخواك سَعْدٌ وسعيدٌ .

اما التبعية المعنوية فمختلفة بين تابع وآخر ، وذلك على الشكل التالي :

١ — توابع تكمل المتبوع :

من التوابع ما يكون مكملاً لمعنى متبوعه ، ويمكن الاستغناء عنه ، لأنه غير مقصود بالحكم ، كالصفة ، والتوكيد ، وعطف البيان ، فاذا قلت : جاء الرجلُ الطويلُ . دلت الصفة « طويل » ، على معنى متمم للرجل ، لأنها بينت صفة جزئية منه وهي الطول ، ولكنها ليست مقصودة بالحكم الذي تعبر عنه الجملة ، وهو مجيء الرجل .

وإذا قلت : اشتريت الكتبَ كلَّها . حملت كلمة التوكيد « كلها » معنى متمماً المفعول به وهو الكتب ، ولكنها ليست مقصودة بالحكم . ومثله كذلك : هذا ابنُ الوليد خالدٌ . لأن « خالد » هنا لم تؤد وظيفة معنوية غير توضيح : ابن الوليد ، لتميزه من اخوته ابناء الوليد الآخرين ، فهي عطف بيان ، اي أنها بينت الاسم الذي تبعته .

٢ — توابع تكون هي المقصودة بالحكم :

كالبدل والمعطوف بـ « بل » ، نحو : هذا ولدي عليٌّ . فالاسم « علي » هو المقصود بالحكم كأننا قلنا : هـذا عليٌّ . وإذا قلت : جاء سعيدٌ بل خالدٌ . فالذي جاء هنا « خالد » ، أما سعيد فقد أخطـأنا في نسبة المجيء اليه ، لأنه لم يجىء .

وعلى هذا يكون هو المهم في الجملة ، والاسم الذي قبله لا أهمية له ، أما تسمية النحاة له بالتابـع ، وإلحاقه بما ذكرنا ، فلأنه يتبـع ما قبله في الحركة الاعرابية .

وهناك نوع من التوابع ، هو المعطوف بالواو ، يشبه هذا ويختلف عنه . أما وجه الشبه بينهما فيقوم على ان كليهما مقصود بالحكم ، ولكنهما يختلفان في ان البدل والمعطوف بـ « بل » ، ينفردان بالحكم ، اما هذا فلا ينفرد به ، بل يشترك فيه ، فاذا قلت : جاء سعيد وخالدٌ ، فأنت لا تريد ان تنفي المجيء عن سعيد ، وإنما تريد ان تبين أنهما كليهما اشتركا في فعل المجيء .

٣ — تابع لا يقصد بالحكم ولا يتمم متبوعه :

هو المعطوف بـ « لا » ، كقولنا : جاء سعيدٌ لا خالدٌ . فالتابع هنا « خالد » ، غير مقصود بالحكم ، بل ينفى عنه الحكم ، ثم إنه لا يبين في متبوعه « سعيد » صفةً ما ، وعلى هذا لا يبقى من مظاهر التابع إلا الوجه الاعرابي .

الصفة

قبل أن نبحث في الصفة نحب ان نشرح مصطلحين اثنين يتصلان بالموضوع، ويدوران في كتب اللغو والنحو، وقد يلتبسان على الشادين.

١ — **المصطلح الأول**: قول اللغويين: هذه الكلمة وَصْف أو صفة. وهذا يعني انها تدل على معنى خاص في ذاتٍ ما (١)، ولا تشمل الذات كلها (٢). فقولنا: شجاع. صفة او وصف، لأنها تدل على معنى جزئي غير شامل، ثم إنها تصلح ان تستعمل صفة لرجل. أما كلمة «بيت» فليست صفة، لأنها تدل على الذات دلالة شاملة، ومثلها: كرسي، وطاولة، ولوح، وقلم، وورقة، و ... ومن الصفات: كريم، نبيل، خالد، أكبر، مضروب، مُسبَّح، مِلْقط. وتسمى في المصطلح الصرفي: المشتقات.

٢ — **المصطلح الثاني**: قول النحاة صفة، وهؤلاء لا يعنون بهذا المصطلح، إلا أن كلمة او جملة وقعت بعد اسم آخر، فحددت معنى فيه، او بينت شكلاً له، ككلمة «طويل» في قولنا: مررت برجل طويل.

وعلى هذا يكون معنى الصفة عند اللغويين أعمَّ من المعنى الذي يريده النحاة من المصطلح.

---

(١) يقابل هذا مصطلح **adjctive** في الانكليزية.

(٢) أي ليست اسماً يقابل مصطلح **noun** في الانكليزية.

ويستعمل بعض المعربين مصطلح « نعت » بدلاً من « الصفة » لئلا يلتبس الأمر بالمعنيين : النحوي واللغوي . ولكن من الأفضل أن نستعمل كلمة « نعت » في الصفات المحمودة ، أما كلمة « صفة » فتستعمل في المحمودة والقبيحة ، لأنها أعم منه .

* * * *

وللعربية في الصفة — بمعناها النحوي — سبيل خاصة ، ففي غيرها من اللغات تأتي الصفة قبل الموصوف (١) ، أما هي فلا تأتي إلا بعدها ، لأنها كما قلنا — في المعنى اللغوي — لا تدل على الذات دلالة شاملة ، بل تحدد شيئاً خاصاً منها ، نحو : هذا زيدٌ الكريمُ . فالكرم صفة من صفات كثيرة يتصف بها زيد ، كالانسانية ، والرجولة ، والأبوة ، والذكاء ، و ..

أما إذا قلت : هذا هو الكريمُ زيدٌ . فان « زيد » هنا ليست صفة ، لأنها تدل على شمول الذات في المسمى ، وإنما هي بدل ، ومثل هذه العبارة تختلف في المعنى عن السابقة اختلافاً دقيقـــاً ، ففي الأولى تأتي الصفـة « الكريم » لتوضح المسمي بزيد ، وتدفع وهماً قد يقع فيه السامع ، لكثرة من يعرف من الرجال الذين يسمون بهذا الاسم . أما الثانية فتدل على أن زيداً يُعرف بهذه الصفة ويشهر بها ، فان قيل : الكريم . عرف من دون غيره ، ولا حاجة الى ذكر اسمه . وعلى هذا تكون كلمة « زيد » ليست أساساً في بناء الجملة ، كما كانت في الجملة الأولى .

وللصفة في العربية معانٍ يحددها السياق ، وتتوقف على العلاقـــة الذهنية بين المتكلم والسامع ، واليك البيان .

---

(١) إلا في مواضع قليلة لغرض معنوي ، كما في الانكليزية .

١ – الأغراض المعنوية للصفة

١ – التوضيح :

قد يشترك في الاسم الواحد عدد من الناس ، ولذلك إذا ذكر مجرداً وقع الالتباس ، فاذا قلت : جاء سمير ، فقد يتوهم السامع سميراً غير الذي تريد ، ولذلك تصف من تعني لتدفع الوهم الذي تتوقعه ممن يسمعك ، فتقول : جاء سميرٌ الكبير . وفي تاريخ النحو العربي ثلاثة رجال يلقبون بـ « الأخفش » ، ولذلك ترى الكتب تميز كلاً منهم بصفة خاصة حين تذكره ، فتقول : الأخفش الاكبر ، والأخفش الأوسط ، والأخفش الأصغر . وكذلك تفعل أحياناً حين تذكر الأعشى ، صاحب المعلقة ، فتقول : الاعشى الاكبر ، لتفرق بينه وبين ثلاثة شعراء أخَر يلقبون بلقبه ، وكذلك يقولون : المرقش الاكبر ، تمييزاً له من غيره .

٢ – التخصيص :

ويعني التخصيص تقليل الاشتراك الحاصل في النكرات ، فكلمة « رجل » من قولك : مررت برجل . شاملة عامة يشترك فيها كل من يتصف بالرجولة ، فاذا وصفناها خصصنا المقصود وحددناه في صفة ما ، فنقول : مررت برجل عالم . وبهذا يقل الاشتراك ، ويتخصص المقصود .

٣ – المدح أو الذم

وقد يكون الموصوف معروفاً باسم خاص ، لا يشاركه فيه غيره ، وهنا تؤدي الصفة وظيفة أخرى ، فتمدح الموصوف أو تذمه . كقولك : توكلتُ على الله القادر على كل شيء . فلفظ الجلالة خاص ، والصفة بعده لا

توضح ، لأن التوضيح يكون خشية الالتباس ، ولا تخصص ، لأن التخصيص يكون للنكرات الشائعة ، بل تؤدي معنى المدح والثناء .

وعلى النقيض من ذلك قولك : هذا من عمل الشيطان الامين . فالامين، صفة للشيطان ، نصفه بها للذم والشتم ، لا للتوضيح ، ولا للتخصيص .

وقد يكون الاسم المعرف مشتركاً ، كالاسم « خالد » ، ولكن السامع والمتكلم يعرفان خالداً واحداً معهوداً عندهما ، فاذا قيل لهما « خالد » عرفاه ولم يلتبس عليهما ، فالصفة هنا أيضاً تستعمل للمدح أو الذم ، يقول أحدهما الآخر : جاء خالد الدنيء ، أو السخيف ، او العظيم ، او ...

٤ — التأكيد

وتستعمل الصفة أحياناً لتؤكد المعنى في موصوفها ، كما في قوله تعالى : « لا تتخذوا إلهين اثنين » (النحل ٥١) فالوصوف هنا يدل على معنى واضح ، ولكن الصفة تزيده وضوحاً وتؤكده . ومثله قوله : « فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج ، وسبعة إذا رَجَعتم ، تلك عَشَرةٌ كاملة . » (البقرة ١٩٦) ومنه قول عمران بن حطان :

خَبَلَتْ غزالةُ قلبَهُ بفوارسٍ
تركتْ منازِلَهُ كأمسِ الدابرِ

ب — النعت السببي

وقد تستعمل الصفة في العربية لتوضح معنى يتعلق بموصوفها ، لا بالموصوف نفسه ، فاذا قلنا : رأيت رجلاً نظيفاً ثوبُهُ ، فكلمة « نظيف » لا تصف الرجل ، ولكنها تصف ثوبه . ومثل ذلك : هـذا رجلٌ عظيمٌ أبوه ، ومررت بشابٍ شاعرٍ أخوه .

وهنا نلاحظ شيئين :

أولهما : أن الصفة تتبع لفظ ما قبلها في الاعراب ، رفعاً ونصباً وجراً.

والثاني : أنها - كما قدمنا - لا تؤدي غرضاً معنوياً يتعلق بما قبلها ، بل يتعلق بما بعدها . وقد اصطلح النحويون على تسميتها : الصفة السببية ، لأنها تصف ما يتعلق بالموصوف بسبب .

ج — أشكال الصفة

وللصفة شكلان : كلمة مفردة ، وجملة .

١ — الكلمة المفردة :

إذا كانت الصفة كلمة مفردة وافقت موصوفها في الأعراب ، والعدد ، والجنس ، والتعريف ، إلا في النعت السببي الذي لا يرفع ضميراً مستتراً يعود إلى الموصوف . وقد تبيَّنَ لك في الأمثلة المتقدمة موافقة الصفة لموصوفها في الاعراب ، أما موافقتها إياه في العدد فمثل هذه الجمل : جاء رجل كريم ، جاء رجلان كريمان ، جاء رجال كرام .

وإذا كان الموصوف جمعاً مما لا يعقل : جاز أن تكون الصفة مفردة وجمعاً ، مثل : مررتُ بحقولٍ مزروعةٍ أو مزروعات . إلا إذا كانت على وزن « أفعل » في المذكر ، و « فَعْلاء » في المؤنث ، فحينئذ تجب المطابقة ، تقول : هذه قممٌ شُمٌّ ، وحقول خُضْرٌ ، ورجال سود ، وندامای بيض ، وهكذا ...

وأمثلة موافقتها إياه في الجنس : جاء طالبٌ طويل ، وطالبة طويلة ، وطلاب طوال ، وطالبات طويلات ، وموافقتها له في التنكير والتعريف كقولك:

رأيت العلم المرفرف يرفعه جنديٌّ شابٌّ.

أما إذا كانت نعتاً سببياً يرفع اسماً ظاهراً، أو ضميراً بارزاً فانها تعطى حكم الفعل، على الشكل التالي:

مررت برجل مقطوعةٍ يدُه. فالصفة (مقطوعة) لم تطابق (رجل) لأنها ترفع «يده» فأخذت حكم الفعل، وتقديرها: مررت برجلٍ قُطعت يدُهُ، ومثل ذلك قولك: مررت بامرأةٍ نبيلٍ أخوها. والتقدير: نَبُلَ أخوها. ومررت بامرأتين كريمٍ أبوهما أو أبواهما، أي كرم أبوهما، أو أبواهما، ومررت برجالٍ كريمةٍ أحسابُهم، أي: كرمت أحسابهم.

وقد تحذف الصفة، وتدل عليها شبه جملة [1]، كقوله: كتابٌ في يدِك تقرؤه خير من كتاب على رفوف بيتك.

٢ — الجملة:

إذا كانت الصفة جملة فعلية أو اسمية وجب أن يكون موصوفها نكرة، معنى ولفظاً، أو معنى لا لفظاً، من ذلك قوله تعالى: «واتقوا يوماً تُرْجعون فيه إلى الله» (البقرة ٢٨١) ونحو: مررت برجل ثيابُه غيرُ نظيفة. فالجملة الأولى قوله: ترجعون فيه، وصفت «يوماً» والثانية «ثيابُهُ غير نظيفة» وصفت «رجل» والموصوفان كلاهما نكرة لفظاً ومعنى.

أما قول شَمِير بن عمرو الحنفي:

ولقـــد أمرُّ على اللئيم يسبني
فمضيت ثُمَّتَ قلتُ: لا يعنيني

---

(١) يرى بعضهم أن شبه الجملة نفسها هي الصفة.

فان جملة الوصف فيه « يسبني » ، والموصوف قوله « اللئيم » ، وهو في ظاهر اللفظ معرف بأل ، إلا أن « أل » هذه لا تفيد الكلمة تعريفاً ، لأنها لا تحدد شيئاً معهوداً ، ولذلك يسميها النحاة أل الجنسية ، لأنها تحدد الجنس العام ، ولا تعرِّف نكرة بتعيينها . وعلى هذا تكون كلمة « اللئيم » نكرة في المعنى ، معرفة في اللفظ .

ولا بد للجملة الوصفية من ضمير يربطها بالموصوف ، كما هو ظاهر في الأمثلة المتقدمة ، وهو يشبه العائد الذي نعرفه في صلة الموصول . ولكن هذا الضمير قد يحذف ظاهراً ، ويقدر ضمناً ، لأن حذفه لا يتعدى اللفظ ، أما معناه فثابت في الذهن والتقدير ، انظر إلى قول جرير : (١)

وما أدري أغَيَّرَهُمْ تناءٍ
وطولُ الدهرِ أم مالٌ أصابوا

فالجملة « أصابوا » صفة لـ « مال » ، ولكنها تخلو في ظاهر اللفظ من ضمير يربطها بالمال ويعود اليه ، إلا أن المعنى يوضح لك أن الشاعر قدَّر كلامه على إضمار الضمير ، وتقديره : أم غيَّرهم مالٌ أصابوه . ومثله قوله تعالى : « واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً » (البقرة ١٢٣) وتقديره : لا تجزي فيه ، وهذا كثير في الكلام الفصيح ، شعره ونثره ، كقول كثيِّر عزة :

من اليوم زوراها خليليَّ إنها
سيأتي عليها حقبة لا نزورها

أي لا نزورها فيها .

---

(١) نسبه ابن الشجري في أماليه إلى الحارث بن حلزة . انظر : ١/٥

والجملة الوصفية يجب أن تكون خبرية لا إنشائية ، كجملة الحال ، والأمثلة السابقة كلها شواهد على ذلك ، إلا أن احد الرجاز وهو العجاج قال هذا البيت :

حتى إذا جنَّ الظلام واختلط
جاؤوا بمَذْقٍ هل رأيت الذئب قط (١)

فقدره النحاة تقديراً معنوياً بعيداً على الشكل التالي : جاؤوا بمذقٍ مقولٍ فيه : هل رأيت الذئب قط . وخير من هذا أن نقول : إن الجملة هنا إنشائية لفظاً ، خبرية معنى ، وتقديرها : جاؤوا بمذقٍ يشبه الذئب في لونه. ولهذا صور مماثلة في النحو العربي ، كتأويل الجامد بالمشتق ، وتأويل المعرفة بالنكرة ، وقد مرَّ بك ذلك في بحث الحال .

د — أحكام الصفة

١ — الاشتقاق :

الأصل في الصفة أن تدل على معنى في موصوفها ، وغالباً ما تكون أحد المشتقات الآتية : اسم فاعل ، مثل : هذا رجلٌ حاملٌ محفظتـه . اسم مفعول : إنه إنسانٌ محمودُ السيرةِ . صفة مشبهة ، مثل : لبس ثوباً بديع النقش . اسم تفضيل : قرأتُ بحثاً أعمقَ من بحث اخيك .

وهناك أسماء يوصف بها وهي ليست بمشتقة ، غير انها تؤول بمشتق ، هي:

— ما دل على تشبيه ، نحو : مررت برجلٍ أسد . وتأويلها : مررت برجلٍ شجاعٍ .

(١) المَذْق : اللبن المخلوط بالماء .

— الاسم المنسوب، نحو : هذا خُلُقٌ عربي .

— الاسم الموصول « الذي » وأخواته، و « ذو » بلغة طيء، أما « مَنْ » وما» فلا يوصف بهما، قال الحطيئة :

أنت الإمامُ الذي من بعد صاحبه
ألقى إليك مقاليدَ النهى البشَرُ

« الذي » صفة لـ « الامام » . ومثله قول جرير :

إن العيون التي في طرفها حَوَرٌ
قتلننا ثم لم يحيينَ قتلانا

« التي » صفة للعيون . ومثله قول سِنان بن فحل الطائي :

فان الماءَ ماء أبي وجدّي
وبئري ذو حفرتُ وذو طويتُ

« ذو » بمعنى الذي، على لغة طيىء، وهي اسم موصول صفة لـ « بئري » .

— اسم الاشارة بعد المعرفة، نحو : زرت المدينة هذه غير مرة، وأقمت في فندقها هذا .

— ذو، التي بمعنى « صاحب » نحو : هذا علم ذو قيمةٍ تاريخية، وهذه مدينة ذات ماضٍ مجيد .

— العدد، كقولك : له شروط ثلاثةٌ، يتصف بخصالٍ خمسٍ، وقال عبدة بن الطبيب :

يَخْفي الترابَ بأظلاف ثمانيةٍ
في أربع مسُّهنَّ الأرضَ تحليلُ (١)

(١) يصف ثوراً وحشياً . ويَخْفي التراب : يستخرجه لشدة عدوه .

- «ما»، وهي نكرة مبهمة، نحو: اتصلت برجلٍ ما. أي مجهولٍ. ومنه المثل العربي الشهير: لأمرٍ ما جدَعَ قَصيرٌ أنفه. ويُراد منه هنا التهويل والتعظيم، وتقديره: لأمرٍ عظيم جدع قصير أنفه. ومنه قول الشاعر أنس بن مدركة الخثعمي:

عزمتُ على إقامةِ ذي صباحٍ
لأمرٍ ما يُسوَّدُ مَنْ يَسُودُ

- «كل» و «أي»: إذا دلتا على كمال في المعنى الذي يتصف به الموصوف، كقولنا: فلان شاعرٌ كلُّ الشاعر، أو أيُّ شاعرٍ. أي كامل الشاعرية.

- المصدر: والمصدر في رأي النحاة اسم جامد، وهم يجعلونه أصل المشتقات، وكثيراً ما يوصف به، كقولهم: أبو عمرو راوٍ ثقةٌ، وابن الخطاب حاكم عَدْلٌ، وهذه قضية حَقٌّ.

٢ - تعدد الصفات:

آ - يجوز أن تتعدد الصفات، وأن تتنوع في تعددها، تقول: كان سعيد رجلاً لطيفاً، حلو الحديث، محباً لزملائه، يقوم بواجبه نحوهم تمام القيام. فالصفات الثلاث: لطيفاً، حلو الحديث، محباً، تجتمع مع الجملة الوصفية «يقوم بواجبه» في كلام واحد.

ويرى بعض النحاة - كالخطيب التبريزي وابن عصفور - أن الصفات إذا تعددت وتنوعت كان الأفصح في الكلام أن تتقدم الصفة المفردة، على الوصف بالجملة، وهذا الرأي ظنيٌّ لا يعتمد على استقراء الكلام الفصيح، ففي القرآن الكريم: «وهذا كتاب أنزلناهُ مباركٌ فاتبعوه» (الأنعام ١٥٥)،

«وهذا كتاب أنزلناه مباركٌ مصدِّقُ الذي بين يديه» (الأنعام ٩٢)،
ومثله قول النابغة الذبياني:

كليني لهمٍّ يا أميمــــة ناصبِ
وليلٍ أقاسيه بطيءِ الكواكب

وقول امرئ القيس:

وَفرْعٍ يغشّي المـتنَ أسودَ فاحمٍ
أثيثٍ كقنْوِ النخلةِ المتعثكلِ

ومثله قول تميم بن أبيّ بن مقبل:

وهبت شمالٌ تهتكُ الستر قرّةٌ
تكادُ قبيلَ الصُّبْحِ بالماء تنضَحُ

ب - وإذا وصفت مثنى أو جمعاً بصفة واحدة، اكتفيت بلفظ التثنية والجمع، تقول: مررت برجلين شاعرينِ. أما إذا اختلفت الصفتان فرقت بينهما وعطفت واحدة منهما على أخرى، نحو: مررت برجلين: شاعرٍ وكاتبٍ قصة. ومنه قول الشاعر:

بكيتُ وما بُـكا رجلٍ حزينٍ
على ربعَيْنِ: مسلوبٍ وبالِ

ج - ويجوز عطف الصفات وموصوفُها واحد، سواء أكانت متقاربة المعنى أم لم تكن كذلك، وهـذا لا يرضي كثيراً من النحاة، وحجتهم في ذلك أن الصفة هي الموصوف، ولا يعطف الشيء على نفسه، وهذا دليل ذهني لا يعتمد استقراء اللغة الفصيحة، ففي القرآن الكريم: «... الصابرين والصادقين والقانتين والمستغفرين في الأسحار.» (آل عمران ١٧) فالصفات

متقاربة ومعطوف بعضها على بعض . ويحمل على ذلك ايضاً قوله تعالى : « تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ، غافرِ الذنبِ ، وقابلِ التوب ، شديد العقاب ، ذي الطول . » (غافر ٢ ـ ٣) فقوله : قابل التوب ، صفة ليست بعيدة عن قوله : غافر الذنب ، وقد عطفت عليها بالواو (١) . ومثل ذلك قول الشاعر :

إلى الملك القَرْمِ وابن الهُمام
وليثِ الكتيبةِ في المُزْدَحَمْ

وقول ابن زيابة بعد تهديد الحارث بن الهمام له :

يا لهف زيابة للحارثِ الـ ـصابح فالغانم فالآيبِ

ويجمل القول في هذا أن الصفة حينما تكون للتوضيح يختار منها أخصها بالموصوف ، وأحقها بالبيان ، حتى لا يحتاج الموضع إلى صفة أخرى موضحة ، كقولك : الأخفش الأوسط ، والأعشى الأكبر ، وسيبويه النحوي . هذا اذا لم يحصل لبسٌ مّا .

أما الصفات التي يراد منها المدح او الذم فيجوز تعددها مع العطف أو من دونه ، وإنما جاز العطف لتغاير المعاني وإن تقاربت .

٣ ـ حذف الموصوف :

وكثيرٌ جداً حذف الموصوف وإنابة الصفة منابه ، حتى إن بعض

---

(١) قال الفراء : « جعلها كالنعت للمعرفة وهي نكرة ، ألا ترى أنك تقول : مررت برجلٍ شديدِ القلبِ . إلا أنه وقع معها قوله : ذي الطول . وهو معرفة ، فأجْرِين مُجراه . » (معاني القرآن ٣/٥)

الصفات صارت على مر الأيام كالمرادفات لموصوفها ، فصفات السيف مثل : الحسام ، والمهند ، والأبيض ، والصارم ، كثيراً ما تستعمل دون ذكر موصوفها. ومثل هذا إطلاقهم : الأطلس ، دون ذكر الذئب ، والورقاء دون ذكر الحمامة، والغبراء ، دون ذكر الأرض ، والذلول دون ذكر الناقة ، و ... وفي القرآن يكثر هـذا الاسلوب الفصيح ، من ذلك : « وزوجناهم بحورٍ عـينٍ » (الدخان ٥٤ ، والطور ٢٠) « وعندهم قاصراتُ الطرفِ عينٌ » (الصافات ٤٨) « أن اعمل سابغاتٍ » (سبأ ١١) والتقدير : بنساء حورٍ عـين ، ونساء قاصرات الطرفِ ، ودروعـاً سابغات . وفي الشعر قول زهير في وصف الدار :

بها العينُ والآرامُ يَمْشينَ خِلْفةً
وأطلاؤها ينهضْنَ مِنْ كلِّ مَجْثَمِ

أي : البقرات العين ، ومثله قول الأعشى :

كناطحٍ صخرةً يومـاً ليوهنها
فلم يَضِرْها وأوهى قرنه الوعِلُ

والتقدير : كوعلٍ ناطح . ومن ذلك قول كثير عزة :

وما ذكرتْكِ النفسُ إلاّ تفرَّقتْ
فريقين : منهـا عاذرٌ لي ، ولائمُ

أي : منها فريق عاذر لي ، وفريق لائم .

٤ ـ حذف الصفة :

أما حذف الصفة فقليل ، ولا تحذف إلا إذا كان الدليل واضحـاً جداً ، من ذلك قول المرقش الأكبر :

وربَّ أسيلةِ الخدَّيْنِ بِكْرٍ
مهفهفــةٍ لها فَرْعٌ وجيدُ

وتقديره: لها فرعٌ وجيدٌ طويـلان. وفي القرآن: «وكان وراءهم ملك يأخذ كلَّ سفينةٍ غَصْبًا» (الكهف ٧٩) أي: كل سفينة صالحة.

٥ النعت المقطوع

وهذا أسلوبٌ عربي في استعمال الصفات، يُراد منه معنى غير المعنى الذي تحمله الصفة غير المقطوعة، ويؤدي أحد معانٍ ثلاثة: التعظيم، الشتم، الترحم:

١ ـ النعت المقطوع للتعظيم:

نقل سيبويه في كتابهِ أنه سمع بعضَ العرب يقول: الحمدُ لله ربَّ العالمين. فلم يتبع الصفة «رب» لفظ الجلالة الموصوف بها، ولكنه نصبها، لمعنى المدح والتعظيم، وجعلها مفعولاً به لفعل محذوف وجوباً، تقديره: أعظِّم، أو أمدح.

ومنه في القرآن: «لكنِ الراسخون في العلم منهم، والمؤمنون، يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، والمقيمين الصلاة، والمؤتون الزكاة» (النساء ١٦٢) فالواو في قوله «والمقيمين» اعتراضيــة، وما بعدها نعت مقطوع، منصوب على أنه مفعول به لفعل محذوف وجوباً، وجملته معترضة لا محل لها.

ومنه أيضاً قول الخِرْنِقِ الشاعرة:

لا يَبْعَدَنْ قومي الذين هُمُ سُمُّ العُداةِ وآفةُ الجُزْرِ

النازلينَ بكل مُعْتَركٍ والطيبونَ معاقِدَ الأُزُرِ

نصبت النازلين على أنها نعت مقطوع كما تقدم.

ويجوز في هذا كله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره محذوف، كقولك: رأيتُ سليماً الكريمُ. ومنه قوله تعالى: «وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب، وأقام الصلاة وآتى الزكاة، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا، والصابرين في البأساء والضراء» (البقرة ١٧٧) فقوله: والموفون، نعت مقطوع، رفع على أنه مبتدأ، تقدير خبره: والموفون بعهدهم حكمهم هذا. والواو اعتراضية، والجملة معترضة ليست بذات محل.

٢ ـ الصفة المقطوعة للتحقير والشتم:

وكذلك تقطع الصفة أحياناً لغرض آخر، وهو الشتم أو التحقير، فتنصب على أنها مفعول به لفعل محذوف، أو ترفع على الابتداء أو الخبرية، نحو: أتاني زيدٌ الخبيثَ، ورأيتُ سعيداً الحقيرُ. ومنه قوله تعالى: «وامرأتُه حمالةَ الحطب، في جيدِها حبلٌ من مَسَد» (المسد ٤ ـ ٥) وقال النابغة:

أقارِعُ عوفٍ، لا أحاولُ غَيْرَها

وجوهَ قرودٍ تبتغي من تُجادِعُ

وتقديره: أذمُّ حمالةَ الحطب، أذم وجوه قرودٍ، وهذا التقدير للتمثيل، ولكنه لا يستعمل في الكلام.

٣ ـ الصفة المقطوعة للترحم:

وتقطع الصفة لتؤدي معنى الترحم، كقولك: مررتُ بخالدٍ المسكينَ

أو المسكينُ. ومنه قول الراجز :

فأصبحتْ بقَرْقَرى كوانِسا
فلا تَلُمْهُ أن ينامَ البائسا

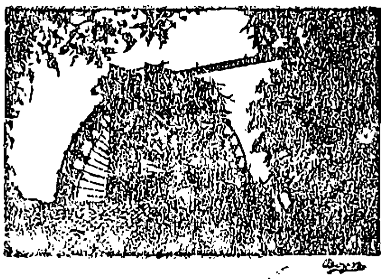
شواهد التدريب

١ — قال مضرِّس المُزَني :

أهاجتكَ آياتٌ عفونَ خُـلوقُ
وطيفُ خيـالٍ للمحبِّ يَشوقُ

تلوحُ مغانيها بحُجْرٍ كأنها
رداء يمانٍ قـد أحمَّ عتيقُ

لياليَ لا تهوَيْنَ أن تشحط النوى
وأنت خليلٌ لا يُلامُ صـديقُ



البدل وعطف البيان

يطلق مصطلح البدل على ما كان تابعاً لغيره في الاعراب، مقصوداً في الحكم الذي يُراد من الكلام، دون أن تقوم بينه وبين ما يتبعه واسطة، كحروف العطف. كقولك: هذا مقام الامام عليٍّ. فالاسم «عليّ» تابع في الاعراب لما قبله، فكان مثله مجروراً، ولكنه هو المقصود في الحكم، ويمكن أن نحذف المبدل منه، ونقول: هذا مقام عليٍّ. ومثل هذا قولك: تساقطت البيوتُ بعضُها على بعض. فكلمة «بعضها» بدل من «البيوت» ولذلك تبعتها في الاعراب مرفوعة، دون أن يتوسط بينهما حرف من حروف العطف، وهي المقصودة في الحكم.

١ — أحكام البدل

١ ـ بدل النكرة من المعرفة والعكس:

رأينا في بحث الصفة أن الصفة والموصوف يجب أن يتطابقا في الاعراب، والعدد، والجنس، والتعريف والتنكير، أما البدل فيطابق المبدل منه في هذا كله، ولكن من الجائز فيه أن نبدل نكرة من معرفة، ومعرفة من نكرة. فقوله تعالى: «لنسفَعَنْ(١) بالناصية، ناصيةٍ كاذبة خاطئة» (العلق ١٥) فيه «ناصية» مبدلة من «الناصية»، أما قوله: «وإنك لتهدي إلى صراط مستقيمٍ، صراطِ الله..» (الشورى ٥٢) ففيه أبدلت

(١) ترسم في القرآن: لنسفعاً. والتنوين الظاهر في الرسم إنما هو نون التوكيد الخفيفة.

المعرفة « صراطِ الله »، من النكرة « صراط ». ومثله: « ويل لكل همزة لمزة، الذي جمع مالاً وعدده » (الهمزة ١ و ٢) إذ أبدلت المعرفة « الذي » من النكرة الموصوف بالهمزة اللمزة، وهذا كثير في كتاب الله [١].

٢ ـ إبدال الاسم الظاهر من الضمير :

ويجوز في البدل أيضاً أن نبدل اسماً ظاهراً من ضمير متصل، وهو واضح في قول عدي ابن زيد :

ذريني إنَّ أمركِ لن يُطاعا
وما ألفيتني حِلمي مُضاعا

فقوله « حلمي » بدل من ياء المتكلم المتصلة بالفعل « ألفى ».

ولكن لا يجوز هنا العكس، إذ لا يأتي الضمير بدلاً من الاسم الظاهر البتة، أما قوله تعالى : « اسكن أنت وزوجك الجنة » (البقرة ٣٥) فالضمير فيه وهو « أنت » توكيد للفاعل المستتر في فعل الأمر « اسكن ».

٣ ـ إبدال الفعل من الفعل :

ويجوز أيضاً أن يأتي الفعل مبدلاً من الفعل، كقولك : منْ يأتِنا يستعِنْ بنا نُعِنْهُ. فالفعل « يستعن » بدل من الفعل « يأتنا »، وهو المقصود بالحكم. ومثله قوله تعالى : « ومن يفعل ذلك يَلقَ أثاما، يضاعف له العذابُ » (الفرقان ٦٨)، فقوله : يضاعف. بدل من : يَلقَ. ومنه هذا البيت الذي احتج به سيبويه في كتابه :

---

(١) انظر سورة البروجِ، الآيات ١٤ ـ ١٦، وغافر ١٥

إن علـيَّ اللهَ أن تبايعـا
تؤخذَ كرْهاً أو تجيء طائعا

٤ ـ إبدال الجملة من الجملة :

وفي الأساليب العربية ما يتوخى فيها الايجاز، وما يقصد فيها إلى الاسهاب، ومن النوع الثاني إبدال الجملة من الجملة، كما في قوله تعالى: «أمدكم بما تعلمون، أمدكم بأموال وبنين» (الشعراء ١٣٢ و ١٣٣)، ففي الجملة الأولى تعميم، وفي الثانية تخصيص، وتلك صورة من صور البدل المعنوية في لغة العرب.

٥ ـ إبدال الجملة من المفرد :

ويجوز ايضاً أن تأتي الجملة بدلاً من مفرد، كقولنا: أريد أن أعرف أخاك كيف يدرس. فنحن هنا لا نريد أن نعرف «الأخ»، لأنه معروف لدينا من قبل، إلا أن الذي نقصد الى معرفته هو طريقة دراسته، ولكننا ذكرناه في الكلام جرياً على أساليب العرب الكلامية، وعلى هذا تكون جملة «كيف يدرس» بدلاً من «أخاك».

ومنه قول الفرزدق :

إلى الله أشكو في المدينةِ حاجـةً
وبالشام أخرى كيفَ يلتقيانِ

كأنه قال: أشكو تعذرَ التقائهما، أي أنَّ جملة: كيف يلتقيان، بدل من: حاجة وأخرى. ومثله قول مبشر بن هذيل الفزاري:

فلا تتبعي العينَ الغَـويَّةَ وانظري
إلى عنصرِ الأحسابِ أين يؤول

فقوله : أين يؤول ، بدل من « عنصر » . فكأنه قال : انظر الى أين يؤول عنصر الاحساب .

٣ - ألوان البدل

وينقسم البدل من حيث علاقته بالمبدل منه أربعة أقسام : بدل الكل من الكل ، وبدل البعض من الكل ، وبدل الاشتمال ، والبدل المباين .

١ - بدل الكل من الكل (١) :

ويسمى أيضاً البدل المطابق ، وهو ما كان البدل فيه هو المبدل منه نفسه ، كما لو قلت : جاء زيدٌ أخوك ، فالأخ هو زيد نفسه . ومثله قوله تعالى : « اهدنا الصراطَ المستقيم ، صراطَ الذين أنعمت عليهم » (الفاتحة ٥و٦).

٢ - بدل البعض من الكل :

ويقال له : بدل الجزء من الكل ، وهو ما كان فيه البدل بعضاً من المبدل منه ، كقول كثير عزة :

وكنت كذي رجلين : رجلٍ صحيحةٍ
ورجل رمى فيها الزمان فشلتِ (٢)

وكالمثال الذي يدور في كتب النحو : أكلتُ الرغيف نصفَـــهُ .
وكقوله تعالى : « ولله على الناسِ حجُّ البيت من استطاع إليه سبيلاً » (آل عمران ٩٣) .

---

(١) تعريف « كل ، وبعض » بـ « أل » مما يضطر اليه في البحوث العلمية ، وإن كان غير معهود في العربية الصحيحة .

(٢) ويروى برفع « رجل » في الموضعين .

٣ ـ بدل الاشتمال :

وهذا يختلف عن الشكل السابق اختلافاً بيناً ، فالبدل فيه ليس جزءاً أو بعضاً من المبدل منه ، ولكنه مما يشتمل عليه ، فاذا قلت : أعجبني أخوك ذكاؤه . كان الذكاء بـــدل اشتمال ، و « أخوك » هو المبدل منه ، والذكاء ليس منفصلاً عن الأخ ، ولا بعضاً منه ، ولكنه شيء مستقر فيه ، ويشتمل عليه المبدل منه . ومثله قوله تعالى : « يسألونك عن الشهر الحرامِ قتالٍ فيه . » (البقرة ٢١٧) فقوله قتالٍ : بدل اشتمال من « الشهر الحرام » لأن القتال يحدث في الشهر . ومنه قول الفرزدق :

ورثتُ أبي أخلاقَهُ عاجِلَ القِرى
وعَبْطَ المهاري كومُها وشَبُوبُها

فالأخلاق مما يشتمل عليه الأب . ومثله أيضاً قول النابغة الجعدي :

بلغنــا السماءَ مجــدُنا وسَناؤنا
وإنا لنبغي فوقَ ذلك مَظْهرا

فالمجد مما يشتمل عليه قوم الشاعر .

٤ ـ البدل المباين :

وهذا اللون لا يكون في كلام الفصحاء ـ كما يزعم النحاة ـ وهو ما كان البدل فيه مغايراً للمبدل منه ، ويكون في إحدى حالات ثلاث تلابس المتكلم حين الكلام ، وذلك على الشكل الآتي :

ـ الغلط :

قد تريد أن تقول شيئاً فيسبقك لسانك بالغلط ، فتقول شيئاً آخر ،

كقولك : رأيتُ سعيداً خالداً . فأنت لم تر سعيداً ، ولكنك رأيت خالداً ، إلا أنك حين أردت ان تخبر عن رؤيتك إياه ، غلطت ، فذكرت سعيداً ، ثم صححت الخطأ فقلت : خالداً .

- النسيان :

وقد يكون الأمر نسياناً ، فبعد أن يتم الكلام يتذكر المتكلم أنه لم يكن على صواب ، لأنه نسي الحقيقة ، فيذكرها ، مثل : سافرت الى دمشقَ بغدادَ . فالمتكلم بعد أن قال : سافرت إلى دمشق ، تذكر أنه سافر الى بغداد لا إلى دمشق ، فأردف الخطأ الصواب .

- الاضراب :

إذا قلت لك : اكتب بالحبر ، بقلم الرصاص . يكون في قولي بدل اضراب ، فبعد أن أمرتك بأن تكتب بالحبر ، عدلت عن ذلك وطلبت أن تكون الكتابة بقلم الرصاص . ومثله : خذ الكتابَ ، الدفترَ .

ملاحظة :

للعربية الفصيحة أسلوبان في استعمال البدل ، فأحياناً تُتبعه ما قبله ، كما مرَّ ، وأحياناً تقطعه عنه وترفعه على أنه خبر لمبتدأٍ محذوف ، كما في قوله تعالى : « قد كان لكم آيةٌ في فئتين التقتا ، فئةٌ تقاتل في سبيل الله ، وأخرى كافرةٌ . » (آل عمران ١٣) فقد قرئت « فئة » بالرفع على تقدير : إحداهما فئةٌ تقاتل ، وقرئت بالجر على البدل من « فئتين » . ومثله قول كثير عزة :

وكنتُ كذي رجلينِ رجلٍ صحيحةٍ
ورجلٍ رمى فيها الزمانُ فشلَّتِ

وهذا كثير في الشعر والقرآن .

٣ — عطف البيان

يفصل النحاة بين بحثي البدل وعطف البيان ، ثم يقولون : إن كل عطف بيان يجوز أن يكون بدلاً مطابقاً إلا إذا رفضت ذلك أحكام البدل. ولهذا رأينا ان نجملها في بحث واحد ، وإليك الفرق بينهما :

١ ـ عطف البيان ليس هو المقصود في الحكم ، وإنما يذكر في الكلام ليوضح متبوعه ، وهو في هذا يشبه الصفة ، فاذا قلت : ما كان أشجعَ أبا الحسن علياً . فان قولك « علياً » يبيّن المقصود من « أبا الحسن ».

٢ ـ لا يجوز أن تعطف النكرة على المعرفة عطف بيان ، ولا العكس ، لأن التطابق واجب ولهذا أخطأ الزمخشري حين أعرب « مقامُ إبراهيم » عطف بيان (١) ، في قوله تعالى : « فيه آيات بينات ، مقامُ إبراهيم» (آل عمران ٩٣) لأن التطابق معدوم ، ولهذا تعين انها بدل .

٣ ـ وإذا امتنع الاستغناء عن المتبوع كان عطفَ بيان وجوباً ، ولا يجوز ان يكون بدلاً ، لأن شرط البدل ـ كما رأينا ـ ان يكون هو المقصود بالحكم ، ولهذا يجوز حذف المبدل منه .

وصناعة النحو هي التي لا تجيز الاستغناء عن المتبوع ، تأمل مثلاً قول طالب بن أبي طالب :

أيا أخوينا عبدَ شمسٍ ونوفلاً
أعيذكما بالله أن تحدثا حرْبا

---

(١) انظر تفسير الكشاف ١/٤٤٧

فان « عبد شمس » عطف بيان لا بدل ، إذ لو كان بدلاً لجاز الاستغناء عن المتبوع وهو « أخوينا » ، وهذا لا يجوز هنا ، لأننا لو استغنينا عنه لصار الكلام : يا عبدَ شمس ونوفلاً . وهذا لحن ، لأن المعطوف على المنادى ـ في هذه الحال ـ يعامل معاملة المنادى المستقل ، كما مرَّ بك من قبل ، أي على نية تكرار العامل ـ كما يقول النحاة ـ وعلى هذا وجب ان يكون « نوفلاً » مبنياً على الضم . ولما كان منصوباً دل على أن « عبد شمس » ليس بدلاً ، ولكنه عطف بيان ، وحينئذ يكون « نوفلاً » معطوفاً عليه بالنصب ، لأنه منصوب ، ولا يُنوى تكرار العامل .

ومثله قول المرار الفقعسي :

أنا ابن التــاركِ البكريّ بِشْرٍ
عليه الطـــيرُ ترقُبُه وُقوعا

إذ يتعيَّن أن يكون « بشر » عطف بيان لا بـدلاً ، ولو كان بدلاً لجاز لنا أن نستغني عن المبدل منه ، وحينئذٍ يصير الكلام : أنا ابن التاركِ بشرٍ . وهذا لحن أيضاً ، لأننا أضفنا ما فيه « أل » إلى مجرد منها ، وهذا لا يجوز ، وإن كانت الاضافة لفظية .

وفي غير هذه المواضع يجوز ان يعرب عطف البيان بدلاً مطابقاً .

عطف النسق

رأينا في الصفة، والبدل، وعطف البيان، والتوكيد، أن التابع يتبع ما قبله في الاعراب دون أن يقوم بين التابع والمتبوع حرفٌ ما، أما عطف النسق فينفرد من دون التوابع بأنه يكون بتوسط حرف من حروف العطف، وهي: الواو، والفاء، وثم، وحتى، وأم، وأو، وبل، ولكنْ، ولا.

وتختلف هذه الأدوات من حيث دلالتها المعنوية، فبعضها يجعل المعطوف مشاركاً للمعطوف عليه لفظاً ومعنى، كالواو، والفاء، وثم، وحتى، وأم، وأو. وبعضها الآخر يجعل المعطوف مشاركاً للمعطوف عليه باللفظ، مخالفاً له في المعنى، وهي: بل، ولا، ولكن. فمثال القسم الأول: جاء أبوك وأخوك. فالمعطوف، وهو «أخوك» يشارك المعطوف عليه وهو «ابوك» في الحكم، فكلاهما قام بفعل المجيء، ويشاركه ايضاً بالاعراب اللفظي، فهو مرفوع مثله. ومثال القسم الثاني: جاء أبوك لا أخوك. فالمعطوف هنا لم يشارك المعطوف عليه بالحكم لأنه لم يقم بفعل المجيء، على حين يشاركه في الاعراب، كما هو واضح.

آ — أحرف العطف

١ — الواو:

إذا قلت: جاء سعيدٌ وخالدٌ. عرف السامع أن الرجلين كليهما قد قاما بفعل المجيء، ولكنه لا يعرف من سبق صاحبه، لأن الواو إنما تستعمل

لمطلق الجمع، ولا تدل على ترتيب أو تعقيب كما تدل الفاء وثم، وقد يعطف بها المتقدم على المتأخر، كما في قوله تعالى: «إنْ هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا» (المؤمنون ٣٧)، فقد عطف «نحيا» وهو المتقدم، على «نموت» وهو المتأخر.

وأحياناً يدل الكلام على مطلق الجمع دلالة واضحة، كقولك: اخصص بودٍّ وثناء من كان صديقاً، وقولك: أنت رجل فيك صدق ووفاء.

٢ — الفاء:

وإذا قلت: جاء سعيد فخالدٌ. عرف السامع أن سعيداً سبق خالداً في المجيء بوقت قصير، لأن الفاء تدل على ترتيب وتعقيب، كما ترى، وتجمع إلى ذلك أحياناً السببية، كقولنا: رفع العلم فتأهب الجند، أو دخل القائد فنهض الجند.

٣ — ثم:

دلالة «ثم» تشبه دلالة الفاء، إلا أنها تفيد التراخي لا التعقيب، فإذا قلت: جاء سعيد ثم خالد، عرف السامع أن خالداً تأخر في المجيء عن خالدٍ زمناً غير قصير، وقد تلحقها تاء التأنيث، كما في قول ثعلبة بن صُعَيْرٍ المازني:

وعدتك ثمت أخلفت موعودها
ولعل ما مَنَعتْكَ ليس بضائرِ

٤ — حتى:

العطف بها قليل، حتى إن بعض النحويين ينكرونه، وهي لا تعطف الجمل كالواو والفاء وثم وأو، بل تقتصر على عطف المفرد الظاهر على أن

يكون بعضاً من المعطوف عليه، وغاية له، كهذا المثال الذي تذكره كتب النحو: أكلت السمكةَ حتى رأسَها. فالرأس معطوف على السمكة، وهو اسم ظاهر، وبعض من المعطوف عليه، وغاية له. ومثله: قدم الناس من المتنزَّه حتى الذين يسيرون سيراً. ومنه قول أبي مروان النحوي:

ألقى الصحيفة كي يخفف رحله
والزادَ حتى نَعْلَهُ ألقاها

بنصب «نعله»، فكأنه قال: ألقى ما يثقله حتى نَعْلَه.

٥ — أم:

إذا وقعت «أم» بعد همزة الاستفهام أو همزة التسوية كانت حرف عطف، وإذا لم تتقدم عليها إحدى الهمزتين كانت حرف إضراب، فما وقعت فيه عاطفة بعد همزة الاستفهام قولك: أكتبت أم قرأت؟ وكقول زياد بن حمل التميمي:

زارتْ رُقَيَّةُ بعدما هجعوا
لدى نواحلَ في أرساغها الخَدَمُ

فقمتُ للطيفِ مرتاعاً فأرقني
فقلت: أهْيَ سَرَتْ أم عادني حُلُمُ

ومثله في القرآن كثير نحو: «أأنتم أشد خلقاً أم السماءُ بناها» (النازعات ٢٧). وأما ما جاء منها بعد همزة التسوية فكقوله تعالى: «سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون» (البقرة ٦).

وقد تحذف همزة الاستفهام لدلالة السياق عليها، كقول عمر بن أبي ربيعة:

فوالله ما أدري وإن كنتُ دارياً
بسبع رمين الجمر أم بثمانِ

والتقدير : أبسبع . أما حذف همزة التسوية فكقراءة ابن محيصن : «سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم» (البقرة ٦) وهي على تقدير : أأنذرتهم.

وهمزة التسوية هي همزة الاستفهام نفسها ، ولكنها تكون للتسوية إذا وقعت بعد «سواء» ، وصح سبك ما بعدها بمصدر مؤول .

٦ — أو :

لِـ «أو» معان كثيرة ، يجمعها قول ابن مالك في ألفيته :

خيِّر ، أبِحْ ، قسِّم ، بأو ، وأبْهِمِ
واشكُكْ ، وإضرابٌ بها أيضاً نُمِي

أي انها تكون للتخيير ، كقولك : خذ هذا الكتاب او ذاك . وللاباحة ، نحو : سافر مع أخيك او ابن عمك . وللتقسيم ، نحو : الكلمة اسم ، أو فعل ، أو حرف . وللابهام على السامع ، كقولك له وانت تعرف الحقيقة : قرأتُ هذا الكتاب أو هذا . وللشك ، كقولك وأنت لا تعرف الحقيقة : جاء عمك أو أبوك . وللاضراب ، اي تكون بمعنى «بل» ، كقول جرير يشكو من كثرة أولاده :

كانوا ثمانين أو زادوا ثمانيةً
لولا رجاؤك قد قتلت أولادي

أي : بل زادوا . وتكون بمعنى الواو ، أي الجمع ، كما في قوله تعالى : «ولا تطع منهم آثماً أو كفورا» (الانسان ٢٤) ، فقد نهاه عن إطاعة الآثم والكفور جميعاً .

٧ ــ لكنْ :

يعطف بها بعد النفي والنهي نحو : ما جاء اخوك لكنْ أبوك . لا تضربْ سميراً لكن أخاه .

٨ ــ بل :

هي مثل « لكن » ، تعطف بعد النفي والنهي ، وتزيد عليها في أنها تعطف في الايجاب ، نحو : ما قرأتُ هذا بل ذاك . لا تقرأ هـذا بل ذاك . قرأتُ هذا الكتابَ بل ذاك . وهي لا تعطف الجمل ، وتقتصر على عطف المفردات ، كقول قيس بن ذريح :

أصبحتُ من حبِّ لبنى بل تذكرِها
في كُرْبةٍ ففؤادي اليومَ مَشْغولُ

٩ ــ لا :

يعطف بها اسم مفرد ، على أن تكون الجملة المتقدمة إيجاباً ، او امراً ، نحو : جاءَ خالدٌ لا سعيدٌ . أضرب المذنبَ لا البريءَ .

ب ــ احكام عطف النسق

١ ـ العطف على الضمير :

ـ إذا عطف اسم ظاهر على ضمير متصل مرفوع ، سواء أكان بارزاً أم مستتراً ، فالأفصح توكيده بضمير منفصل ، نحو : « لقد كنتم أنتم وآباؤكم » (الأنبياء ٥٤) ونحو : « اسكنْ انت وزوجك الجنة » (البقرة ٣٥) ، ويجوز العطف عليه إذا فُصِل بينه وبين المعطوف ، نحو : « ما أشركنـا ولا آباؤنا » (الأنعام ١٤٨) فالفاصل هنا « لا » ، ونحو : « جنات عدنٍ

يدخلونها ومن صَلَحَ .. » (الرعد)، والفاصل هنا الضمير .

وفي ضرورة الشعر يباح للشعراء أن يعطفوا على الضمير المرفوع بلا توكيد ولا فاصل، كقول جرير :

ورجا الأخيطِلُ من سفاهةِ رأيهِ
ما لم يكنْ وأبٌ له لينالا

وقول عمر بن ابي ربيعة :

قلت إذ أقبلتْ وزهرٌ تَهادى
كنِعاجِ الملا تعسَّفْنَ رَمْلا

- وإذا عطف على ضمير متصل مجرور، فالأفصح إعادة الجار، سواء أكان حرفاً ام مضافاً، فالأول مثل « فقال لها وللأرضِ ائتيا طوعاً او كرهاً » (فصلت ١١)، والثاني نحو : « قالوا : نعبدُ إلهك وإله آبائك » (البقرة ١٣٣).

ويصح عند بعض النحاة العطف من دون إعادة الجار، ويحتجون على ذلك بقراءة قرآنية هي : « واتقوا الله الذي تسّاءلون به والأرحامِ [1] » (النساء ١) وببيت أثبته سيبويه في كتابه، وهو :

فاليومَ قرَّبتَ تهجونا وتشتمنا
فاذهب، فما بكَ والأيامِ من عجَبَ

وببيت آخر لمسكين الدارمي :

نعلِّقُ في مثلِ السواري سيوفَنا
فما بينها والكعبِ غَوْطٌ نفانيف

---

(١) القراءة اليوم : .. تساءلون به والأرحامَ .

ـ اما العطف على الضمير المنصوب فيجوز بلا شرط ، سواء أكان منفصلاً أم متصلاً : نحو : « هذا يومُ الفصلِ جمعناكم والأولين » (المرسلات ٣٨) ، ومثله : « وجدتُها وقومَها يسجدون للشمس من دون الله » (النمل ٢٤) ومنه ايضاً في الشعر قول متمم بن نويرة يرثي اخاه مالكاً :

فلما تفرقنا كأني ومالكاً
لطول اجتماعٍ لم نبت ليلة معا

٢ ـ عطف الفعل على الفعل :

يعطف الفعل على الفعل إذا كانا متحدين في الزمان ، نحو : جاء اخوك وذهب . ونحو : « وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتِكم اجورَكم ولا يسألْكم اموالكم » (محمد ٣٦) . ولا يهم ان تختلف صيغتاهما ، كأن يكون احدهما بصيغة المضارع ، والثاني بصيغة الماضي ، إذا كان الزمان واحداً ، نحو : « يَقْدُمُ قومَه يوم القيامة فأوردهم النار » (هود ٩٨) ، اي : فيوردهم النار . ونحو : « إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جناتٍ تجري من تحتها الأنهارُ ويجعلْ لك قصوراً » (الفرقان ١٠) ، اي : وجعل لك قصوراً .

٣ ـ عطف الفعل على الاسم والعكس :

يجوز عطف الفعل على الاسم الذي يشبهه بالمعنى نحو : « فالمغيرات صبحاً ، فأثرن به نقعاً . » (العاديات ٣ و ٤) فقوله : المغيرات ، اسم فاعل يشبه الفعل في الدلالة على الفاعل والزمان ، ولذلك جاز ان يعطف عليه قوله « أثَرْنَ » .

ويجوز العكس ايضاً ، كقوله تعالى : « إنّ المصّدقين والمصّدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً ... » (الحديد ١٨) وقوله : « ألم يروا إلى الطير فوقهم صافّات ويقبضن » (الملك ١٩) ، ففي الآية الأولى عطف قوله : أقرضوا ، على المصّدقين ، وفي الثانية عطف « يقبضن » على « صافات » ومثل ذلك قول الراجز جندب بن عمرو :

يا ليتني علقتُ غيرَ حارجِ قبلَ الصباحِ ذاتَ خلْقٍ بارجِ
أمَّ صبيٍّ قد حبا او دارجِ

فقوله : دارج ، معطوف على « حبا » .

٤ — جواز حذف العاطف ومعطوفه :

ويكون هذا مع ادوات ثلاث : الفاء ، والواو ، وأم . مثال الأولى : « أن اضرب بعصاك الحجرَ ، فانبجست » (الأعراف ١٦٠) أي : فضرب فانبجست. ونحو : « فمن كان منكم مريضاً او على سفرٍ فعدةٌ من أيامٍ أخر » (البقرة ١٨٤) أي : فأفطر ، فعدة .. ومثال الثانية قول النابغة الذبياني :

فما كان بين الخيرِ لو جاء سالماً
ابو حجرٍ إلا ليالٍ قلائلُ

أي : فما كان بين الخير وبيني .. ومثال الثالثة قول ابي ذؤيب الهذلي :

دعاني إليها القلبُ ، إني لأمره
سميعٌ ، فما ادري أرشدٌ طِلابُها

أي : أرشد طلابها ام غيٌّ .

٥ ــ ما تختص به الواو :

وفي العربية اسلوب خاص بالواو ، يميل إلى الايجاز ، فيحذف المعطوف بها الدلالة القائمة عليه ، ويبقى ما عمل فيه ، كقول الراعي النميري :

إذا ما الغانياتُ برزن يوماً
وزجَّجْنَ الحواجبَ والعيونا

فتزجيج الحواجب هو ان تجعلها المرأة دقيقة طويلة ، اما العيون فلا تزجج، ولذلك يكون قوله « العيون » مفعولاً به لفعل محذوف تقديره : كحلْنَ العيونَ .

ومثله قول عبدالله بن الزبعري :

ورأيتُ زوجَك في الوغى
متقلداً سيفاً ورمحا

فالرمح لا يُتقلد ، ولكنه يحمل ، وعلى هذا يكون « رمحاً » مفعولاً به لاسم فاعل محذوف تقديره : وحاملاً رمحا .

٦ ــ العطف على المحل :

وفي العربية أسلوب تعبيري ، يراعي المعنى ، ويجيز العطف على محل اللفظ ، كقول عقيبة الأسدي من قصيدة مفتوحة الروي :

مُعاويَ إننا بَشرٌ فأسجِحْ
فلسنا بالجبالِ ولا الحديدا

فالباء زائدة في قوله : بالجبال ، والمحل للنصب لأنه خبر « ليس » ، فعطف قوله « الحديد » على المحل . ومثله قول رجل من قيس عيلان :

وبينا نحن ننظره أتانا
مُعَلِّقَ شكوةٍ وزنادَ راعِ [1]

فقوله « زنادَ » منصوب لأنه معطوف على محل « شكوة » المجرورة بالاضافة لفظاً ، ومعناها معنى المفعول به ، فمحلها النصب .

وزعم احد أساتذة سيبويه ، وهو عيسى بن عمر ، ان العرب تنشد هذا البيت بنصب « عبدَ » :

هل انت باعثُ دينارٍ لحاجتنا
أو عبدَ ربٍّ اخا عونِ بنِ مخْراقِ

لأنهم يعطفون « عبد » على محل « دينار » وهذا كثير .

٧ — العطف على التوهم :

يعني التوهم هنا استغراق المتكلم استغراقاً نفسياً في الفكرة والموضوع، فيعتمد على ما يكثر في اللغة من اصول تركيبية ، وعادات كلامية ، فيسوق كلامه على وفقها والمقام لا يحتمله ، لاعتماده على اصل آخر ، يوضح هذا قول زهير :

بدا ليَ اني لستُ مدركَ ما مضى
ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائيا

فقد عطف « سابق » على « مدرك » ، ولكنه جرّهُ ، ولم ينصبه كما يقتضي العطف ، لأنه لاستغراقه النفسي في فكرة البيت ، وانشغاله بها ، توهم انه أدرك الباء الجارة على خبر « ليس » ، كما هي العادة المتبعة في كلام العرب ، فجر المعطوف عليه لذلك .

---

(١) الشكوة : وعاء كالدلو .

٨ ــ عطف الجمل :

وتعطف جملة على جملة ، نحو : جاء اخوك واتقى بأبيه . ويجوز عطف الجملة الاسمية على الفعلية ، كقوله تعالى : « وحبط ما صنعوا فيها ، وباطل ما كانوا يعملون . » (هود ١٦) ، ومثله قول الشاعر :

عاضَها اللهُ غلاماً بعدما
شابتِ الأصداغُ والضِرْسُ نَقِدْ

ومثله قولك : عَطِشْتُ وقِواي خارت .

٩ ــ العطف على محذوف :

وقد يعطف على ما حذف من الكلام لدلالة السياق عليه ، كما في قوله تعالى : « وإذا مَسَّ الإنسان ضرٌّ دعانا لجنبه او قاعداً او قائماً . » (يونس ١٢) فقوله : لجنبه ، معلق بحال محذوفة ، عطف عليها قوله : قاعداً . ومثله قوله : « ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين . » (آل عمران ٤٦) أي : يكلمهم طفلاً في المهد ، وكهلاً ..

١٠ ــ عطف المصدر المؤول على المصدر الصريح :

كما في قوله : « يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين . » (البقرة ١٢٢) أي : اذكروا نعمتي وتفضيلي .

التوكيد

التوكيد في العربية ذو مظاهر كثيرة، فقد يكون بالقسم، وقد يكون بزيادة حرف على التركيب، مثل: قد ذهب، لخالدٌ ذاهب، وقد يكون بزيادة حرفين: إنه لذاهب، والغاية من حروف التوكيد دفع الاحتمال الذي قد يلابس الغرض المعنوي في الجملة.

وثمة أسلوب آخر تستعين به العربية في توكيد المعنى، وهو ذو شعبتين: الأولى يعاد فيها اللفظ نفسه، والثانية يُتبع فيها اللفظ بلفظ آخر فيه معنى الشمول الذي يدفع احتمال النقص، ويقال للطريقة الأولى: التوكيد اللفظي، ويقال للثانية: التوكيد المعنوي.

١ ـ التوكيد اللفظي

هو ـ كما قلنا ـ أن يكرر اللفظ الذي يراد تأكيد معناه، فقد يكون اسماً ظاهراً كقول قطري بن الفُجاءة:

فصبراً في مجال الموت صبراً
فما نيل الخلودِ بمستطاعِ

وقد يكون فعلاً، كقولك: زاد زاد الأمرُ سوءاً. وقد يكون ضميراً، كقول الفضل بن عبدالرحمن القرشي:

فاياك إياك المراءَ فانه
إلى الشر دعَّاءٌ، وللشرِّ جالِبُ

وقد يعاد الضمير المتصل منفصلاً لتعذر النطق به متصلاً ، كقوله تعالى : « اسكن أنت وزوجك الجنة » (البقرة ٣٥) ، وإذا أريد تكراره بلفظه أعيد العامل فيه ، نحو : مررت بك بك .

ويؤكد الحرف ايضاً ، ولا سيما حروف الجواب ، مثل : لا ، ونعم ، وأجل ، وجير ، كقول جميل بثينة :

لا ، لا أبوحُ بحب بثنةَ إنها
أخـــذت عليَّ مواثقاً وعهودا

أما الجملة فاذا أريد توكيدها توكيداً لفظياً فالأكثر اقترانها بحرف عطف ، كقوله : « كلا سيعلمون ، ثم كلا سيعلمون » (النبأ ٤ و ٥)، ونحو : « أولى لك فأولى ، ثم أولى لك فأولى » (القيامة ٣٤ و ٣٥) .

ويجوز التوكيد بالمرادف ، وعليه قول المضرّس الربعي :

وقُلْنَ على الفردوسِ أولَ مشربِ
أجلْ ، جَيْرِ ، إن كانت أبيحت دَعاثِرُهْ

٢ — التوكيد المعنوي

ويستعمل هنا بالألفاظ الآتية : النفس والعين ، كل وجميع وعامة ، كلا وكلتا ، أجمع واجمعون وجمعاء وجُمَع ، وقد سمي معنوياً لأن الكلمة فيه تكرر بمعناها لا بلفظها ، فبدل قولك : جاء خالد خالد . تقول : جاء خالد نفسه .

آ ـ التوكيد بالنفس والعين :

الغاية من استعمال هذين المؤكدين التثبت والتمكين ، ودفع احتمال

المجاز الذي تتسم به اللغة العربية ، فاذا قلت : بنى الأميرُ المدينـة ، عرف السامع أن إسناد البناء إلى الأمير إنما هو ضرب من المجاز ، وليس حقيقة. وإذا قلت : جاء الأميرُ ، فربما توهم السامع انك لا تريد الأمير نفسه ، بل تقصد إلى تَبَـعَـهُ ومَن في حاشيته ، ولهذا تلجأ العربية ، لدفع هذا التوهم، إلى استعمال إحدى الكلمتين : نفس ، وعين ، نحو : جاء الأميرُ نَفْسُه ، ومررت بالأميرِ عينِه .

أما الطرائق التي يستعمل بها هذا اللفظان فهي :

ـ يجب ان يكون في كل منها ضمير يربطه بما يؤكد ، كما رأيت .

ـ إذا أريد ان يؤكد بها الضمير المتصل او المستتر ، فان كان ضمير رفع ، جيء بالضمير المنفصل ثم جيء بأحـد اللفظـين ، نحو : جئتَ أنت نفسُك ، أما اخوك فقد جاء هو نفسه . ولا يجوز ان تقول : جئت نفسُك . وإذا كان الضمير ضمير نصب او جر أكد بها دون توسط الضمير المنفصل ، مثل : رأيته نفسَه ، ومررت به عينِه .

ـ وإذا أريد بها توكيد الجمع استعملا بصيغة الجمع ، نحو : جاؤوا هم انفسهم . وإذا اكد بها المثنى فالأفصح ان يكونا بصيغة الجمع ايضاً ، نحو : جاء الطالبان انفسها ، ويجوز ـ على ضعف تثنيتها .

ـ ويجوز أن يجر كل منها بالباء الزائدة ، نحو : جاء أخوك بنفسه أو بعينه .

التوكيد بكل ، وجميـع ، وعامة :

تدل هذه المؤكدات على الشمول والاحاطة ، ولذلك تستعمل لدفع

توهم النقص ، كما هو واضح في قول النابغة يخاطب النعمان :

مهلاً فِداءٌ لكَ الأقوامُ كُلُّهُمُ
وما أُثَمِّرُ من مالٍ ومن وَلَدِ

فالشاعر لا يستثني أحـــداً من الأقوام ، ولولا قوله « كلهم » لاحتمل الـكلام استثناء .

وهذه الألفاظ لا بد لها في الاستعمال من أن تتصل بضمير يربطها بما تؤكد ، وإلا كان لها إعراب آخر ، فاذا قلت : جاء الطلاب جميعـاً . كان اعراب « جميعاً » حالاً لا توكيداً .

والأصل أن تؤكد المعارف ، إلا أن بعض النكرات تدنو من رتبة المعارف لأنها ذات دلالة محـددة ، كقولك : أسبوع ، شهر ، سنة . فهذه نكرات ، ولكنها محددة المدلول ، أما : زمن ، دهر ، مدة ، فمبهمات الدلالة. فما كان من النكرات محدداً مفيداً جاز توكيده بهذه الألفاظ ، تقول : أقمت هنا أسبوعاً كله ، (جميعه ، عامته) ، وعليه قول الشاعر الهذلي عبدالله بن مسلم :

لكنه شاقـه أن قيل ذا رجبٌ
يا ليتَ عدةَ حولٍ كلِّه رجبا

أما النكرة غير المحددة فلا تؤكد ، فلا يقال مثلاً : أقمت هنا زمناً كله .

جـ ـ التوكيد بأجمع ، وجمعاء ، وأجمعين ، وجمع :

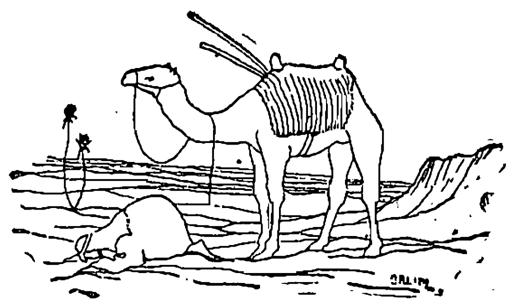
وهذه الألفاظ تستعمل بعد « كل » مبالغة في التوكيد ، كقوله تعالى : « فسجد الملائكة كلهم أجمعون » (الحجر ٣٠) ، ولكن قد تحذف « كل »

وتبقى هذه الألفاظ وحدها نحو : « فبعزتك لأغوينّهم أجمعين » (ص ٨٣)
ونحو : « إن جهنم لموعدهم أجمعين » (الحجر ٤٣).

د ـ التوكيد بكلا وكلتا :

يراد بهما إثبات الحكم لاثنين دون احتمال ان يكون لأحدهما ، نحو: جاء الطالبان كلاهما ، والطالبتان كلتاهما ، ورأيتهما كليهما أو كلتيهما.

فاذا كان الفعل لا يقع إلا من اثنين لم يجز توكيده ، فلا يقال : اختصم الرجلان كلاهما . لأنه لا يمكن أن يكون في الكلام مجاز ، لأن الاختصام لا يكون إلا من اثنين .



المحتوى

المدخل

١ — ١٨

الإعراب والبناء

١٩ ـ ٦٤

بحوث الفعل

٦٥ — ١٨١

الاسم المرفوع

١٨٣ — ٢٣٥

الاسم المنصوب

٢٣٦ — ٣٣٥

الاسم المجرور

٣٣٦ — ٣٦٨

التوابع

٣٦٩ — ٤١٢